

زكي مبارك

# مدارج العُشَّاءِ

دار الحديث  
بيروت





ترکی مہسارک

# مَدَارِجُ الْعُشَّاءِ

دَارُ الْجَمِيعِ  
بَیروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

## الاهتداء

### مدامع العشاق

إلى تلك النفس التي لا يعنيتها من أمري شيء ، والتي أخلفت ما أخلفت من  
الوعود ، ونسيت ما نسيت من العهود ، والتي شغلت بنعمة المال ، والجمال ، عما  
أقاسي من محنة وعذاب ، والتي ما أحسبني أطمع في أن تسكن إلي ، أو تعطف  
علي ، إلى تلك النفس الظلوم : أهدي هذا السفر الحزين !  
ولست آمل والمحمد لله والحب ، أن تتوجه بالقبول ، فإن هذا أمل عزيز  
المنال ، وكل ما أصبو إليه : أن تتفحني من أجله بظلم جديد .  
فبعض الظالمين وإن تنأى شهي الظلم مغفور الذلوع

زكي مبارك



## مقدمة الصليحة الاولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ !

آية كريمة ، تذهب فيها النفس مذاهب شتى ، ولكني أريدها لمعنى خاص :-  
هو الحكم على الاقوال والافعال .

وبيان ذلك اننا نرى غيرنا يقول ، او يعمل ، فنحكم عليه بالبر أو الفجور ،  
فتارة نخطيء ، وتارة نصيب . واكثر ما نكون شططاً إذا حكمنا على القول ،  
أو الفعل ، من غير ان نحيط خبراً بظروف القائل ، أو الفاعل . وهي وحدها  
محور الخير ، والشر ، والخطأ ، والصواب . فليست كل كلمة يكفر قائلها كما  
يقول الفقهاء بكفرة ، ما لم تشهد القرائن على ان قائلها معاند جحود ، وليست  
القصائد الحمرية شهادة على قائلها بالاثم ولا قصائد التشبيب رميّاً لصاحبها  
بالفسوق ، ولكن في الظروف وحدها الحكم بأن الشاعر فاسق أو سكير !

ومتى عودنا أنفسنا البحث في الحالة النفسية للقائل قبل البحث عن مدلول ما  
قال ، واجتهدنا في معرفة ظروف الفاعل قبل تأمل ما فعل من منكر أو خبيث  
فقد ترفع التهمة عن كثير ممن حكم عليهم بالكفر والمجانة ، لكلمة ظاهرها الكفر  
أو فعل ظاهره المجون .

وليس في ذلك خروج على اصول الدين ، فقد قال عليه السلام : «إنما الاعمال  
بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، وليس لتعنّت أن يرد علينا بأن هذا خاص

بأعمال الخير ، لا الشر . فانه كما يجوز ان يفسد الخير حين يراد به شر ، كذلك يصلح الشر حين يراد به خير ، وتبقى التبعة على من يقتصرون في ارشاد الناس إلى نتائج اعمالهم ، وما لها من الضر ، والنفع ، لتتأمل النيات والاعمال .

وإذا أباح لك حسن النية ان تحكم على رجل بالصلاح لغلبة الخير على أقواله وأفعاله ، من غير أن تلم الإمامة بالأسباب القريبة والبعيدة ، لما يعمل وما يقول ، وقد تكون نيته سيئة فيجسط عمله ، فمن الواجب ان تنظر بدقة إلى ظروف من ساء قوله وعمله ، فقد تكون نيته حسنة فيرضى عنه علام الغيوب .

إن علماء الغرب لا يحكمون على خلق المؤلف إلا بعد ان يتبينوا العصر الذي عاش فيه ، والبيئة التي احدثت به ، فنال منها ونالت منه ، لاحتمال ان تسود كتابته فكرة كانت في عصره حسنة ، وهي عصرنا سيئة ، فنحكم عليه بما هو منه براء .

## ٢

ولنرجع الى الآية التي صدرنا بها هذا المقال ( وفي أنفسكم أفلا تبصرون ) فاني لا اكتب القراءاتي وجدت في مذكراتي كلمة لو قرأتها لغيري الآن لأنكرتها عليه . مع اني اعرف اني كتبتها من قبل ، وانا نقي القلب ، خالص الضمير . ولقد تبدو تلك الكلمة ، وكأنها خطاب مفتوح لاهل الجمال ، وهي سذاجة طريفة ، تمثل عهداً من عهود الصبا ، خيل إليّ فيه ان الحسن يجب ان يكون ملكاً لجميع العيون ، تستمتع به آمنة مطمئنة لا يمانعها فيه غيور ، ولا يجحبها عنه ضنين . وليس في مقدوري الآن ان اكتب مثل تلك الكلمة ، لاني حرمت من تلك السذاجة ، واطلمت من الناس على بلايا ومناكر ، يلؤم من بعدها الكريم ، وحاشاي ! وسأفرض الآن اني في العهد الاول من عهود الشباب ، وان الناس كما كنت احسبهم منذ سنين اطهاراً برة ، لا يعرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يتقولون الاقاول ، ولأذكر طرفاً من ذلك الخطاب :

« يا أرباب الجمال !

ما لكم تضنون علينا بما سوف يشبع الدود منه لئاً ، ويأكله التراب أكلاً ؟



كم صائن عن قبلة جده      سلطت الارض على خده  
وحامل ثقل الثرى جیده      وكان يشكو الضعف من عقده

أما والله إن أرواحنا لفي حاجة إلى بعض ما تنعم به الوسائد من الحدود ،  
والمراد من الجفون ، والمساويك من الثغور ، والأمشاط من الشعور ، والفلائل  
من الأعطاف ، والزينة من الأطراف .. فلم تحرمونا في حبنا لكم ، وإشفاقاً عليكم  
بما تكرمون به الجمال ليلاً ونهاراً ، على أنه لا يعرف ما حاف به من حسن ،  
وأحدق به من جمال ؟ !

يا أهل الملاحة !

إن الله ما خلقكم كالأزهار ، في القفار ، تهر ، ثم تذبل ، ولا يتمتع أحد  
بشمها ، ولثمها ، وإنما خلقكم روحاً لكل حي ، ونمياً لكل موجود ، فاجعلوا  
لنا منكم حظاً ، ولا أقل من النظر ، فقد خفنا على أرواحنا أن تهرق ببخلكم ،  
وتموت بصدكم ، وما الله بغافل عما تعملون ! !

يا أعلام الحسن !

إن كنتم فطرتم على العزة ، وجبلتم على النخوة ، فهبونا بعض القرب منكم ،  
والأنس بكم ، ولكم منا ما تشاءون من ذلة واستكانة ، وخضوع وعبودية ، وقد  
عذرتكم لعزكم ، فارحونا لذلتنا ، وعشقناكم لحسنكم ، فاعشقونا لحبنا ، فكفى  
بالحب جمالا وبالعشق زينة ، وإن الحب المملول ، لخير من الحبيب المملول ، فإن  
أبيتكم إلا الصد والقطيعة ، والجفاء والاهراض ، فانا نبشركم بأن الحسن حال  
تحويل ، ودولة تدول ، ثم يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين !

أوردية الحدين من عرف الصبا      ويا ابنة ذي الاقدام بالفرس الورود  
صلي واغني شكر أفا وردة الربى      تدوم على حال ولا وردة الخلد

٣

ولقد يعجب قارئ هذا الخطاب حين يرى كاتباً يعتقد أن الجمال ملك  
العيون النواظر ، وأن البخل به إثم وعقوق ، ولكنه لو تروى لعرف أن النفس  
الطاهرة كثيرة الشطط ، وأن صاحبها لا يسلم من الاسراف ، ورسم الله ذلك

المهد الذي كنت أعيش فيه بأمل غير محدود !

ليالي لا تنجو بنبلى خريده وإن عز حاميتها وجم عديدها  
إذا ما رمتني ذات دل رمتها بعين لها منها مقيد يقيدها

على أنفي لا أمنع أحداً من أن يسيء الظن بما كتبت منذ سنين ، فإن الذي  
يطمع في معرفة النفس البشرية ، لا يبخل بوضع نفسه على المشرحة ، ليسهل عليه  
وعلى غيره التحليل ، ومثله في ذلك مثل الطبيب المخلص لعله ، لا يبخل بتوضيح  
نفسه وهو يفحص صرعى السل والتيفوس ، فهل يعقل هؤلاء الذين يطيعون  
أهواءهم ، وشهواتهم ، فينسئون أنفسهم ، ويسلقون إخوانهم بالسنة حداد ؟  
إن قليلا من الروية والأناة لكاف لسلامتنا من الزلل والعثار ، حين الحكم  
على ما يعمل الناس وما يقولون .

## ٤

وليت الامر وقف عند هذا الحد ، بل أسرف الكاتب حين هم بنشر مدام  
العشاق في جريدة الصباح سنة ١٩٢٢ واقتتحها بهذه الكلمة الجريئة ، موجهة  
إلى إحدى العذارى

« قضي الامر ، واصبحت حياً كمت ، وموجوداً كعدم ! فما ضرتني لو  
أذعت هذا الحب ، وما أبقي هواك مني ما أسمع به ملاماً أو أرى وجهه  
عذول ؟

على أن قلبي يحدثني بأن الاشادة بما بيننا من هوى قد تزيد حقد الحاقدين ،  
وما إلى ردعهم سبيل ! وأنت المعنية بهذا الاشفاق ، أما أنا فما كنت لأرهب  
قوماً لا سلاح لهم غير القيل والقال .

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي وهوا بقتلي يا بئين لقوئي  
إذا ما رأوني طالماً من ثنية يقولون : من هذا ! وقد عرفوني

وبعد فانه لم يبق ما أسكن اليه في هذا الوجود غير حديث الحب ، وبلايا  
الحبين ، وقد رأيت أن أساير شعراء العرب في أعذب ما جرى على ألسنتهم :  
وهو النسيب ، وأن أبدأ ذلك بما انتهوا اليه ، وهو الحديث عن الدموع ، وما

لها من سبب قريب أو بعيد ، حتى إذا هدأت ثورة القلب بعد هذا الدمع  
المفسوح ، عدت فصاحبت الشعراء ، وذكرت كيف فتكت بهم النظرة الأولى ،  
وبينت مهوى عيونهم ، ومصرع قلوبهم ، بين الحدود القوائن ، والعيون الفوائت ،  
ولن أخرج من ذكر ما كان من الوقائع بين الحصر النحيل ، والردف الثقيل ،  
وعلي وحدي إثم الفتنة التي ستقيمها هذه الأبحاث الشائقة في صدور الشباب  
والكهول ، ولئن شاء السلامة من القراء أن يكف منذ الآن عن قراءة هذا  
الحديث .

نصحتك علماً بالهوى ، والذي أرى مخالفتي ، فاختر لنفسك ما يحلو

## ٥

وهذا خطاب أقل ما يؤخذ عليه أنه لا يوجه إلى فتاة ، فضلاً عما فيه من  
المجازفة ، في حمل إثم الآثمين ، وفتك الفاتكين ، ولقد آذنتني آثامي ، فكيف  
أحمل آصار الناس !

ولم يمر ذلك الخطاب بدون أن تضح له إحدى الجرائد الأسبوعية ، وبدون  
أن ينالني أحد الكتاب بلسان حديد ، فكتبت في الرد عليهم هذه الكلمة  
القاسية :

« في مصر قوم لا يعرفون من الجد غير الفطرسه والكبرياء والكتاب الجاد  
في نظرم هو الرجل السليط ، الذي يخيل إليه كما كتب : أنه قسيس في كنيسة  
حافلة ، أو خطيب في مسجد جامع ، فهو مسئول عن سرد الرذائل وعقد  
المنكرات ! ؟ فأما الكتاب المفتون بما أودع الله هذا العالم من روائع الحسن ،  
وبدائع الجمال ، فهو في رأيهم كاتب ماجن خليع ! »

ولا أدري بماذا يجيب هؤلاء لو سألتهم من خلق هذه الصور الجميلة ، التي  
طارت بالباب الشعراء ؟ وصيرتهم في كل واد يهيمنون ؟ أترام يقولون أنها من  
خلق الله ، أم من خلق الشيطان ؟ فإذا كانت من خلق الله ، فلم ينكروا علينا  
أن نتغنى بصنمه البديع ؟ وإن كانت من خلق الشيطان ، فلم لا يعجون الحسن  
من وجوه الحسان ، لأنه من عمل الشيطان الرجيم ؟

آمنت بالله وكفرت بما لهم من منطق مقلوب ا

يريد جماعة من أظلمت الدنيا في وجوههم ، وعموا عن صنع الله الذي أتقن كل شيء ، ماذا يريدون ؟ إنهم يريدون أن اجارهم في عمايتهم ، وأن أسايرهم في جهالتهم ، فلا أكتب في غير ما يروقهم من ذم الدنيا ، والتبرم بالوجود الاول لكنني عرفت ما لم يعرفوا من « أفنان الجمال » في هذه الدنيا البديعة التي حملت الغزالي على ان يصرح بأن ليس بالامكان أبدع مما كان ، فعدت خليقاً بحمد الحسن ، والتفديس له ، كلما أمعنوا هم في الجحود ا

يقولون ان مدامع العشاق التي أنشرها في جريدة الصباح مما يفسد الشباب ، وذلك منهم جهل بأسرار الجمال ، وماله من الاثر في تهذيب النفوس ، وثقيب العقول ويهددون ويوعدون بالويل والثبور ، إذا أنا مضيت في هذا البحث الشائق الطريف ا فهل حسب هؤلاء السفهاء أي. أكتب لهم حق أنزل عند رأيهم السخيف المأفون !

أبيناً أن نطيعكم أيينا      فلا تلقوا نصيحتكم اليينا  
ركبنا في الهوى خطراً فإما      لنا ما قد كسبنا أو علينا  
ولو لم يرض ربك ما أردنا      لما أعطى لنا أذننا وعينا  
فما تسألكم عن كل صب      كأن لكم على العشاق ديننا

٦

إلى هنا وقف القارىء على ألوان من الخواطر ، مرت بخاطر شاب هم بالتمرد على ما ألف الناس ، وما كنت لأذكر هذه التفاصيل لولا بغضي للرياء ، فأناب بصريح القول : موكل بالحسن أتبعه ، ومغرم بالتفريد على أفنان الجمال . وإني لأقول :

اشجأك ما خلف الستار وإنما      خلف الستار أولو مكنون  
والناس في غفلاتهم لم يعلموا      أي بكل حسانهم مفتون

واقول :

فيا رب إما رمت لي الخير منعماً      ففي قرب من اهوى وبعد اخي اللوم

وإن كان لي فـيما قضيت مساءً فحزن على النائين جبرتي القدم  
وإن شئت لي يوماً جوارك فلاكن شهيد الجوى لا نضوهم ولا سقم  
وطول حسابي في المعاد على الهوى فطول احاديث الصباية من هي  
وما كان اغنائي عن الفزع إلى حكم الاخلاق، لارجع الخير والشر إلى النيات،  
لا إلى الاعمال ، فقد آن لنا ان نعرف ان من الحق ، بل من الواجب ، ان  
ندرس الجمال ، وان نتقنى به ، وان نصفه بالثر البليغ ، والشعر الجميل ، وأن  
نكتب عن كلفوا بالحسن : من العشاق ، والشعراء .

ولقد يروون عن رسول الله انه قال : ( ان الله لمعجب من شاب لا صبوة  
له ) وأنا لا اريد ان يعجب الله مني اوسينكر المتعنتون هذا الحديث ، وأنا  
قبلهم لا أجزم بصحته ، ولكنني اتق بأنه يقرر حقيقة واقعة ، فما كان الله  
ليخلق الجمال لنعمى عنه ، او ليرمي عشاقه بالاثم والفجور ، وهؤلاء الملتزمون  
الاغبياء لا يملون من الدعوة الى الاستمتاع بحال الطبيعة ، لهم الويل ! وهل  
الانسان إلا لباب الطبيعة ، وسرها المكتون ؟ !

وماذا اصنع بالاشجار ، والازهار ، والثمار ، والانهار ، والكواكب ،  
والنجوم ، والسهول ، والحزون ، والجبال ، والوديان ، والطيور الصواوح ،  
والظباء السوانح ؟؟

ماذا اصنع بكل اولئك ، إذا لم يكن معي إنسان أطارحه القول ، واساجله  
الحديث ، واساقبه صباه هذا الوجود ؟ !

وهذا الانسان ؟ أليس لي الحق في اختياره ، قبل اصطفائه ، وكيف أختاره  
إن لم احكم الذوق ، في تمييز جسمه وروحه ، وعقله وشعوره ، وحسه ووجدانه ؟  
وما قيمة الليل ان لم تظلني في الحب ظمأؤه ؟ وما جمال الاغصان إن لم تهزني  
إلى ضم القدود ، وما حسن الازهار ان لم تشقني الى لثم الحدود ؟ وكيف اميل  
إلى الظباء ، لو لم تشبه بعيونها واجيادها ، ما للحسان من اعناق وعيون ؟  
وكيف اصبو إلى غنة الفزال ، لولا ذكرى تلك النبرات العذاب ، التي يسمونها  
السحر الحلال ؟

وانك لتعلم أيها القمر ، كيف كنت اصدف عنك ، وانا اطالع ذلك الوجه ،  
الذي نعمت معي بثغره المفلج ، وانفه الاقنى ، وطرفه الاحور ، وجبينه  
الوضاح ، وانك لتعلم أيها القمر ، كيف هجرتك حين غاب ، وتعلم اني لا انظر  
إليك إلا حين السرار ، لأرى كيف يفعل الشحوب بك ، وكيف تنال منك  
الليالي ! وانها لشماعة طفيفة ، احزن من بعدها على خلود متعتك بصباح الوجوه  
وعلى عودتك لشبابك ، في حين اودع كل يوم جزءاً من شبابي ، واحسرتاه على  
ما اودع من اجزاء الشباب !!

لأصبحت نهب الاسى والحزن      لجسم اقام وقلب ظمن  
فيا ويحهم يزعمون الرحيل      وما زودوني غير الشجن  
دموع تحدر فوق الحدود      كصوب الغمام إذا ما هتن  
وقلب يقلب بين الضلوع      بعيد القرار فقيد السكن  
وأصبحت والرأس مرعى المشيب      قليل السرور كثير الحزن  
لعمري لئن شئت قبل الاوان      لقد شاب حظي وشاب الزمن  
كأن الشمر عراها البياض      سهام الردى او خيوط الكفن  
وإن الشباب اذا ما انقضى      لكالحلم اقلع عنه الوسن

## ٧

أما بعد فقد اخرجنا للناس كتاب « الاخلاق عند الفزالي » فرمونا من اجله  
بالكفر ، واليوم نخرج لهم مدامع العشاق ؟ وسيرموتنا من اجله بالفجور ،  
وسنصبر على عدوانهم حتى نخرج كتاب « آراء الجاحظ الفلسفية والادبية »  
وكتاب « افنان الجمال » ثم نجنح بعد ذلك إلى المتاب !  
وقد زعمت ليلي بأني فاجر      لنفسي تقاها او عليها فجورها

الملحد الفاجر فيما يزعمون

زكي مبارك

سنترين في ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ هجرية

## مذاهب النسيب

اكثر شعراء العرب من الحديث عن الحب ، وعن الحسن وتنوعت مذاهبهم في وصف ما يشقى به المهب ، وما ينعم به الحبيب ا ويمكن رجع كلامهم في النسيب إلى اصليين اثنين :

الاول - وصف ما يلاقي المحبون من عنت الحب . ويدخل في ذلك كل ما يهيج الوجد ، ويثير الدمع ، كحديث الفراق ، والعتاب ، والذكرى ، والحنين. الثاني - وصف ما يرى الشعراء في احبايهم من روعة الحسن ويدخل في ذلك كل ما تتمتع به النفس ؛ والعين ، من جمال الابدان والارواح ، كوصف العيون ، والحدود ، والثغور ، والنحور ، والصدور ، وكالحديث عن العطف ، والرفق ، والوفاء والعفات .

وقد رأيت ان افضل مذاهب النسيب في وصف ما يشقى به المحبون في كتاب اسميه « مدامع العشاق » وان اشرح مذاهبهم في الكلام عن الحسن في كتاب اسميه « افنان الجمال » .

وكان الواجب ان نبدا بطبيع « افنان الجمال » لانه اوفى وامتع ، ولأن افنان الجمال ، وجدت قبل مدامع العشاق .

ولكن دولة الحسن لا عدل فيها ولا رحمة ، فلنتابها في الظلم ، ولنقدم الفروع على الاصول !!

## موجبات الدموع

نذكر في هذا الباب حديث الشعراء عن اسباب البكاء ، وموجبات المدامع  
ثم ما يعرفون عن احمرار الدموع بعد ان كانت بيضاء ، وابيضاضها بعد ان  
كانت حمراء !!

وللدموع اسباب عامة ، واسباب خاصة . فأما الاسباب العامة فهي الحرق  
الدخيلة ، والجوى الدفين ، وما الى ذلك من البث والحزن ، واللوعة والحسرة ،  
فمن هذا قول العباس بن الاحنف :

ظلمت عيناك عيني انها بادلتها بالرقاد الارقا  
سلط الشوق على الدمع فما هب داعي الشوق إلا اندفعا  
وما كان له ان ينسب الى عينيها الظلم ، لا بتلائه بالسهاد . وخير منه قول  
صريع الغواني :

أسهرتموني أنام الله أعينكم لسننا نبالي إذا ما نمت من سهرا  
ولو قال :

رحمت عيناك عيني انها بادلتها بالرقاد الأرقا  
لكان أقرب إلى الصدق وعرفان الجميل ، فحسب المحب ما أهدته عينه  
حبيبه من ضني الجسم ، وسهد الجفون . وقال البحتري :

قد أرتك الدموع يوم تولت طعن الحبي ما وراء الدموع<sup>(١)</sup>  
عبرات ملء الجفون مرتها حرق للفؤاد ملء الضلوع<sup>(٢)</sup>

---

(١) الظمن والظمانن : جمع ظمينة ، وهي المرأة في المودج  
(٢) يقال مرى الراعي الناقة : إذا مسح ضرعها لتدر اللبن . ويريد الشاعر أن يقول ان  
اللوحة مروت الدمع ، أي حملته على ان يفيض .



فرقة لم تدع لميني حب منظرأ بالعقيق غير الربوع  
ولا أدري ما الذي أراده البحاري بما وراء الدموع ! أهو الدم الأحمر الذي  
تجود به الشئون عندما تفيض المدامع ، أم هي الحرق الدخيلة التي ينبيء عنها  
الدمع ، ويفصح عن مكثونها البكاء ! وقال الشريف الرضي :

يقولون ما أبقيت للعين عبرة فقلت جوى لو تعلمون ألم  
أسمع جفني بالدموع وأغتدي ضيناً بها ؟ اني إذن للثم  
ولو بخلت عيني إذن لعتبتها فكيف ودمع الناظرين كريم

ولعل هذا خير ما قيل في الاعتذار عن البكاء ، بذكر موجهه ، والداعي  
إليه ، وانه لشعر بديع . أما الاسباب الخاصة فهي كثيرة . فمن العشاق من يبكي  
لتلمس الاخبار ، كما قال ابن مرم .

وأستخبر الأخبار من نحو أرضها وأسأل عنها الركب عهدهم عهدي  
فان ذكرت فاضت من العين عبرة على لحيتي نثر الجمان من المعقد

واني ليروقني قوله ( وأسأل عنها الركب عهدهم عهدي ) فانه يدل على حيرة  
وله ، إذ كان يسأل من لا يعلم من أخبارها شيئاً ، استرواحاً بالسؤال عنها ،  
وكذلك يفعل المشوق ! ولا يبعد أن يستنكر الغواني فيض الدموع على اللحية  
في هذا الشعر ، لأن الأمر كما قال أبو تمام :

أجلى الرجال من النساء موقعا من كان أشبههم بين خدودا

وقاتل الله الشيب ، ولا عفا عن جنائته على الشباب !  
ومنهم من يبكي عند ظهور المعالم ، أو مطالعة الرسوم . كما قال ابن الدمينه :

هل الحب إلا زفرة بعد زفرة وحر على الاحشاء ليس له برد  
وفيض دموع العين يا مي كلما بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وما كان الحب زفرة ولا عبرة ، كما قال ابن الدمينه — ولكنه شيء به الروح  
تكلف — وما أحسن قول ابن أسباط القيرواني :

قال الخليلي الهوى محال فقلت لو ذقته عرفته  
فقال هل غير شغل قلب إن انت لم ترضه صرفته

وهلى سوى زفرة ودمع إن لم تزد جريه ككفته  
 فقلت من بعد كل وصف لم تعرف الحب إذ وصفته  
 ومنهم من يبكي عند الوقوف بالرياض ، إذ تذكره رشاقة اغصانها ، وحررة  
 ازهارها ، بالقدود الرشيقة ، والحدود الوردية ، كما قال ابن المعتز :  
 وقفت بالروض ابكي فقد مشبهه وقد بكت بدموعي اعين الزهر  
 لو لم تعرفها الجفون الدمع تسفحه لرحمني لاستعارته من المطر  
 وهذا نوع من الاسعاد ما عرفه الناس قبل ابن المعتز فيما أعلم ! وانما كانت  
 تسعد الحائم ويبكي الرفيق (١) .

ومن الشعراء من يبكي عند هبوب النسيم . كما قال بعض الاعراب :  
 لعمرك ما ميعاد عينيك والبكا بداراء إلا ان تهب جنوب  
 أعائثر في ( داراء ) من لا احبه وبالرمل مهجور إلي حبيب (٢)  
 إذا هب علوي الرياح وجدتنى كأني لعلوي الرياح نسيب (٣)  
 ومنهم من يبكي لبكاء الحائم ، وهو كثير في كلامهم . ولعل من أبدعه  
 واروعه قول الشبلي يصف شجو حمامة هاجت شجوه :

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن (٤)  
 ذكرت إلفاً وعيشاً مالفاً فبكت حزناً فهاجت حزني  
 فبكائي ربما أرقها وبكائها ربما أرقني  
 ولقد تشبكو فما افهمها ولقد اشكو فما تفهمني  
 غير أنني بالجوى اعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني  
 أتراما بالبكا مولعة أم سقاها البين ما جرعني  
 وهذه الابيات من احسن الشعر تقسيماً ، وابرعه تصويراً ، ولقد افتتح بها

(١) الاسعاد هو المشاركة في البكاء .

(٢) داراء اسم موضع ، وكذلك الرمل .

(٣) علوي نسبة شاذة الى عالية نجد

(٤) الورقاء هي الحمامة ، والشجو الحزن ، والفنن الفصن ويجمع على أفنان .

الشيخ علي الجارم خطبته في تأبين المرحوم الشيخ حمزة فتح الله فخرج الناس وهم يقدمونه على سائر الشعراء ، ظناً منهم انها له ولولا الجهل بتاريخ الآداب العربية لما عاش الاحياء على حساب الاموات ، من حيث لا يشعر الناس !!

وبما ابتدعه المتأخرون في موجب البكاء ، ما جعله بعضهم عقاباً للعين ، جزاء بما اهدت نظراتها للقلب من شجى ، وللجسم من نحول ، فقال :

لأعذب العين غير مفكر      فيما جرت بالدمع اوسالت دما  
ولأهجرن من الرقاد لذيله      حتى يعود على الجفون حرما  
دي اوقعتني في حباثل فتنة      لولم تكن نظرت لكنت مسلما  
سفكت دمي فلاسفن دموعها      وهي التي بدأت فكانت اظلمها

وهو مذهب غريب ، يدل على مبلغ صاحبه من إدراك الحسن ، وفهم الجمال ! وإلا فأبي عاشق يذكر جنائية النظر عليه ، ولا يدعو لعينه بطول البقاء . والله در القائل :

قالت اترقد إذ غبتنا ؟ فقلت لها      نعم ، وأشفق من دمعي على بصري  
ما حق طرف هداني نحو حسنكم      اني اعذبه بالنوح والسهر  
ومنهم من جعل الدمع غسلا للعين بما زنت بالنظر ، فقال :

وقائلة ما بال عينك مذ رأت      محاسن هذا الطيبي ادمعها هطل  
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه      فحق لها من قبض مدمعها غسل  
وقال الآخر :

إنسانة فتانة      بدر الدجى منها خجل  
إذا زنت عيني بها      فبالدموع تغتسل  
وهو خيال فقهاء ، لا خيال شعراء !!

وقد نظر الارجاني إلى قول أبي تمام :

بسطت اليك بنائه اسروعا      تصف الفراق ومقلة ينبوعا (١)

---

(١) الاسروع ويجمع على اساريع دود ابيض احمر الرأس يشبه به العرب الاكمل الرقيقة .

كادت لعرفان التوى ألفاظها من رقة الشكوى تكون دموعا  
فولد منه معنى لطيفا ، إذ جنل دموعه عند الفراق ، وقد تحدثت كالآليء  
بقية ما نقشه المودعون في آذانه من حديث هو الدر النفيس . وذلك قوله :

لم يبكني إلا حديث فراقهم لما أسر به إلي مودعي  
هو ذلك الدر الذي أودعته في مسمعي ألقينه من مدمعي



أما السبب في احمرار الدموع فلم اجد فيه إبانغ من قول صردر :

حتام ارعى وردة لا تجتنى في الحد او تفاحة لا تلثم  
أيذاذ عن تلك المحاسن ناظري ويريد مني ان يسوغها الفم  
في كل يوم للعيون وقائع إنسانها الطماح فيها يكلم  
لو لم تكن جرحى غداة لقائهم ما كان يجري من ما فيها الدم  
لم أدر ان الحب حومة مأزق تصلى ولا ان اللواظظ اسلم

وهو مأخوذ بلطف من قول مسلم بن الوليد :

يا واشيا حسنت فينا إساءته نجى حذارك انساني من الفرق  
اني اصد دموعا لج سائقها مطروقة العين بالمرضى من الحدق

ويرى القارىء ان اصحاب هذه الاخيلة الشعرية ، يرون ان احمرار الدموع  
انما هو اثر للحرب القائمة بين عين العاشق وعين المعشوق . فيا لها من حرب  
ضروس تطأ فيها اقدام الجنس اللطيف اعناق الجنس النشيط . وإنا بهذه الهزيمة  
لفرحون ! !

وكان عجيبا ان تبيض الدموع بعد احمرارها !! وقد رأينا كيف أولوا  
احمرار الدموع . ولندكر ان اصدقهم سبط بن التعاويذي حين يقول :

أتبعتهم يوم استقل فريقهم نظر المشوق وانه المفجوع  
لم تبك يوم فراقهم عيني دما إلا وقد نرف البكاء دموعي

والآن نريد ان نعرف كيف يتأولون ابيضاض الدموع بعد ان صيرها الحزن  
حمرآ . فمن الشعراء من يرى الدمع الابيض ماء ورد الحدود التي قطفها بعينيه

عند الرحيل ، كما قال بعض الطرفاء :

كانت دموعي حمرأ يوم بيسنهم  
قطفت باللحظ ورد أمن خدودهم  
فمذ نأوا قصرتها بعدهم حرقى  
فاستقطرا بين ماء الورد من حدقي

ومنهم من جعله شيباً للدموع بعد طول عمر البكاء كقوله :

قالت عهدتك تبكي دماً اطول التنائي

فلم تعوضت عنا بعد الدماء بماء

فقلت ما ذاك مني لسوء وعزاء

لكن دموعي شابت لطول عمر بكائي

وأشجى منه قول الآخر :

وقائلة ما بال دمعى أبيضاً فقلت لها يا عز هذا الذي بقي

ألم تعلمي أن البكا طال عمره فشابت دموعي مثل ما شاب مفريقي

وعما قليل لا دموعي ولا دمي ترين ولكن لوعتي وتحرقى

وهذه الأبيات من أكثر الشعر حزناً ، وأغزره دمعاً ، وهل تجد أدعى

للشجو والبث من قوله :

فقلت لها يا عز هذا الذي بقي !!

ويذكرني هذا بقول الشريف الرضي في إتيان الدموع على العيون ، والغليل

على الضلوع :

مما بعدهم تلك العيون بكاءها وغال بكم تلك الاضالع غولها

فمن ناظر لم يبق إلا دموعه ومن مهجة لم يبق إلا غليلها

دعوا لي قلباً بالغرام اذيبه عليكم وعيناً في الطلول اجيلها

ويذكر الشعراء ان الدموع حين تبيض بعد احمرارها تكون أرق من الهواء .

ولهم في ذلك فنون من القول ، وشجون من الحديث ، وأجل ما رأيت في ذلك

قول خالد الكاتب في رفق عذاله به ، وإسعادهم له :

بكى عاذلي من رحمة فرجته وكم مسعد لي في الهوى ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها دموع دموعي لا دموع جفوني

## عذر ارباب الدموع

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه  
إن القليل مبللاً بدموعه مثل القليل مضرجاً بدمائه  
نذكر هنا ما يعتذر به الباكون عن بكائهم ، وما يحتاجون به لدى عذالهم .  
هو نوع من الإفصاح عن موجب الدمع ، وداعي البكاء . والشعراء فيه رجلان  
رجل غلبه الحب ، وقهرته الصبابة : فباح بكنون سره ، ومكتوم حبه ، ورجل  
تخوف الرقباء ، وتهيب العذال ، فأخذ يخلق العلل ، وينتعل الأسباب ، دفعاً  
للكيد الواشين ، ودرءاً لعذل اللاتمين ... فمن الأول قول البحاري :  
سارت مقدمة الدموع وخلفت حرقاً توقد في الحشا ما ترحل  
إن الفراق كما علمت فخلقى ومدامعاً تسع الفراق وتفضل  
إلا يكن صبر جميل فالهوى نشوان يحمل فيه ما لا يحمل  
وحسن البيت الأول في خلود اللوعة ، وبقاء الغليل ! وهو خير من قول  
نذي الرمة :

لعل المحدار الدمع يعقب راحة من الوجد ان يشفى شجي البلابل .  
والبيت الأخير ادوع من قول أبي تمام في نفس المعنى :  
والصبر أجمل غير أن تلدأ في الحب أخرى ان يكون جميلاً  
وقال البحاري في الاعتذار عن البكاء :

لا تلني على البكاء فاني نضو شجو ما ملت فيه البكاء  
عذلاً يترك الحنين أنيناً في هوى يترك الدموع دماء  
كيف أغدو من الصبابة خلواً بعد ما راحت الديار خللاء  
ومن بديع الاعتذار عن البكاء قول خالد الكاتب :

عش فحبيك سريعاً قنالي والضنى إن لم تصلني واصلي  
ظفر الحب بقلب دنف فيك والسقم يحسم ناحل

فها بين اكتئاب وضنى صيراني كالتضيب الذابل  
وبكى العاذل لي من رحمة فبكائي لبكاء العاذل  
وهذا معنى جميل ، لا ينقص غير القرب من الحقيقة : فقد يندر أن يبكيه  
اللائمون رفقا بالحب الحزين !

ومما انتحل فيه الشعراء للبكاء اسباباً غير اسبابه قول كثير :  
إذا زرفت عيناى أعتل بالقذى وعزة لو يدري الطبيب قذاهما  
وهو نوع من الكتمان يفزع اليه الشعراء عند اليأس من احبابهم :  
يأس يحسن لي التستر فاعلمي لو كنت اطمع فيك لم أتستر  
ومن طريف هذا النوع قول أبي المتاهية يعتذر عن بكائه ، وقد استجيا من  
صديقه :

كم من صديق لي أسا رقه البكاء من الحياء  
فاذا تأمل لأمني فأقول ما بي من بكاء  
لكن ذهبت لأرتدي فطرفت عيني بالرداء



## الاكتفاء بالدموع

هو نوع من القناعة في الحب يكون عند القنوط . ومن جيد الشعر فيه قول  
بعض الأعراب :

فان تمنعوا ليلى وحسن حديثها      فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا  
فهلأ تمنعتم إذ منعتهم حديثها      خيالاً يوافيني على النأي هاديا  
وهي سذاجة طريفة تذكرنا بقول جعدر وهو في السجن :  
أليس الليل يجمع أم عمرو      وإيانا فذاك لنا تداني  
نعم وارى الهلال كما تراه      ويعلوها النهار كما علاني

وما الذي يضير اعداء الحب من ان يرى القمر كما تراه ، ويعلوها النهار كما  
علاه ، ما داموا قد ابعده عنها ، وحرموه منها . وقد تنبه بعض الاعراب إلى  
تفاهة هذه القناعة فقال :

بربك هل ضمنت اليك ليلى      قبيل الصبح او قبلت فاما  
وهل رفت عليك فروع ليلى      رفيف الاقحوانه في شذاها  
على انه لا ينبغي ان لا ينسينا جمال هذا الحبال ما في شعر جعدر وامثاله  
من روعة الصدق ، وجلال الوفاء . وماذا عسى أن تكون الصبابة إن لم يصيح  
البكاء اشهى من الحديث المعسول ، حين يغدو الحب ولا أمل له في غير الوجد  
المشوب ، والدمع المسكوب ، والصبر المغلوب !

من اجل هذا تخالف استاذنا الجليل الشيخ سيد المرصفي ورجوه ان يصفح  
عن اعجابنا بقول قيس بن ذريح في الاكتفاء بدمعه الدائم ، وحزنه المقيم :

فان يجربوها او يحل دون وصلها      مقالة واشر او وعيد امير  
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا      ولن يذهبوا ما قد اجن ضميري  
إلى الله اشكو ما الاقي من الهوى      ومن كرب تعنادني وزفير



ومن حرق للحب في باطن الحشا      وليل طويل الحزن غير قصير  
سأبكي على نفسي بعين قريحة      بكاء حزين في الوثاق اسير  
وكنا جميعاً قبل ان تظهرى النوى      بأنعم حالي غبطة ومرور  
فما برح الواشون حتى بدت لنا      بطون الهوى مقلوبة لظهور  
لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا      ولكننا الدنيا متاع غرور  
وتماز هذه القطعة بتصويرها للنفس الانسانية أجمل تصوير ، وتمثيلها ادق  
تمثيل . ألم تر إلى الشاعر وقد اوجز في قناعته بالبكاء ، ثم انطلق يشكو إلى  
الله لوعته ، وحرقته ، ولياليه الطوال !! ألم تر اليه وقد كان يحسب الدمع  
نعمة سابعة يكبت بخلودها الاعداء ، فماد يرى الدمع آية الذل والمسكنة ، وآخر  
ما يفزع اليه الأذلاء المساكين !!



## الفرع الى الدموع

قال ابو بكر بن عياش : نزلت بي مصيبة اوجعتني فذكرت قول ذي الرمة :  
لعل الخدار الدمع يعقب راحة من الوجد او يشفي شجي البلابل  
فخلوت فبكيت فسلوت !! ولست ادري كيف تذهب بالوجد زفرة ، او  
تودي به عبرة ، وهو كما قيل :

ظن الهوى لبسة تبلى فيخلعها فكان في الروح مثل الروح في البدن  
و كنت اسمي هذا النوع من الشعر استشفاء بالدموع ، وفقاً لما يمنح اليه  
الشعراء ، ولكنني رأيت ان اسميه « فزعاً إلى الدموع » حين تبينت ان الدمع  
لا يطفى اللوعة ، وانه نار حامية ، لا برد وسلام !!  
وهل تجد ادعى للبث ، واجلب للحزن ، من قول كثير ، وقد ترحلت  
حبيته :

كفى حزناً للعين ان رد طرفها لعزة غير آذنت برحيل  
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكا فقلت البكا اشفى إذن للغليل  
قوليت محزوناً وقلت لصاحبي اقاتلني ليل بغير قتيل  
وما اختار البكاء لانه اشفى للغليل كما قال . ولكنه اختاره ليفر من الصبر  
الذي رآه مر المذاق !! وقد حسب بعض الشعراء ان التفضيل بين الصبر والبكاء  
بما ينال ، وفي ذلك يقول :

إذا ما دعوت الصبر بمدك والبكا اجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبر

وهو ضلال مبين : فان البكاء لا ينتظر دعوة المحزون ، ولكنه ينقض عليه  
انقضاء الصاعقة ، فاذا هو صريع ! وامثال هذا الشاعر لا يتحدثون عن حزنهم  
المقيم . ولكنهم يبنون على احبايهم بهذا الدمع المجلوب .

ومن الشعراء من تنبه إلى ان السلامة من الجوى امض من الجوى ، وهؤلاء .

يكون وجدهم الذاهب وضلالهم القديم « ومن اسماء الحب الضلال » ومن مختار  
الشعر في هذا البكاء قول المتنبي :

يراد من القلب نسيانكم وثأبى الطباع على الناقل  
ولو زلتم ثم لم ابكم بكيت على حيي الزائل

واوجع منه قول البحاري :

وأود اني ما قضيت لبانتي منكم ولا اني شفيت غليلي  
واعد برئي من هوائك جناية والبرء اعظم غناية المحبول

ذلك بأن القلب الجريح لا يجد شفاءه في السلوة ، ولا في البكاء .. وهل  
السلوة إلا رزء جديد يقصم الظهر ، ويقصف العمر ؟ أرايت آدم وقد خرج من  
الجنة ؟ أليست لوعته على ذلك الفردوس الضائع ، هي سر ما يعتادنا من انين قد  
قد لا نعرف له سبباً قريباً ؟ وهل البكاء إلا اثر من آثار الوجد ينحشع لرصته  
غلاظ الاكباد ، ويرق له قساة القلوب ؟

تلك حسرة البحاري افصح عنها بقوله :

وأود ما اني ا قضيت لبانتي منكم ولا اني شفيت غليلي

فما الذي جعله يرجو من الدمع الشفاء حين يقول :

قف مشوقاً او مسعداً او حزيناً او معيناً او عاذراً او عذولاً  
وخلاف الجليل قولك للذا كره عهـد الاحباب صبراً جميلاً  
عل ماء الدموع يحمد تاراً من جوى الحب او يبـل غليلاً  
وبكاء الديار ما يرد الشوق ذكرأ والحـب نضواً ضئيلاً  
لم يكن يوماً طويلاً بنما ن ولكن كان البكاء طويلاً

ان فهم ذلك يحتاج إلى تأمل النفس البشرية : فهي ليست موحدة المشاعر  
والمبول . ولو جاز ان نجد نفساً خالدة الالم لفقد شقيقتها في عالم النفوس ، لجاز  
ايضاً ان تكون في لوعتها الخالدة ذات تصاريف في الشكوى والانين ا وليس  
طلب السلوة الا صرخة الوجد يعجز عن كبعها المتيم العاني : ومن الذي يحرم  
على شقي ان يلتمس الى السعادة السبيل ؟ ومتى كان المحبون سعداء حتى يكون

طلب الخلاص من بلوام كغراً بنعمة الحب التي ابتلى الله بها اولئك الشهداء ؟ !  
وقد يحسن ان ننشد القارىء قول البحترى نفسه :

قد كان مني الوجد غب تذكر ان كان منك الصد غب تناسي  
تجري دموعي حيث دمعتك جامد ويرق قلبي حيث قلبك قاسي  
ألا تراه جعل الوجد اثراً للتذكر الذي حسب البكاء يفضي اليه فيريحه من  
الشوق في قوله:

وبكاء الديار مما يرد الشوق « ذكرنا » والحب نضوا ضيلاً  
فهو يجعل الذكر دواء قارة ، ويجعله داء قارة اخرى ! ولنا نتخذ من ذلك  
دليلاً يرضاه المنطق عن خلود الصباية ، والعالم كله لن يرزق الخلود ، ولكننا  
نستدل به على الحيرة يرزأ بها المتم المحزون ، فما يدري ايشفيه الدمع ، ام يزيد  
لوعته اضطراباً ..

على انه لا عيب على الشاعر في ان « تتناقض » خواطره ، لان الشعر كالمرآة  
والنفس دنيا فانية ، تتراعى صورها المختلفة ؛ في لوحة الشعر الجميل .



## الدمع عند الوداع

نذكر هنا نماذج من وصف الدموع عند الفراق ، فمن ذلك قول ابن الرومي :  
لو كنت يوم الفراق حاضراً ومن يطفئ غلة الوجد  
لم تر إلا دموع باكية تقطر من مقلة على خد  
كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد  
وقد يؤخذ على هذه الأبيات ما فيها من الغزل في غير حينه : وهو قول أبي  
فواس في جنان :

يا قرأ أبصرت في مآتم يندب شجراً بين أتراب  
يسكي فيذري الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب

والأدباء يرون هذا من وثبات الخيال ، ونراها أخيلة عادية ليس لها جمال  
خاص ، فقد يمد الشاعر في الجميلة الباكية ما ينسيه وصف طرفها الساحر وخذها  
الاسيل !! وقد أجاد ابن الرومي أو كاد في قوله :

تلاقينا لقاء لافتراق كلانا منه ذو قلب مروع  
فما افترت شفاه عن ثغور بل افترت جفون عن دموع

وبما جمع بين براعة التصوير ، ومتانة التعبير ، قول المتنبي :

لما تقطعت الحمول تقطعت نفسي أسي وكأنهن طلوح  
وجلا الوداع من الحبيب بحاسناً حسن العزاء وقد جلبن قبيح  
فيه مسامة ، وطرف شاخص وحشاً يذوب ومدمع مسفوح  
يحد الحمام ولو كوجدي لانبى شجر الأراك مع الحمام ينوح

وقال مهيأ في الاعتذار عما للودع من الزفرات والعبرات :

دعوني فلي ان زمت العيس وقفة أعلم فيها الصخر كيف يلين  
وخلوا دموعي أو يقال نعم بكى وزفرة صدري أو يقال حزين

فلولا غليل الشوق أو دمة النوى لما خلقت لي اضلع وجفون  
وهي مدافعة حسنة تذكرنا بقول صرذر :  
إذا لم أفز منكم بوعد فتظرة اليكم فما نفمي بسمي وناظري  
وقال السري الرفاء في ذكر مظاهر الوداع : من اللوعة ، والحنين ، وتحديد  
الحقد بالدمع ، مع ذهاب العزاء :

وقفنا النوى على الكره منا موقفاً ضم شائناً ومشوقاً  
حال ورد الحدود فأضحى الذرجس الغض بالدموع غريقاً  
لوعة افطت فعادت حريقاً وحنين أربى فساد شقيقاً  
وخليق بلوعة الحب صب لم يكن بالعزاء فيه خليقاً  
ومن شعبي الشعر في ذلك قول الشريف الرضي :

ولما تواقفنا ذهلت ولم يحن لطير قلوب العاشقين وقوع  
عشية لي من رقبة الحبي زاجر عن الدمع إلا أن تشد دموع  
وقد امرت عيناك عيني بالبكا فقل لي أي الآمرين أطيع

ولهذا الشعر مزية خاصة : وهي ترتيب المعاني ترتيباً لولا حيرة المودع لكان  
غاية في الوضوح . ولا يفوتنا ان نذكر هنا قول ابن زريق :

ودعته وبودي لو يودعني صفو الحياة واني لا اودعه  
وكم تشفع بي أن لا أفارقه وللضرورات حال لا تشفعه  
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وادمعي مستهلات وادمعه

ومن الشعراء من يفرح بالوداع ، إذ يمكنه من معشوقة قد لا تراها العين إلا  
عند الرحيل . فمن ذلك قول البحاري :

إن للبين نعمة لا تؤدي ويداً في قماضر بيضاء  
حجبوها حتى بدت لفراق كان داءً لعاشق ودواء  
أضعلك البين يوم ذاك وأبكي كل ذي صبوة وسر وساء  
فجعلنا الوداع فيه سلاماً وجعلنا الفراق فيه لقاء

وفي هذا المعنى يقول بعض الظرفاء :

لم أنس إذ ودعته والتقى      ذا البدن الناعم والناحل  
كأنما جسمي على جسمه      غصنان ذا غصن وذا ذابل  
يارب ما أطيب ضمي له      إلي لولا أنه راحل !

وقد ألم الشريف بهذا المعنى في هذه الأبيات :

أفي كل يوم لفظة ثم عبرة      على رسم دار أو مطي موقف  
وركب على الأكوار يثني رقايبهم      لداعي الصبا عهد قديم ومألف  
فمن واجد قد ألزم القلب كفه      ومن طرب يعلو اليفاع ويشرف  
ومستعبر قد اتبع الدمع زفرة      تكاد لها عوج الضلوع تثقف  
قضى ما قضى من أنة الشوق وانثنى      بدار الجوى والقلب يهفو ويرجف  
ولم نغن حتى زایل البعد بيننا      وحتى رمانا الأزل المتطرف (١)  
كان الليالي كن ألين حلقة      بأن لا يرى فيهن شمل مؤلف  
أيا وقفة التوديع هل فيك راجع      إشارته ذاك البنان المطرف  
وهل مطمعي ذاك الغزال بلفظة      وإن ثورالركب العجال وأوجفوا (٢)

وهذه الأبيات وصف سابغ للمرور بمنازل الاحباب ، ولكن فيها تصويراً  
لانتهاج الحسن عند الوداع ، وإمتاع العين باللفظة وإشارة البنان ، وليست هذه  
المتعة بالشيء القليل !

---

(١) لم نغن : لم نغم . والأزل المتطرف هو الدهر . . (٢) أوجفوا : أسرعوا

## الدمع بعد الفراق

ذكرنا في الكلمة السالفة مذاهب الشعراء في وصف الوداع ، واليوم نذكر من شعرهم في الدمع بعد الفراق . فمن ذلك قول دعبل في راحلين ما يدري ابلقاهم وهو حي ، ام ينتظرهم في عالم البقاء :

ألم يأن للسفر الذين تحملوا إلى وطن قبل المات رجوع  
فقلت ولم املك سوابق غبرة نطقن بما ضمت عليه ضلوع  
تبين فكم دار تفرق شملها وشمل شتيت عاد وهو جميع  
طوال الليالي صرفهن كما ترى لكل اناس جدبة وربيع

ويذكر صاحب « موامم الادب » ان المأمون كان يعجب بهذه الابيات ، وكذلك كان المؤلفون « يسجلون » إعجاب الملوك بما يقول الشعراء ، كأن الشعر « تقود » لا يتداولها الناس إلا إن حملت شارات الملوك !! على ان من العدل ان نذكر بهذه المناسبة ان إقبال المأمون على الشعر الجيد ، وتشجيعه للشعراء الجاهدين ، كان مما رفع الادب ونهض بالادباء . وهناك ظاهرة اخرى لا عجب المأمون بهذه القطعة الوجدانية : هي إقبال كرائم النفوس على مناهل الوفاء ، وان اسبغت عليها نعمة العلم والجاه !! ولنا ان نقول : ان في عجز العلم والملك عن قتل الحب في صدور الملوك والعلماء لدليلا على ان نعم الوجود تتلاشى امام هذه النعمة الساحرة ، القاهرة : نعمة الجمال !! وفي الفزع من الموت قبل اللقاء ، يقول الطغرائي :

اني لأذكركم وقد بلغ الظما مني فأشرق بالزلال البارد  
واقول ليت احبتي عاينتهم قبل المات ولو بيوم واحد  
وللشريف الرضي في الوجد بعد الفراق شعر باك حزين كقوله :  
الدمع مذ بعد الخليط قريب والشوق يدعو والزفير يجيب  
ان لم تكن كبدي غداة وداعكم ذابت فأعلم انها ستذوب



دائه طلبت له الأساة فلم يكن      الا التعلل بالسد موع طيب  
اما اقامت فان دمعي غالب      لمواذلي وتجلدي مغلوب  
ومن الشعراء من يتفقد دمه ، فيوصي بالبكاء عنه ، كما قال الشريف :

ايها الرائح المفنذ تحمل      حاجة للتميم المشتاق  
إقر عني السلام اهل المصلى      فبلاغ السلام بعض التلاقي  
واذا ما مررت بالخيف فاشهد      ان قلبي اليه بالاشواق  
واذا ما سئلت عني فقل نض      وهوى ما اظنه اليوم باق  
ضاع قلبي فانشده لي بين جمع      ومنى عند بعض تلك الحداق  
وابك عني فطالما كنت من قب      ل اعير الدموع للعشاق  
وتذكرنا هذه الابيات بقول عبد الرحمن الداخل :

ايها الراكب الميم ارضي      إقر من بعضي السلام لبعضي  
ان جسمي كما علمت بأرض      وفؤادي ومالكيه بأرض  
قدر البين بيننا فافترقنا      وطوى البين عن جفوني غمضي  
قد قضى الله بيننا بافتراق      فمسي باجتماعنا سوف يقضي  
ومن الشعراء من يبكي في القرب والبعد ، كما قال بعض الظرفاء :

وما في الارض اشقى من محب      وان وجد الهوى حلو المذاق  
تراه باصياً في كل حال      مخافة فرقة او لاشتياق  
فببكي ان نأوا شوقاً اليهم      ويبكي ان دنوا خوف الفراق  
فتسخن عينه عند التناي      وتسخن عينه عند التلاقي

وليس لنا الا ان نذكر أمثال هذا الشاعر بما قاله الاخطل لعبد الملك بن  
مروان وقد سأله كيف تشرب الخمر : واولها مر ، وآخرها سكر ؟ فقال  
صدقته يا امير المؤمنين ! ولكن بين السكر والمرارة لحظة دونها ملكك الطويل  
المريض !

وبين دموع التلاق ، ودموع الفراق ، لحظة دونها حياة الابرار في جنات  
النعم 11

ومن الشعراء من يتوجع على عهده قبل الفراق . كقول الشريف :  
هل عهدنا بعد التفرق راجع او غصنا بعد التسلب مورك  
شوق اقام وانت غير مقيمة والشوق بالكلف المعنى اعلق  
ما كنت احظى في الدنوف كيف بي واليوم نحن مغرب ومشرق  
وفي البيت الاخير حسرة تذيب لفائف القلوب .

وقد اجاد الارجاني في وصف اليأس بعد الفراق ، حين قال :  
رحلوا : امام الركب نشر عيبرهم ووراءهم نفس المشوق الصادي  
فكان هذا من وراء ركابهم حاد لها وكان ذلك هادي  
لله موقف ساعة يوم النوى بنى واقمار الحدوج بواد  
لما تبعت وللمشيح غاية اظمانهم وقد امتلكن قيادي  
اتبعتهم عيني وقلبي واقفاً فوق الثنية والمطي غواد  
كيف السبيل الى التلاقي بعدما ضرب القيور عليه بالاسداد  
والحي قد ركزوا الرماح بمنزل فيه الأطباء ربائب الاساد  
وعد النى بهم فقلت لصاحبي كم دون ذلك من عدى وعواد  
عهدي بهم وهم بوجرة جيرة سقيت عهدهم بصوب عهد  
فالיום من نفس التسم اذا مرى نبغي شفاء علائل الاكباد  
ومن العشاق من يقف بالديار فيكي لما صنعت بها ايدي الفراق حين نفرت  
عنها الأطباء ، كسبط ابن اسباذي حين يقول :

يا موقفاً بالبان لم تثر لنا غير الصباية والامى شجراته  
هل نفرت لا نفرت غزلانه او صوحت لا صوحت باناته  
عهدي به يلوي الديون قضاته وتصيد ألباب الرجال مهاته  
فالיום لاجيرانه جيرانه قدما ولا فتياته فتياته  
يا حادي الاظمان في آثاركم قلب تقطعه جوى حسراته  
ولقد يرى ثبت الحصاة فياله . امست تذوب على البعاد حصاته (١)

## شكوى الصبابة

نظرت ما قال الشعراء في الشكوى فاذا هم مختلفون : فمنهم من يشكو الى من يعلم السر والنجوى ، ومن يقدر على تصريف الخواطر ، وتقليب القلوب .

ألا لدواد الحديد بقدرة مليك على تيسير قلبك قادر  
وهؤلاء اصدق الناس حبا واحسنهم ايمانا . وسيدهم ابو صخر الهزلي حين يقول :

بيد الذي شفف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهم  
فانه جعل الهوى قدراً ، وجعل الامر في تيسير قلب من هوى وتذليله للذي خلق الحب ، واودع الدل فيه . ولم اجد في هذا المعنى اوجع من قول قيس ابن زريح :

الى الله اشكو فقد لبني كما شكا الى الله بعد الوالدين يتم  
يتيم جفاه الاقربون قدمه غزير وعهد الوالدين قديم  
واذا كان محالا ان يجد المرء بعد ابويه من يعوله ، ويحذب عليه ، ويمنحه من العطف والحنان ما كان جديراً ان يفوز به لو عاش ابواه ، فكذلك لا يجد قيس من بين النساء من من تهره برلبنى . وهذا وجه الحسن في هذين البيتين ، اللذين يفيضان ناراً وحرقة . وقال ابن المعتز :

الى الله اشكو الشوق لا ان لقيتها يقل ولا ان بنت يخلفه الدهر  
مقيم على الاحشاء قد قطعت به فساعته يوم وليته دهر  
ولم يذكر الشاعر هنا من موجب الشكوى غير فرط حبه ، وخلود وجده . وانما يشكو الحب قسوة الهجر ، ومرارة الصدود : وقال معين الدين الخطيب في الشكوى من لوعته وحسن محبوبه :

اشكو الى الله من نارين واحدة في وجنتيه واخرى منه في كبدي  
ومن سقامين سقم قد احل دمي من الجفون وسقم حل في جسدي  
وهذا شعر منتقد . فانه إذا صح ان يشكو الحب إلى الله سقمه ووجده ،  
أملا في الراحة من بلاء الحب ، فما الذي يريده بشكوى السقم في جفن محبوبه  
والنار في خديه ؟ وقد أجاد أو قارب في قوله :

ومن نحو مين دمعي حين أذكره يذيع صري وواش منه للرصد  
ومن ضعفين صبري حين يهجرني ووده ويراہ الناس طوع يدي  
فانه لا بأس من شكوى الواشي والود الضعيف !

ومن المحبين من يشكو إلى المعاهد والرسوم . وهو نوع من الوله ، وصنف  
من الصباية . تقربه عين الحب . وتطيب به نفس المشوق . كقول ابن المعتز :

أياسدرة الوادي على المشرع المذب سقاك حياحي الثرى ميت الجذب  
كذبت الهوى إن لم أقف اشتكي الهوى اليك وإن طال الطريق على صحي  
اصانع اطراف الدموع ومقلتي موقرة بالدمع غرباً على غرب  
وهل هي إلا حاجة قضيت لنا ولوم تحملناه في طاعة الحب  
تبدلت شيئا بالشباب فان تطر شياطين لذاقي يقعن على قرب  
ومنهم من يشكو إلى المسعد والرفيق . وهو أصل هذا الباب . ومنه هذا  
البيت السائر :

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يرأسك أو يسليك أو يتوجع  
ويعجبني في هذا المعنى قول البهاء زهير :

أين من يرحمني أشكو له إنما الشكوى إلى من يرحم  
أنا من قلبي ومنها آيس لم يكن من مقلتيها يسلم  
أيها السائل عن وجدي بها إنه اعظم مما تزعم  
ولقد حدثت عن شرح الهوى أنت يا رب بجالي أعلم  
طال ما ألقاه من نار الجوى وحديثي لك يا من يفهم  
عشق الناس ومثلي لم يكن فاعلموا الي فيهم علم

سطرت قبلي احاديث الهوى وبسك من حديقي تحتم  
وهذا شعريشف عن كثير من سلامة الذوق ، وخفة الروح . ولعلك لا تجد  
أظرف من قوله :

أين من يرحمني أشكو له انما الشكوى إلى من يرحم  
فانه خير ما قيل في معناه ... ومن المفرمين من يشكو إلى حبيبه وهو  
أوجب لرحمته ، وأدعى إلى إنصافه . ومنه قول الطغرائي :

لعمرك ما يرجى شفائي والهوى	له بين جسمي والمظام ديب
اجلك ان اشكو اليك وأنطوي	على كمدي ان الهوى لعجيب
وآمل براء من هوى خامر الحشا	وكيف بداء لا يراه طبيب
نصيبك من قلبي كما قد عهدته	وما لي بحمد الله منك نصيب
وما ادعى الا اكتفاء بنظرة	اليك ودعوى العاشقين ضروب
وما بحت بالسر الذي كان بيننا	ولكننا لحظ الحب مريب

وقوله « نصيبك من قلبي كما قد عهدته » مأخوذ من قول ابن الأحنف :

اليك اشكو رب ما حل بي	من صد هذا التائه المحجب
صب بعصياتي ولو قال لي	لا تشرب البارد لم أشرب
ان قال لم يفعل وان سيل لم	يبدل وان عوتب لم يعتب

وقوله « وما أدعى الا اكتفاء بنظرة » مأخوذ من قول الشريف :

عشقت وما بي يعلم الله حاجة سوى نظري والعاشقون ضروب  
وما حسنت معانيه وصحت تقاسيمه - في الشكوى الى المحبوب - قول  
بعض الاعراب :

شكوت فقلت كل هذا تبرا	بحي أراح الله قلبك من حي
فلما كتمت الحب قالت لشد ما	صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدلو فتقصيني فأبعد طالبا	رضاه فتعند التباعد من ذني
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها	وتجزع من بعدي وتنفر من قرني
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها	أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

وهذا شعر الطبع والسليقة ، والموفقون الى مثله قليل .

وقد اجاد في هذا المعنى من شعراء العصر حافظ بك ابراهيم حين قال :

كم تحت اذيال الظلام متم	دامي الفؤاد وليله لا يعلم
ما انت في دنياك أول عاشق	راميه لا يحسنو ولا يترحم
أهرمتني يا ليل في شرح الصبا	كم فيك ساعات تشيب وتهرم
لا انت تقصر لي ولا انا مقصر	اتعبتني وتعبت ، هل من يحكم
لله موقفنا وقد ناجيتها	بعظم ما يخفي الفؤاد ويحكم
قالت من الشاكي تسائل سرها	عني ومن هذا الذي يتظلم
فأجبتها وعجبين كيف تجاهلت	هو ذلك المتوجع المتالم
انا من عرفت ومن جهلت ومن له	لولا عيونك حجة لا تفحم
اسلمت نفسي للهوى واظنها	مما يحشمها الهوى لا تسلم
وأتيت يحدوني الرجاء ومن اتى	متحرماً بفنائكم لا يحرم
أشكو لذات الخال ما صنعت بنا	تلك الميون وما جناه المعصم
لا السهم يرفق بالجريح ولا الهوى	يبقي عليه ولا الصباية ترحم
لوتنظرين اليه في جوف الدجى	متعللاً من هول ما يتجشم
يشي الى كنف الفراش محاذراً	وجلا يؤخر رجله ويقدم
يرمي الفراش بناظريه وينثني	جزعاً ويقدم بعد ذاك ويحجم
فكانه واليأس ينسف نفسه	للقتل فوق فراشه يتقدم
رشقت به في كل جنب مدية	وانساب فيه بكل ركن ارقم
فكانه في هوله وسعيه	واد قد اطلعت عليه جهنم
هذا وحقك بعض ما كابدته	من ناظريك وما كتمتك اعظم
قالت اهذا انت ويحك فالتد	حق م تنجد في الغرام وتهم
انا سمعنا عنك ما قد راينا	وأطال فيك وفي هواك اللوم
اصغت الى قول الوشاة فأسرفت	في هجرها وجنت علي واجرموا
حتى اذا يش الطيب وجاءها	انى تلفت تندمت وتندموا

وأنت تعود مريضها لا بل ائت مني تشيع راحلا لو تعلم  
وفي هذه القصيدة صورة شعرية بديعة ، تمثل العاشق ، وقد طال عليه الليل ،  
وهجر جفنيه المنام . وهي غاية في حسن القصص ، وسحر البيان .  
ولنذكر الشكوى الى ساقى الراح في قول ابن المعتز :

ايها الساقى اليك المشتكى قد دعوتك وان لم تسمع  
ونديم همت في غرتك ويشرب الراح من راحته  
كلما استيقظ من سكرته جذب الزق اليه واتكا  
وسقاني اربعاً في اربع

ما لعيني عشيت بالنظر انكرت بعدك ضوء القمر  
واذا ما شئت فاسمع خبري عشيت عيناى من طول البكا  
وبكى بعضي على بعضي معي

غصن بان مال من حيث التوى مات من بهواه من فرط الجوى  
خفق الاحشاء موهون القوى كلما فكر في البين بكى  
ويحه يبكي لما لم يقع ا

ليس لي صبر ولا لي جلد يا لقومي عذلوا واجتهدوا  
انكروا شكواي بما اجد مثل حالي حقه ان يشتكا  
كد البأس وذل الطمع

كبد حرى ودمع يكف اصرف الدمع فلا ينصرف  
ايها المعرض عما اصف قد نما جي بقلبي وزكا  
لا تقل في الحب اني مدعي

وفي هذه الموشحة شكوى أليمة . تهم بثلها النفس الشجية ، من حين الى  
حين ؟

وتعجبني شكوى ابن الرومي في قوله :

ظبي يصيد ولا يصاد محاذر نبل الهوى وحبائل الايناس  
غر شמוש ان احسن بريية اعجب يجامع غرة وشماس

يسيى القلوب بمقلة مكحولة      بفتور غنج لا فتور نماس  
يا للرجال ألا معين لأيد      صب الفؤاد على ضعيف قاس<sup>(١)</sup>  
ايضيمني خنث الشائل لو نضا      عنه غلالته حساه الحاسي ؟  
ومن العجائب ان تحل ظلامه      بفتى اناس من فتساء اناس

ومن المعذنين من يبت شكواه من دهره واخوانه الى صديق ' اقصته في بره  
الليالي . ومن شعراء العصر من قارب الإجادة في هذا المعنى ، كصاحب البدائع  
حين يقول <sup>(٢)</sup> :

انت الذي علمتني      يا سيدي بر الصديق  
وتركتني في فتية      ما فيهم بر رفيق  
لم ألق بعدك منهم      الا الجفاء او العقوق  
حتى كأني لم ابت      منهم على عهد وثيق  
وكأنهم لم يبصروا      في خلتي الحر الصدوق  
فنسوا هواي ولم يبق      من ودم قلبي المشوق  
ونسوا طريف حديثنا      عند الصبوح او الغبوق  
ليت الهوى ما قادي      يوماً الى ذاك الطريق  
أوليتني لم الخدع      جهلاً بهاتيك البروق  
بل ليتني بعد الذي      عانيت من صبحي افيق

مولاي لو ابصرتني      لفزعت من دمعي الطليق  
وشجاك جسمي ناحلاً      وكأنه الطيف الطروق  
أشكو اليك وانما      يشكو المضم الى الشفيق  
فارحم فديتك مهجة      أودى بها الحزن العميق

(١) ايد : قوي . من الأند يسكون الباء وهو القوة

(٢) أرسلت هذه القصيدة للصديق العزيز عمده محمود حسين



حزن يتقطع في الحشا فكأنه غدر الصديق

•

يا ويح قلبي لم يزل يهفو به الروح الحفوق  
وتقصوده الذكرى الى عهد الهوى الغض الرقيق  
أيام نمرج في الصبا في ذلك العيش الانيق  
أيام نسقى في الهوى والود كأساً من رحيق  
تلك الليالي لم تدع من بعدها حسناً يروق  
كلا ولا خلت لنا الا الزفير او الشهيق



## عند منازل الاحباب

كان ابو نواس يكره الشعر في بكاء الرسوم والاطلال ، وادباء هذا العصر  
يعدون هذه النزعة توديعاً للقديم ، وترحيباً بالجديد ، وهذا حق ادا لوحظ ان  
الشعراء كانوا يبدأون قصائدهم ببكاء الديار ، وان لم يكونوا ينار الفراق من  
المحرقين ! ولكن من العبث في تحليل العواطف ان نجعل ما يجده المحبون عند  
المرور بديار احبابهم المبعدين ، ومن الغبن للآداب العربية ان تغفل ما قيل في  
منازل الاحباب من الشعر الباكي الحزين ؟ وها نحن اولاء نبسط القول عن هذه  
الوقفه الاليمه ، وقفه الحب على ديار خلت غرفها من الطباء الفرائر ، وعفت  
سررها من النساء الحرائر ، بعد ان كان ساكنوها امل الآمل ، وامنية المتمني !!  
فمن ذلك قول بعض الاعراب وقد وقف ( بالحزن ) يفتح الحاء - وكان ملعب  
شبابه ، ومنتدى هواه ، وصورة أيامه الخوالي :

ومستنجد (بالحزن) دمعاً كأنه	على الحد مما ليس يرقاً حائر
اذا ديمة منه استقلت تهلت	اوائل اخرى ما هن اواخر
ملا مقلتيه الدمع حتى كأنه	لما انهل من عينيه في الماء ناظر
وينظر من بين الدموع بمقلة	دمى الشوق في انسانها فهو ساهر

وفي هذا المعنى يقول ابن الملوح :

نظرت كأنني من وراء زجاجة الى الدار من ماء الصبابة انظر  
فميناي طوراً تفرقان من البكا فأعشى وطوراً يحسران فأبصر  
وبما يغري القلب بالحزن ، والعين بالدمع ، قول البحري :

وقفنا فحيينا لاهلك بالاولى ربوع ديار دارسات المعالم  
ذكرنا الهوى العذري فيها فأنسيت عزاها مشوقات القلوب الهوام  
خلعنا بها عذر الدموع فأقبلت تلوم وتلحي كل لاح ولائم

لقد حكم البين المشتت بالبلبل عليك وصرف الدهر اجورحاً كم  
لعل الليالي يكتسبن بشاشة فيجمعن من شمل الهوى المتقادم

ونود لو تأمل القارئ ما في هذه الايات من الترتيب والتنسيق : فقد  
وقف الشاعر بالديار ، ثم حياها وهو يتنقل بروحه بين الشقاء الحاضر والنعيم  
الماضي ، ثم اشتعل الحزن في قلبه اشتعالا ، فنسي جمال الصبر وحسن العزاء ،  
فاندفع يبكي وينتحب ، ثم اغرب في البكاء والنحيب ، حتى خضع عاذلوه ،  
وخضع لاثمه ! ! ثم توجه للديار بما حكم عليها البين وصنعت بها الليالي ! ! ثم  
تمنى لو ضحك الزمن بعد العبوس ، فاجتمع الشمل بعد الفراق ! ! وقال ابو  
فراس :

علي لربيع العامرية وقفة ليملئ علي الشوق والدمع كاتب  
فلا وابي العشاق ما انا عاشق ادا هي لم تلعب بصبري الملاعب  
ومن مذهبي حب الديار واهلها وللتاس فيما يمشقون مذهب

ولا يفهم احد كيف يكون حب الديار واهلها مذهباً لأبي فراس ، مع ان  
اياته هذه ليست شيئاً في جانب ما قيل في منازل الاحباب ، ويكفي ان  
نذكر قول نبهان العبسي في البئر الذي كانت تشرب منه حبيبته سليمي :

سأسري الى الماء الذي شربت به سليمي وان مل السري كل واحد  
والصق احشائي يبرد ترابه وان كان مخلوطاً بسم الاسود

ويذكرني هذا بقول بعض الاعراب في ( الوشل ) وهو ماء كان يطالع عنده  
وجوه الكواعب :

اقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب مذ هجرت دميم  
سقياً لطلبك بالعشي وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم  
لو كنت املك منع مائك لم يذق ما في قلاتك ما حييت لثم<sup>(١)</sup>  
وللشريف الرضي في بكاء الديار بدائع ، فمن ذلك قوله :  
تأفر صبحي يوم ذي الأثل زفرة تذوب قلوب من لطاها واضلع

---

(١) القلات جمع قلت بفتح فسكون وهو النقرة تكون في الصغرة .

منازل لم تسلم عليهن مقلة ولا جف بعد البين فيهن مدمع  
قدمع على بالي الديار مفرق وقلب على أهل الديار موزع  
ألا ليت شعري كل دار مشتة ألا موطن يدنو بشمل ويجمع

ومن جيد شعره في هذا المعنى قوله من كلمة ثانية .

وقفت على تلك الديار ووحشها دوان ومن يحكين غير دوان  
فأنكرت العينان والقلب عارف قليلا ولجا بعد في الهللات

وهذا آخر ما يقال في رسوم الديار ، فحسب اطلاقها من البلى ، ورسومها  
من العفاء ، ان تنكرها العينان ، ولا يعرفها القلب إلا قليلا ! والادباء ينكرون  
أن يتردد القلب في معرفة دار كانت بالأمس جنة ونعما ، ويمجبون بقول طريح  
ابن اسماعيل الثقفي :

تستغبر الدمن القفار ولم تكن لترد اخباراً على مستغبر  
فظللت لحكم بين قلب عارف مغنى أحبته وطرف منكر

ومن الشعراء من يرى الديار الخالية ، وكأنها بأهلها مأهولة ، كأبي نواس  
حين يقول :

لمن دمن تزداد طيب نسيم على طول ما اقوت وحسن رسوم  
تجافى البلى عنهن حتى كأنما لبسن على الاقواء ثوب نعيم  
وكقول الاخطل :

لأسماء محتل بناظرة البشر قديم ولما يعفه سالف الدهر  
يكاد من العرفان يضعك رسمه وكم من ليال للديار وكم شهد

وكقول ابن احرر العقيلي :

تراها على طول القواء جديدة وعهد المغاني بالحلول قديم

والمعروف في هذا المعنى ان الديار تبعد مثل ما يجعد المنتم المحزون ، كقول  
محمد بن وهب :

طللان طال عليها الامد درسا فلا علم ولا قصد  
لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الاحبة مثل ما اجد

وكقول مالك ابن اسماء الفزاري :

بينام سكن لجارهم      ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا  
فظللت ذا وله يعاتبني      من لا يرى مثلي له أمرا  
بكت الديار لفقد ساكنها      أفعند قلبي ابتغي الصبرا

ومن بديع الشعر في هذا الباب قول ابن سنان الخفاجي :

ولما وقفنا بالديار وعندنا      مدامع نسدبها لكم ونثيرها  
شكونا اليها ما لقينا من الضنى      فعرفنا كيف السقام دثورها  
وقد درست إلا اماراة ذاكر      تلوح له بعد التماذي سطورها  
خليلي قد عم الاسى وتقاسمت      فنون البلى عشاق ليلى ودورها  
فلا دار إلا دمنة ورسومها      ولا نفس إلا لوعة وزفيرها  
لعمر الليالي ما حدث قديمها      فيوحشني ذهابها ومرورها  
وقالوا عطاء الدهر يبلى جديده      ومن لي بدنيا لا يزول سرورها

ونود لو نأمل القارىء ابداع ابن سنان في هذين البيتين :

خليلي قد عم الاسى وتقاسمت      فنون البلى عشاق ليلى ودورها  
فلا دار الا دمنة ورسومها      ولا نفس إلا لوعة وزفيرها

وحسب الماشق من موجب الاسى ، وداعي الحزن ، ان يرى منازل احبابه  
هامدات ، باليات !

تعفوا المنازل ان نأوا عنها وتغير البلاد  
والحي اولى بالبلى شوقا اذا بلى الجماد

وهل تأملت كيف شكا الى الديار ما لقي من الضنى ، وكيف عرف ما به  
من السقم لما تبين دثورها ، وتعرف عفاها ! ويا ليت شعري هل شكت اليه ما  
تجد اليه من بعد سكانها ، وبين ملاكها ؟ اما والهوى انها لتشكو في صمتها  
الرهيب : إذ كانت تحزن بغير قلب ، وتبكي بغير دمع ! !

كفى حزنا للهائم الصب ان يرى      منازل من يهوى معطلة قفرا  
ومما يقرب من فلسفة الشعر ، وفقه الادب ، في بكاء الرسوم الهوامد ،

والاطلال الدوارس ، مع الافصاح عن الاسى والبث ، والشجى والحزن ، قول  
ابن الخياط في ديار لقيت من بعد سكانها ما لقي المحب بعدهم من الضنى والنحول :

وقفت اداري الوجد خوف مدامع تبيح من السر المنع ما احمي  
أغالب بالشك اليقين صباية وأدفع من صدر الحقيقة بالوهم

وهذا من خير ما قيل في مصانعة النفس ، ومغالبة الوجد : فقد عرف الديار  
بقلبه ، لما ضمنت منه الضلوع لاهلها النازحين ، وانكرها بطرفه ، لما لقيت من  
الدثور والعفاء ، فهو يريد ان يعتصم بالشك ، لينجو من قسوة اليقين ، ولكنه  
غلب على امره فقال :

فلما ابى إلا البكاء لي الاسى بكيت فلما ابقيت للرسم من رسم  
كأني بأجزاع النقيبة مسلم إلى ثائر لا يعرف الصفع عن جرم  
يرحمه الله ! فهل رأى ثائراً أظلم من الوجد ، وحاكماً اجور من الصباية ! ثم  
اخذ يتقارن بين بليته ودلية الديار ، فقال :

لقد وجدت وحدي الديار بأهلها ولولم تجد وحدي لما سقمت سقمي  
عنين رسم للفراق وانما علي له ما ليس للنار من رسم

وهذا من الابداع في وصف الديار الخالية ، وهل تجد المنزل بعد اهله إلا  
باكياً حزيناً ؟ اوليست وحشة المنزل الخالي ذلة بادية يطالع بها الرائح والغادي ،  
عساه يعرف شيئاً عن سكاته الراحلين ، وملاكه الغائبين ؟ ان السكان للمنازل  
كالارواح للجسام ، فاذا ارتحلوا آن حمامها ، وحان دثورها ، وحل دمارها !  
وقد رأى الشاعر بعد ذلك ان البين جائز في قسمة الضنى بينه وبين المنزل الخالي ،  
فقال :

وكم قسم البين الضنى بين منزل وبينني ولكن الهوى جائز القسم  
منازل ادارس شجاني نحوها فهلا شجها ناحل القلب والجسم  
وهذه استغاثة بالطلل البالي ، يشعر بثلمها ذو اللوعة الحزين !

وكان ابن الخياط من اغزر الناس دمعاً عند مغاني الاحباب ، فمن ذلك  
قوله :

يا عمرو ما وقعة في رسم منزلة      اثار شوقك فيها نحو آثار  
أنكرت فيها الهوى ثم اعترفت به      وما اعترافك إلا دمعك الجاري  
لو كنت ناسي عهد من تقادمه      نسيت فيها لبائقي وأوطاري  
أيام يفتك فيها غير مرتقب      ظي الكناس بليث الغاية الضاري  
لا أرسل اللحظ إلا كأن موقعه      على شمس منيرات واقمار  
ما اطيب العيش لو اني وفدت به      على زمان ودهر غير غدار

وهذا شعر يخالط النفس ، ويلبس الفؤاد ، ومثله في اللوعة قوله من كلمة

ثانية :

أجذك ما تنفك بالتور ناشداً      فؤاداً بنجد ؟ يا لقلبك من نجد ا  
واني لتصميني سهام اذكاركم      وان كان رامي الشوق مني على بعد  
تقادي غرام ليس بحري الى مدى      وفرط سقام لا يقيم على حد  
وما انس لا انس الحمى واهلة      تفضل ومن حق الالهة ان تهدي  
زماناً إخال الجهل فيه من النهى      وحباً اعد الغي فيه من الرشد  
غنين وما نولن نيلا سوى الجوى      وبين وما زودن زاداً سوى الوجد  
خليلي ما احلى الحياة لو انها      لطاعها لم تخلط الصاب بالشهد  
لقد حالت الايام عن حال عهدها      ومن لي بأيام تدوم على العهد

ومن بديع الشعر في بكاء الديار قوله من كلمة طويلة :

وبالجزع حي كلما عن ذكرهم      امات الهوى مني فؤادي واحياه  
تمنيتهم بالرقمتين ودارهم      بوادي القضا يا بعد ما أتمناه  
سقى الوايل الربيعي حائل ربيعهم      وراوحه ما شاء روح وغاداه  
وجر عليه ذيله كل خاطر      إذ امشى في عاقل الترب حلاه  
وما كنت لولا ان دمعني من دم      لأجل مناً للسحاب يسقياه

ومن المعاني المولدة في الدمع عند الرسوم قول الارجاني :

وقفت بأطلال الديار مسلماً      وعهدي وملء الوادين قباب  
فأبرق عذالي ملاماً وارعدوا      وامطرت اجفاني فتم سحب

به غنيت ارض الحمى عن مصبح يقول سقى دار الرباب رباب  
وهو خيال يبدو كأنه طريف ، ولكنه من الاخيلة الجوفاء ! وفي هذا المعنى :  
يقول ابن التعاويذي :

سقى دار الحبيب وإن تناءت      ملث مثل اجفاني هطول  
ولا برحت تسحب للغواذي      وطوراً للصبا فيها ذبول  
فجفني والغمام لها غدير      وقلبي والنسيم بها عليل  
وعنفني على العبرات صحي      عشية قوض الحي الحلول  
وقالوا استبق للاحباب دمعا      فقد شرقت بأدمعك الطلول  
معاذ الحب ان ألقى حمولا      وقد سارت بمن اهوى الجلود  
وعاران ترم ليوم بين      جماهم ولي صبر جميل

ومن الشعراء من يجعل الحنين إلى الوطن كناية عن الحنين إلى ليالي الشباب  
التي قضاها برأى من كواكبه السواطع ، ونجومه اللوامع . وقد نوه بذلك  
صاحب زهر الآداب فذكر ان ابن الرومي جاء إلى علي بن عبد الكريم النصيبي  
واتشده هذه القطعة البديعة :

ولي وطن آليت ان لا ابيعه      وان لا ارى غيري له الدهر مالكا  
عمرت به شرح الشباب منعا      بصحبة قوم اصبحوا في ظلالكا  
وحبب اوطان الرجال اليهم      ماكرب قضاها الشباب هنالكا  
إذا ذكروا اوطانهم ذكرت لهم      عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا  
فقد ألفتة النفس حتى كأنه      لها جسد إن بان غودر هالكا

ثم قال : انصفني وقل الحق . ايها احسن ؟ قولي في الوطن ام قول الاعرابي

احب بلاد الله ما بين منعج      إلي وسلمى لا يصوب سحابها  
بلاد بها نيطت علي تمائي      واول ارض مس جسمي ترابها

فقال له : بل قولك احسن ، لأنه ذكر الوطن ومحبه . وانت ذكرت  
العمة التي اوجبت ذلك ! ! وقد يشعر القاريء بالحاجة إلى معرفة المخاطب في  
قول ابن الرومي :



عمرت به شرح الشباب منعمًا بصحبة قوم أصبحوا في ظلالها  
وخلصة الحديث ان القطعة التي نقلناها من شعر ابن الرومي عن الوطن هي  
جزء من قصيدة قدمها إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من  
التجار أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جدرانها ، فمما فيها من التحريض  
قوله :

وإني وإن اضحي مدلاً بآله      لأمل أن اضحي مدلاً بآلها  
فإن لم تصبني من يمينك نعمة      فلا تخطئته نعمة من شالها  
فكم لقي العافون بدءاً وعودة      نوالك والعادون غير نكالها

وقال ابن الرومي من كلمة أخرى يتشوق إلى بغداد :

بلد صحبت به الشيبية والصبا      ولبت ثوب العيش وهو جديد  
فإذا تمثّل في الضمير رأيت      وعليه اغصان الشباب تميد

والادباء يرون أن مثل هذا الشعر ليس بكاء على الوطن ، ولا بكاء على  
اللهو ، ولكنه بكاء على الشباب ، ويذكرون قول ابن الرومي من كلمة  
ثانية :

لا تلح من يبكي شيبته      إلا إذا لم يبكيها بدم  
عيب الشيبية غول سكوتها      ومدار ما فيها من النعم  
لسنا نراها حق رؤيتها      إلا أوان الشيب والمهرم  
كالشمس لا تبدو فضيلتها      حتى تغشى الأرض بالظلم  
ولرب شيء لا يسر به      وجدانه إلا مع العدم

والذين يؤولون شعر ابن الرومي هذا التأويل يرون أنه تبع في وصف الوطن  
بشار بن برد حين يقول :

متى تعرف الدار التي بان أهلها      بسعدى فإن العهد منك قريب  
تذكرك الأهواء إذ أنت يافع      لديها فمغنما إليك حبيب

ولعلنا لا نبالغ إذا ذكرنا هؤلاء بأن بكاء الشباب ليس إلا بكاء لما انقطع  
بعده من دواعي الطيش ، وموجبات الجنون ، فبعض المقل رزه ، وبعض الوقار

بلاء ، ولكن اكثر الناس لا يفقهون !  
ولقد سافر العباس بن الاحنف مع هرون الرشيد إلى خراسان فاستدعاه ليلة  
لينشده شيئاً من الشعر ، فأنشده هذه الابيات :

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا  
مضى الذي كنت ارجوه وآمله اما الذي كنت اخشاه فقد كانا  
ما اقدر الله ان يدني على شحط سكان دجلة من سكان جيحانا  
فقال له : لقد اشتقت يا عباس ! فأجابه ، نعم يا امير المؤمنين ! فأذن له  
بالرجوع ... وقال ابن ميادة يخاطب الوليد بن يزيد :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بحرة ليلي حيث ربني أهلي  
بلاد بها نيطت علي تمائي وقطعن عني حين ادر كني عقلي  
فإن كنت عن تلك المواطن مانعي فاقتري الرزق واجمع بها شمي  
وهذا البيت من أرق ما قيل في الحنين إلى الأوطان ! وما أدري أكان شوق  
ابن ميادة إلى بلاده رفقا بالأهل والعشيرة ، أم كان برأى فيها من فائنات  
الحدود ، وساحرات العيون ، وقاسيات القلوب ؟ لا يعلم ذلك إلا الذي يقول :  
ومن بينات الحب ان كان أهلها احب إلى قلبي وعيني من أهلي

وقال مالك ابن الرب يتشوق إلى اليمامة ونسيمها العليل :  
سقى الله اليمامة من بلاد نوافجها كأرواح الغواني<sup>(١)</sup>  
وجو أزاهر للريح فيه نسيم لا يروع التراب وافي  
به سقت الشباب إلى مشيب يقبح عندنا حسن الزمان  
وقال بعض الاعراب في توديع نجد ، وما لقي بها من نضارة العيش ، وطيب  
الحياة :

أقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمار  
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار  
ألا يا حبذا نفحات نجد وريا روضه بعد القطار

---

(١) النوافج بالميم نافجة وهي الريح تبدأ بشدة.

وأهلك إذ يحل الحيّ نجداً وانت على زمانك غير زار (١)  
 شهور ينقضين وما شعراً بأنصاف لمن ولا سرار  
 وهذا حنين يندل له عصي الدمع . ويشبهه قول ابن المعتز في دار كانت  
 ملعب صباه :

لا مثل منزلة الدورية منزل	يا دار جادك وإبل وسقائك
بؤساً لدمر غيرتك صروفه	لم يمح من قلبي الهوى ومحاك
لم يحل للعنين بعدك منظر	ذم المنازل كلهن سواك
أي المعاهد منك أندب طيبه	بمساك بالأصال أم مفداك
أم برد ظلك ذي القصور ودي الجنى	أم أرضك الميثاء أم رياك
وكانما سمعت بحامر عنبر	أوفت فار المسك فوق فراك
وكانما حصباء أرضك جوهر	وحكان ماء الورد دمع نداك
وكانما أيدي الربيع ضحية	نشرت ثياب الوشى فوق رباك
وكان درعاً مفرغاً من فضة	ماء الغدير جرت عليه صباك

وبما يقرب من بكاء الديار ذكر منازل اللهو والقصف . وقد كان الشعراء  
 يتخذون الأديار موطناً لعبث الصبا ولعب الشباب ، ولكثير منهم حنين موجه  
 إلى سكانها من ظرفاء الرهبان ، وربما عدنا إلى بسط ذلك في غير هذا الحديث  
 ونكتفي الآن بتفشات العشاق في التغني بمنازل الشراب . فمن ذلك قول محمد بن  
 عاصم المصري في دير القصير ، وقد كان ملعباً للشعراء المصريين :

ان دير القصير هاج اذكاري	لهو ايامنا الحسان القصار
وزماناً مضى حميداً سريعاً	وشباباً مثل الرداء المعار
ولو ان الديار تشكو اشتياقاً	لشكت جفوتي وبعد مزاري
ولكادت تسير نحوي لما قد	كنت فيها سيرت من أشعاري
وكأنني اذ زرتة بعد هجر	لم يكن من منازل ودياري

---

(١) غير زار : غير عاتب

اذ صعودي على الجياد اليه      والمحذاري في المعتقدات الجوارى  
 بصقور الى السماء سواد      وكلاب على الوحوش ضواري  
 منزلا لست محصيا ما لقلبي      ولنقسي فيه من الاوطار  
 كم شربنا على التصاوير فيه      بصغار بحثوة وكبار  
 صورة في مصور فيه ظلت      فتنة للقلوب والابصار  
 أطربتنا بغير شدة فأغنت      عن سماع العيدان والمزمار  
 لا وحسن العنين والشفة الله      بقاء منها وحدها الجلائر  
 لا تخلفت عن مرادي دهرأ      هي منه ولو نأى بي مزارى

وفي دير القصير هذا يقول كشاجم :

سلام على دير القصير وسفحه      فجئات حلوان إلى النخلات  
 منازل كانت لي بهن مأرب      وكن مواخيري ومنتهاتي  
 إذا جئتها كان الجياد مراكي      ومنصرفي في السفن منحدرات

ومن الاديوار التي خلدها الشعراء « دير قنّا » بالقرب من بغداد ، وقد أبدع  
 في وصفه المؤرخون ، ثم طواه الدهر فيما طوى من ملاعب الشباب ، ولم يبق غير  
 ذكره في قول ابن جهور :

يا منزل اللهو بدير قنّا      قلبي الي تلك الربى قدسنا  
 سقيا لأيامك لما كنا      ننتاز منك لذة وحسنا  
 أيام لا أنعم عيشا منا      إذا انتشيننا وصحونا عدنا  
 إذا فنى دن بزلنا دنا      حتى يظن اننا جننا  
 ومسعد في كل ما أردنا      يحكي لنا الفصن الرطيب الدنا  
 احسن خلق الله اذ تحنا      وجس زير عوده وغنا  
 بالله يا قسيس يا باقنا<sup>(١)</sup>      متى رأيت الرشا الاغنا  
 متى رأيت فتني تجنى      آه اذا ما ماس او تشنى

أسأت إذا أحسنت فينا الظنا !

(١) قد يكون اصل الكلمة يا باقنا ثم حذفت الهمزة تخفيفاً والمراد به ساكن دير قنّا

ومن الشعراء من تهيج حفيظته على قطر فينتغني بقطر آخر كان ملعب  
هواه ، كما قال السري الرفاء بمدح الموصل ويذم العراق :

لما الله العراق وساكنيه	فما للحرّ بينهم قرار
وجاد الموصل المبيض غيث	يحود وللبرق به انسفار
كما انهلّت مدامع مستهام	تلهب منه في الاحشاء نار
ففي ايامه حسن التصايي	وفي أفيائه خلج العذار
ليالي كان لي في كل يوم	إلا الحانات حج واعثار
فعن ذكر القيامة بي صدور	وعن ساح المساجد بي نثار
ولي خدتان همها المعالي	وشأنها السكينة والوقار
وساق تضحك الدنيا اليه	إذا ضحكت بكفيه العقار
يطوف بها وقد حملت حباباً	كما حمل السقيط الجلنار <sup>(١)</sup>
كأن الشرب ينتهبون ناراً	لها لهب وليس لها شرار
رأى الدهر اجتماع الشمل منا	فبدده وللدهر الخيار

إلى هنا وقف القارئ على نماذج في بكاء الديار الخالية ، والحنين إلى الوطن  
النائي ، والشوق إلى موطن اللهو والشراب ، فلنذكر شكوى العشاق من المنزل  
القريب المأهول ، حين يصبح أهله كالكواكب قريبة الضوء ، بعيدة المنال !  
وحين يصبح تمنع الحبيب أقصى من النوى ، وأمر من الفراق . وأبدع الشعر في  
ذلك قول راشد بن إسحق الكوفي :

ومستوحش لم يمس في دار غربة	ولكنه بمن يحب غريب
طواه الهوى واستشعر الوصل غيره	فشطت نواه والمزار قريب
سلام على الدار التي لا أزورها	وإن حلها شخص إلي حبيب
وإن حجبت عن ناظري ستورها	هوى تحسن الدنيا به وتطيب
هوى تضحك اللذات عند حضوره	ويسخن طرف اللهو حين يغيب

---

(١) الجلنار : زهر الرمان.

تثني به الاعطاف حتى كأنه  
 ألم تر صمقي حين يجري حديثه  
 وضيت بسعي الدهر بيني وبينه  
 أحاذر إن واصلته ان ينالني  
 أرى دون من أهوى عيوناً تريبني  
 أداري جليسي بالتجلد في الهوى  
 وأخبر عنه بالذي لا أحبه  
 خافة ان تغرى بنا ألسن العدا  
 كأن مجال الطرف في كل ناظر  
 أرى خطرات الشوق يكيّن ذا الهوى  
 وم قد أذل الحب من متمنع  
 وإن خضوع النفس في طلب الهوى  
 إذا اهتز من تحت الثياب قضيب  
 وقد كنت ادعى باسمه فأجيب  
 وإن لم يكن العين فيه نصيب  
 وإياه سهم للفراق مصيب  
 ولا شك اني عندهن مريب  
 ول حين أخلو زفرة ونحيب  
 فيضحك سني والفؤاد كئيب  
 فيطمع فينا كاشح فيعيب  
 على حركات العاشقين رقيب  
 ويصبين عقل المرء وهو لبيب  
 فأضحى وثوب العز منه سلب  
 لأمر إذا فكرت فيه عجيب

وقد نقل صاحب زهر الآداب عن أبي شراعة القيسي انه كان في مجلس العتي  
 مع عبد الصمد بن المزدل ، وانهم تذاكروا ما ابداع المولدون من الشعر الرقيق  
 فقال عبد الصمد أنا في ذلك أشعر الناس ؟ فقال أبو شراعة أشعر منك الذي  
 يقول :

ومستوحش لم يمس في دار غربة ولكنه من يحب غريب

إلى آخر القصيدة . وان عبد الصمد حين سمعها لم ينطق بحرف ! وعندي  
 ان صاحب هذه القصيدة لم يوفق في وصف مشاعره وصفاً منظماً يصح ان يكون  
 « صورة شعرية » بل نراه جمع بين اشياء متنافرة حظها من الائتلاف قليل : ألا  
 تراه يذكر في اول القصيدة انه قريب ، ولكنه في قربه غريب ، لأن إنساناً  
 غيره يتمتع بذلك الحبيب ؟ ثم ألا تراه بعد ذلك يذكر انه يحاذر الوصل طامعاً  
 لئلا يصيبه ويصيب من يواه سهم الفراق ؟ وهذا بالطبع شطط في تصوير النفس  
 المعذبة ، لأن الذي يتصور ان محبوبه قد يطوق بذراع عاشق غيره لا يتغنى بأنه  
 يترك مواصلته اتقاء لعيون الوشاة !

ينقص هذه القصيدة اذن ما أسميه « الصورة الشعرية » ولا يمنع هذا ان تكون في جملتها جميلة لما تحويه من الابيات المختارة . ولئن صح ان العتيبي صادق على ان صاحبها أشعر الناس فإننا نشك في أذواق الادباء الاقدمين ونرتاب في حساستهم الفنية . واحب ان يفهم بعض الناس معنى « الحاسة الفنية » فان كثيراً من أدعياء الادب لا يفقهون ما يقولون وما يكتبون ، فضلاً عن ان يفقهوا ما تنائر على بساط الدهر من ثمرات العقول !

وأمثال هؤلاء يعرفون فقط ما يسمع أو يرى أو يلمس أو يشم أو يذاق ! ولكنهم لا يعرفون ما يدرك ، إذ لم يرزقوا الادراك ! ومحال ان يجدوا طمعا لقول الشاعر :

أسمع في قلبي دبيب المنى      وألمس الشبهة في خاطري

لأنهم لا يدرون أين تكون الخواطر . وأين تكون القلوب ! من اجل هذا اشير على طالب الأدب بأن يتروى ويتريث حين يقرأ آثار الكتاب والشعراء ، وأن لا يعتمد في اختياره على الاذواق العامة لعملاء البيان ، فقد غفل الدهر عن كثير من المتصدرين فظنوا انهم على شيء ، وان الادب لحياتهم مدين !!

وقد يمر العاشق ببیت من يهوى ثم لا يملك التحية ، لأن الوشاة له بالمرصاد . فمن ذلك قول السري الرفاء :

مررت بالمعيق فكم عقيق	تفرق في محاجرنا فذا بيا
ومن معنى جعلنا الشوق فيه	سؤالا والدموع له جوابا
وفي السكل التي غابت شمس	إذا شهدت ظلام الليل غابا
حملت لهن أعباء التصابي	ولم أحمل من السلوان عابا
ولو بعدت قبابك قاب قوس	من الواشين حييت القبابا

إلى هنا عرف القارئ ألوان العواطف عند منازل الاحباب ، فقد رأى نقشات المحبين عند الديار الخالية ، وشهد بكاءهم على الوطن النائي ، وحنينهم إلى مواطن اللهو والشراب ، ثم رأى زفرائهم عند المنزل يدنو

وهو بعيد ، لتفور ما فيه من الأطباء ! ويجمع شتيت هذه المعاني قول بعض  
الأعراب :

بكل قداويننا فلم يشف ما بنا      على ان قرب الدار خير من البعد  
على ان قرب الدار ليس بنافع      اذا كان من تهواه ليس بندي عهد  
وربما عدنا إلى تفصيل هذه النوازع القلبية ، حين نتحدث عن آراء الشعراء  
في أفنان الجمال .





## وشاية الدموع

من المشاق من يؤثر الكتان : فهو يخشى ان تفضحه الدموع ١ وأشهر الشعراء في اخفاء الحب العباس بن الاحنف ، وسنيسط الكلام عن مذهبه حين نتكلم عن الكتان . ونكتفي الآن بشعره عن قهره بالدموع : وقد رأيت يتوجع حيناً من عجزه عن كتم الحب وقد غلبه الدمع ، فيقول :

هو بي اغض اذا ما بدت      واملك طرفي فلا أنظر  
فكيف استتاري إذا ما الدموع      ع نطقن فبعن بما اضر  
أمني تخاف انتشار الحديث      وحظي في صونه اوفر  
ولو لم يكن في بقسياه عليك      نظرت لنفسي كما تنظر

ويغضب حيناً على دمع عينيه فيقول :

لا جزى الله دمع عيني خيراً      وجزى الله كل خير لساني  
نم دمعي فليس يكم شيئاً      ورأيت اللسان ذا كتمان  
كنت مثل الكتاب اخفاء طي      فاستدلوا عليه بالعنوان  
ويبالغ في هذا المعنى حتى ليرمي قلبه بالعداوة ، فيقول :

قلبي الى ما ضرني داعي      يكثر اسقامي واوجاعي  
كيف احتارسي من عدوي اذا      كان عدوي بين أضلاعي  
ومن الشعراء من ييأس من كتم الهوى حين تنهمر الدموع ، كما يقول البحتري :

علاقة حب كنت اكنم بثها      الى ان أذاعتها الدموع الهوامع  
إذا العين راحت وهي عين على الجوى      فليس بسر ما تسر الاضالع  
وقد افصح الارجاني عن غاية ذلك : وهي نصر الوشاة ، بقوله :

ولي نفس إذ ما امتد شوقاً أطار القلب من حرق شظايا  
ودمع ينصر الواشين ظلماً ويظهر من سرايري الحبايا  
وأكرم من هؤلاء جميعاً الشريف الرضي حين يقول :  
أيسمح جفني بالدموع وأغتدي ضنيناً بها أفي إذن للثيم  
ولو بخلت عيني إذن لعتبتها فكيف ودمع الناظرين كريم  
وقد نظر أبو نواس إلى قول بشتا بن بُرد :  
بروعه السرار بكل شيء مخافة أن يكون به السرار  
ثم حاكاه بهذه الأبيات في نغمة الدمع :  
قد تسترت بالسكون وبالاط راق جهدي فتمت العينان  
تركنتي الدموع نصب المشيرين وأحدثت بكل مكان  
ما أرى خالين للسر إلا قلت ما يخلوان إلا بشافي  
وهي صورة شعرية ، تمثل العاشق المروع اصدق تمثيل .  
ومن المحبين من تم عليه دموعه الغزار ، وأنفاسه الحرار ، كالبحتري حين  
يقول :

إن الخطوب طوبنني ونشرنني عبث الوليد يحانب القرطاس  
ما شبت من طول السنين وإنما طول الملامة فيك شيب راسي  
نمت على ما في ضميري أدمعي وتتابع الصعداء من أنفاسي  
ومن رائع الشعر في فضيحة الدمع لصاحبه قول مهباز :  
طرحيت يجمع نظرة ساء ركبها وتبعث شراً للعيون المطارح  
فان سترت تلك الثلاث على منى هواي فيوم النفر لا شك فاضح  
بكيت ولام العاذلات فلم تغض على رقية العذل الدموع السوافح  
واحب ان يتأمل القاريء قوله « نظرت يجمع نظرة ساء كسبها » ليعرف  
كيف يسوء كسب العيون ، حين تجني على القلوب !

## سلطان الحب

سألنا حضرة الشيخ محمد علي الخالدي عن الحب : اختياري هو ام اضطراري وهل المحب مضطر أم مختار ؟ وقد اختلف الناس من قبل في هذه المسألة ، وأوضحها ابن أبي حجلة في كتاب « ديوان الصبابة » وأنا نقل هنا نبذة من ذلك الكتاب الذي انتهى منه مؤلفه في منتصف القرن الثامن الهجري ، لأنه يمثل لنا رأي علماء ذلك العصر في مثل هذه الشئون . قال ابن أبي حجلة في سداجة غريبة ما نصه :

« هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره . وأسفر كالصباح أمره . إذ للناس فيه كلام من الطرفين ، وتبخر من الصفين . فقائل بأنه اضطراري . وقائل بأنه اختياري . ولكل من القولين وجه مليح . وقد رجح . ونحن نذكر من ذلك ما يعم به الانتفاع . ونتكلم في طوله وعرضه بالباع والذراع ( ١١ ) فمن ذلك ما قاله القاضي أبو عمرو النوناني في كتابه تحفة الظراف : العشاق معذورون على كل حال . مغفور لهم في جميع الأقوال والأفعال . إذ العشق إنما دعاهم على غير اختيار . بل اعترام على جبر واضطرار . والمرء إنما يلام على ما يستطيع من الأمور . لا في المقضي عليه والمقدور . وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أن الحامل كانت ترى يوسف عليه السلام فتضع حملها . فكيف تراها وضعت ؟ أباختيار منها كان ذلك أم باضطرار ؟ لا . بل باضطرار ، وفقد اقتدار . وهذا بما لا يشك فيه ذولب . ولا يختلج خلافه في قلب . »

ثم نقل عن الفضيل بن عياض انه قال : لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت الله بها ان يغفر للعشاق لأن حركاتهم اضطرارية . ونقل عن أبي محمد بن حزم أن رجلا قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين اني رأيت امرأة فعمشقتها . فقال

عمر : ذلك مما لا يملك . قال « وما أحسن قول بعض بني عذرة وقد قال له بعض العرب : ما لأحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة يألها ؟ إنما ذلك ضعف نفس ، ورقة ، وخور ، تجذونه فيكم يا بني عذرة . فقال : أما والله لو رأيتم الجواب الزج ، فوق النواظر الدعج ، تحتها المباسم الفاج ، لاتخذتموها اللات والعزى ! » .

ثم قال بعد كلام طويل « إن العشق يختلف باختلاف بني آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية ، وغلظ الكبد ، وقساوة القلب ، ونفور الطباع ، وغير ذلك . فمنهم من إذا رأى الصورة الحسنة مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش ومنهم من إذا رأى المليح سقط من قامته ، ولم يعرف نعله من عمامته ، - العاقبة عندكم يا شيخ محمد ! - ثم قال « فهذا وأمثاله عشقه اضطراري ، والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس » .

والذي أراه أن المحب مضطر غير مختار ، وما ذكرت هذه التفاصيل إلا ترويحاً للنفس . أما الشعر في سلطان الحب فكثير . فمن الشعراء من يجعله سحراً كالطغرائي حين يقول :

إن لم يكن سحراً هواك فانه      والسحر قدأ من أديم واحد  
ما زلت أزهد في مودة راغب      حتى ابتليت برغبة في زاهد  
ولربما نال المراد مرقة      لم يسع فيه وخاب سعي الجاهد  
هذا هو الداء الذي ضاقت به      حيل الطبيب وطال يأمن العائد

ومنهم من يذكر انه قتل نفسه غير متعمد كقول مهيार :

وعنفني سعد على فرط ما ارى      فقلت اتعنيف ولم تك مسعدي  
وما ذاك إلا أن عجلت بنظرة      قتلت بها نفسي ولم أتمدد

ومنهم من يرى الحب يصب على القلب كالتضاء المحتوم لا مرد له كقول

المتنبي :

أبدرى الربع أي أراقا      وأي قلوب هذا الركب شاقا  
لنا ولأهله أبداً قلوب      تلاقى في جسوم ما تلاقى  
فليت هوى الاحبة كان هدلا      فعمل كل قلب ما أطاقا

ومنهم من يجعله قضاء من الله . كقول عمرو بن ربيعة الرقاشي :

تضييق جفون العين عن عبراتها      فتسفحها بعد التجلد والصبر  
وغصة صدر أظهرتها فرفهت      حزازة حرّ في الجوانح والصدر  
ألا ليقل من شاء ما شاء إنما      يلام الفتى فيما استطاع من الأمر  
قضى الله حب المالكية فاصطبر      عليه فقد تجري الأمور على قدر  
ويدخل في هذا الباب خلود الحب • فمن الشعراء من يجعل سببه خلود  
المحاسن في الحبيب ، كقول ابن الرومي :

هل الملالة إلا منقضى وطر      من متعة يطبى من غيرها وطر  
وفيك أحسن ما تسمو النفوس له      فأين يرغب عنك السمع والبصر  
وكما قال ابن عنيث :

خبروها بأنه ما تصدى      لسلو عنها ولو مات صدا  
واسألوها في زورة من خيال      إن تكن لم تجد من الهجر بدا  
ظبية تخجل الغزالة وجهاً      وبهاء وتقضح الفصن قدا

وكما قال أبو الاسود الدؤلي :

أبى القلب إلا أم عمرو وحبها      عجوز أو من يحب عجوزاً يفند  
كبرد الياني قد تقادم عهده      ورقعته ماشئت في العين واليد

وهو رأي منتقد : فكل زهر إلى ذبول ، وكل جر إلى خمود ، وكل حسن  
إلى فناء ، ولا خلود للحب إذا كان داعيه الحسن الفاني والجمال الزائل .

ومنهم من يجعل السبب في خلود الحب كثرة دواعيه ، كقول صردر :

ولقد عرضت على السلوجوانحي إلا      حرى قلم يرمن دار مقام  
كيف للسلو وليس يسلك مسمعي      إلا حنين أو بكاء حمام  
وكما قال ابن الزيات :

لم يزدني العذل إلا ولما      ضربي أكثر مما فقما  
ذهبت بالقلب عين نظرت      ليتها كانت وإياه معا  
كل يوم لي منها آفة      تركتني للهوى متبعا

وكما قال ابن التماويذي :

يلوم عليك خال من غرامي      رويدك أين سمعي واللام  
 سلو مثل عطفك لا يرجي      وصبر مثل وصلك لا يرام  
 فكيف أطيع عذالي وعندي      هموم قد سهرت لها وناموا

وهذا أيضاً منتقد ، فإن أمثال هؤلاء الشعراء ينسون الحب إذا نفدت دواعيه  
 ومنهم من يجعل السبب في خلود الحب تغلغل الوجد في الأحشاء . كما قال  
 الأبيوردي :

أرى كل حب غير حبك زائلا      وكل فؤاد غير قلبي ساليا  
 إذا استخبروا شون عما أسره      حدث سلوي\* أودمت التصايا  
 أيزهل قلب انت سر ضميره      فلا كان يوماً عنك يا علو ساليا

وكما قال الغزي :

يا خليلي لو ملكت فؤادي      جاز ان يملك الصواب عناني  
 ظلمي من أراد إنصاف نفسي      من هواها وآمري من نهاني  
 قد تورطت في تعسف شوقي      حيث لا يعرف السلو مكاني

وكما قال الطغرائي :

خليلي هل من مسعد أو معالج      فؤاداً به داء من الحب ناكس  
 وهل ترجوان البرة بما أكنه      فاني وبيت الله منه لايس  
 هو لا يديل القرب منه ولا النوى      ولا هو من طول التقادم دارس  
 سرى حيث لا يدري الضمير مكانه      ولا تهتدي يوماً اليه الهواجس  
 إذا قلت هذا يوم اسلو تراجعت      عقابيل من اسقامه ووساوس

وأرجو ان لا يغفل القاري عما في هذا الشعر من فنون الجمال .

هناك مذهب رابع يجعل خلود الحب موافاة للطبع ، ونزولا عقد حكم  
 الخليفة ، وهو اجمل المذاهب . ومنه قول التعاويذي :

من بات ذا قلب س      لم من جوى فأنا السليم (١)  
 مالي اذا رمت السلو      تلوم القلب المليم (٢)

---

(١) السليم هو اللدرغ      (٢) المليم : الجاني

واذا كتمت الحب با ح بسرہ دمع غوم  
عينی وقلبي في الهوى عون علي فمن ألوم  
وأظهر منه قول المتنبي :

إلام طماعية العاذل ولا رأى في الحب للعاقل  
يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل  
وهبت السلو لمن لا مني وبت من الشوق في شاغل

ولا انكر ان من الشعراء من يرى غير ما ذهبت اليه في هذا الحديث .  
ولكنني أرى الحب الصادق حليف الخلود . وقد اوضحت هذه المسألة في كتاب  
« حب ابن ابي ربيعة وشعره » فليرجع اليه من شاء .



## غرام النساء بالنساء

سألني حضرة محمد شبيب عبد الناصر بدويوط « عما قالته الفواني في غرامها وحنينها إلى بنات جنسها إن كان هناك شيء من ذلك » بمناسبة ما حدث في برلين من غرام المسز كلين بالمسز ريب ، وما جنت يداها في سبيل هذا الحب الغريب !!

وأسف كثيراً أيها الأديب لاستحالة الجواب بالتفصيل في صحيفة سيارة : فقد درج الناس هنا على تفضيل الجهل في سبيل الوقار ! ويكفي ان الفت نظرك إلى حديث مسطور في كتب الادب جاءت فيه هذه العبارة « هذا شيء يحتاج إلى حبال ورجال ! » وإلى ذوقك يترك تقدير الظروف لأمثال هذه الوقائع ! ! وقد جاء في كلام رسول الله النبي عن « السحاق » كما جاء في القرآن النبي عن الزنا ! والفرق واضح بين الكلمتين في اللفظ والمداول ! والمطلع على آداب الفرنسيين يجد في اعترافات النساء عجائب وغرائب تعجز عن مثلها الشياطين ! والآداب العربية مملوءة بأمثال هذه الاعاجيب . والناس هم الناس في كل قطر وفي كل جيل ، فلا تصدق ما تسمع من ان الاسراف في المجانة بدعة ابتدعتها نساء برلين ! وعندني ان آفة المصلحين في الشرق هي جهلهم بدقائق الحياة الانسانية ، وإغفالهم الركن الاساسي للإصلاح ، وهو تشخيص الداء قبل وصف الدواء ، وإقدام كثير منهم على الامر بما لا ياتمر به والنهي عما لا ينتهي عنه ، ومن البلية ان يكون المصلحون منافقين !

ألم نصف الآداب الغربية بالاسراف في وصف النساء ؟ لقد جعلنا ذلك سيئة لا تقبل الغفران ، ولكنها في رأي من الحسنات ، إذ كان الواجب على كل مصلح ان يقوي ما بين الرجل والمرأة من الميول الطبيعية ، حتى لا نشكو غرام المرأة بالمرأة ، وحب الرجال للفلان !



اقرأوا هذا وتأملوه قبل ان تصدعوا رؤوسنا بالدعوة إلى الفضيلة من حيث  
لا تعملون !

وبعد ذلك ألفت نظر قراء « مدامع العشاق » إلى ان شعر النساء في الحب  
قليل : فقد كان العرب يستنكرون ان تعشق المرأة ، وكان الرجل منهم يذوب  
خجلاً إذا قالت إحدى قريباته بيتاً واحداً في غلام جميل ، وقد ثار طويس  
المنفي لنفسه من عبد الرحمن بن حسان بن ثابت حين غناه شعر عمته قارعة بنت  
ثابت في عبد الرحمن بن الحرث المخزومي :

يا خليلي نابني سهدي	لم تقم عيني ولم تكد
فشرابي ما اسيع وما	أشتكي ما بي إلى احد
كيف تلحوني على رجل	آنس قلته كبدى
مثل ضوء البدر طلعت	ليس بالزميلة التكد
نظرت عيني فلا نظرت	بعده عيني إلى احد

وحديث عليّة بنت المهدي معروف ، فقد حرم عليها اخوها هارون الرشيد  
ان تشب بفلامها طل ، فكان من نتيجة ذلك ان تشببت بحاريتها زينب  
وقالت فيها :

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا

وهو شعر سخيف ، ولكنه يدل على ان عشق المرأة كان بما تسيغه النفوس  
في ذلك العهد . وليس معنى ذلك اننا ننكر ان زينب هنا كناية عن طل ،  
ولكن معناه ان تشبيب عليّة بزينب كان حيلة سائغة لستر هواها الصحيح ، ولم  
نر في الكتب الادبية من أنكروا على عليّة هذا الميل الذي أنكرناه اليوم على  
نساء الألمان ! وهناك أبيات لفضل الشاعرة قالتها في « قبيحة » جارية المتوكل !

سلافة كالقمر الباهر في قدح كالكوكب الزاهر  
يدبرها خشف كبد الدجى فوق قضيب اهيف ناضر<sup>(١)</sup>

ولا مرية في ان العرب قتلوا عواطف المرأة ، وحرموها من التشبيب ، ولهم

---

(١) الخشف بتثنية الخاء ولد الظبي

في ذلك عذر مقبول ، فان الغيرة لم توجد ، ولن توجد ، في مثل النفوس العربية ، والعرب بطبيعتهم عمالقة يكرهون الشريك ، أو شبه الشريك. ويأبون ان يسمعو حديث المرأة عن هواها المشبوب بل يفارون من تحدث الرجل عن هواه ، حتى ليقول شاعرهم :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوا  
حذراً عليك واذني بك واثق ان لا ينال سواي منك نصيبا  
وإذا عز على المرأة ان تقول شعراً في الرجل ، فانه يمز عليها من باب اولى  
ان تقول شعراً في اختها المرأة ، فضلاً عن بعد ذلك من الحاجة الطبيعية ، فان  
« هذه الشهوة » تعتبر فضولاً في باب الشهوات !  
والحق اننا حرمانا خيراً كثيراً حين حرمانا شعر النساء ، انظر إلى قول فضل  
في حبيب حرمانها طيب الرقاد :

إن من يملك رقي مالك رق الرقاب  
لم يكن يا احسن العا لم هذا في حسابي  
وتأمل ما غنته عبيدة الطنبورية :

كن لي شقيقاً اليكا ان خف ذاك عليك  
واعفني من سؤالي سواك ما في يديكا  
يا من اعز واهوى مالي اهون لديكا  
اننا نشتهي ان نتكلم المرأة ! إننا نحب ان نسمع حديثها العذب الجميل !  
ولكنهم يزعمون ان كلام المرأة فسق ، وان حديثها فجور ، فيا ليت شعري متى  
يفقهون !

## طيف الخيال

من الشعراء من يصف الحسرة التي تودي برشده حين تحرمه البقطة من  
الاستمتاع بالطيف ، كالذي يقول :

وزارني طيف من اهوى على حذر      من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا  
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً      وكاد يهتك ستر الحب بي شفا  
ثم انتبهت وآمالي تكذبني      نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا  
ومنهم من يذكر العلة في طروق الطيف ، والسبب في زيارة الخيال ، كقول  
أبي تمام :

زار الخيال لها لا بل ازاركه      فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم  
ظي تقصصته لما نصبت له      في آخر الليل أشراكاً من الحلم  
وقوله من كلمة ثانية :

استزارته فكرتي في المنام      فأنا في خفية واكتنام  
يا لها ليلة تنزهت الأر      واح فيها سرّاً من الاجسام  
مجلس لم يكن لنا فيه عيب      غير أنا في دعوة الاحلام  
وكقول عبد الصمد بن المعدل :

وصل النوم بيننا بعد هجر      فاجتمعنا ونحن مُفترقان  
غير ان الارواح خافت رقيباً      فطوت سرّها عن الأبدان  
منظر كان لبذة القلب إلا      انه منظر بغير عيان  
فالعلة عند أبي تمام في طروق الخيال إنما هي احتياك فكره ، ونصبه أشراكاً

من الحلم . والسبب في زيارة الطيف عند ابن المعتدل هو النوم ، مع إبداعه في طي  
الأرواح سرها عن الأبدان ، خوفاً من الرقباء !

وهناك فكرة لابن العفيف ألطف من هاتين وأطرف : وهي ان الحبيب  
سطع نوره وعم ، حتى شمل النائمين ، وتجلى لأعينهم ، على بعدم منه ، ونأيهم  
عنه . وله في هذه الفكرة البديعة هاته الأبيات الحسان :

يا حبذا طيفك من قادم يا احسن العالم في العالم  
طيف تجلى نوره ساطعاً حتى رأته مقلّة النائم  
يا غائباً يحكم في مهجتي عليّ طالت غيبة الحاكم  
عار على حسنك ان يشتكى حظي منه انه ظالمي

والبحثري على شهرته بالخيال ، لم يكن ممن يعنون بذكر السبب في قدومه ،  
والعلة في طروقه ، وانما يجيد في وصف العطفاه ، وانصرافه ، كقوله :

سقى الفيث اجراً عهدت يحوها غزالا تراعيه الجأذو اغيدا  
إذا ما الكرى اهدى إليّ خياله شفى قربه التبريح او نفع الصدى  
إذا انتزعته من يديّ انتباهةً عدت حبيباً راح مني او غدا  
فلم ار مثليتنا ولا مثل شأتنا نعتب ايظافاً وننعم هجدا

ومن بديع الشعر في ذهاب الخيال قوله :

ألت بنا بعد الهدوء فساحت بوصل متى نطلبه في الجدد تمنع  
وولت كأن البين يخلق شخصها او ان تولت من حشاي واضلعي

وهو غاية في الإبانة عن اللفظة ، والافصاح عن الحسرة !

ومن الشعراء من يحمد للطيف سماحه بالنعيم المباح ، كقول بشار :

ولقد تعرض لي خيالك في القُرط والخلخال واللب  
فشربت غير مباشر حرجاً برضاب اشنب بارد عذب

وكقول المتنبي فيما يقرب من هذا المعنى :

بتنا يناولنا المدام بكفه من ليس يخطر ان نراه بباله

تجنى الكواكب من قلائد جيده      وتقال عين الشمس من خلخاله  
وقد نص البحتري على ما ذكرناه من النعم المباح بقوله :  
وما نلتقي إلا على حلم هاجد      يحل لنا جدواك وهي حرام  
إذا ما تبادلنا النفائس خلقتنا      من الجد ايقاظاً ونحن نيام  
والم به في قوله :

بنفسي خيالا من اثية كلما      تأوهت من وجدي تعرض يطمع  
تري مقلتي ما لا ترى من لقائه      وتسمع اذني رجع ما ليس تسمع



## خيال البحتري

وقد يكون من الوفاء لتاريخ الآداب ان نذكر كيف اشتهر البحتري بالخيال حتى قالوا ( خيال البحتري ) وضربوا به الأمثال . وقد تأملت هذه الشهرة فوجدتها ترجع الى ترديده لزيارة الطيف في غير ضعف ولا فضول : فتارة يصف الخيال بالكرم وقد ضن المحبوب ، والقرب وقد شطت ديار الحبائب ، حتى ليبعث الهوى من جديد ، كقوله :

وقفنا فلا الاطلاع ردت اجابة      ولا العذل اجدى في المشوق المخاطب  
تبادت عقابيل الهوى وتطاوالت      لاجلة معتوب عليه وعاتب  
اذا قلت قضيت الصباية ردها      خيال ملم من حبيب بجانب  
يجود وقد ضن الألى شغفي بهم      ويدنو وقد شطت ديار الحبائب  
وفارة يذكر ان الطيف الم به في الظلام فلم يجد مكانا يأوي اليه ، لأن الكرى طردته الدموع ، كقوله :

تلك البغيلة ما وصلي بمنصرف      عنها ولا صدتها عني بمصدود  
الم بي طيفها وهنا فأعوزه      عندي وجود كرى بالدمع مطرود  
واحب لو تأمل القارئ وصفه لحبيبتة بالبخل ، وعفا الله عن هؤلاء البخلاء

وبما امتاز به البحتري شكواه هجر الخيال . وقد اكثر من ذلك حين حرم من غلامه نسيم ، ولغلامه هذا قصة عجيبة : فقد ذكروا انه كان يبيعه ، ثم تطير نفسه اليه فيشتريه ، حتى وقع في يد من لا يبيع روائع الجمال وقد اوضح شكواه هجر الخيال في هذه الابيات الحسان :

انسيم هل للدهر وعد صادق      فيما يؤمله المحب الوامق  
مالي فقدتك في المنام ولم يزل      عون المشوق اذا جفاه الشائق

امنعتَ انت من الزيارة رقبة      منهم فهل منع الخيال الطارق  
اليوم جازني الهوى مقداره      في اهله وعلمت اني عاشق

ثم ردد هذا المعنى في داليتة الجميلة ، التي يقول فيها :

دعا عبرتي تجري على الجور والقصد	اظن نسيما قارف الهجر من بعدي
خلا ناظري من طيفه بعد شخصه	فيا عجباً للدهر فقدأ على فقد
بنفسي حبيب نقلوه عن اسمه	فبات غريباً في رجاء وفي سعد
فيا حائلاً عن ذلك الاسم لا تحل	وان جهد الاعداء عن ذلك العهد
ابا الفضل في تسع وتسمين نعجة	غنى لك عن ظبي بساحتنا فرد
أتأخذه مني وقد اخذ الجوى	مأخذه مما اسر وما ابدي
وتخطو اليه صبوتي وصبايقي	ولم يخطه بئى ولم يعده وجدي

ونحب ان لا يتعقبا حضرة ( البدوي المثلث ) فيطالبنا بتحقيق بيع البحتري  
لغلامه نسيم ، ليعرف اكان ذلك عن حاجة ام كان طمعاً في المال ، فقد تردد  
في ذلك المؤرخون ! اليس هو الذي "لمح الينا حين ذكرنا ان علية بنت المهدي  
كنتَ عن طلّ بزئب ، ولفت نظرنا الى انها انما كنت بزئب عن رشاً ؟ رويدك  
ايها الصديق ، فليس في هذه المجاهر يقين ، وحسبك ان تعلم ان ذلك سر من اسرار  
القصور ، وناهيك بقصر الرشيد !

وبهذه المناسبة اذكر ان التعبير الحديث « شربوا نخب مصر ! وشربوا نخب  
فرنسا » كان له عند العرب بديل جميل ، انظر قول علية في غلامها رشاً :

اشرب على وجه الغزال      الالهيف الحلو الدلال  
اشرب عليه وقل له      يا غل ألباب الرجال

وانظر قول اسحق في غلامه زياد :

ادريها على بعد الحبيب فربما      شربنا على بُعد الاحبة والفجّع  
فما بلغتني الكأس الا شربتها      والا سقيت الارض كأساً من الدمع

وقال ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة      سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم

فأي التعبيرين اجل ؟ اقول العرب : شربت على وجهه ، وعلى بعده ، وعلى ذكره ؟ ام قولنا شربت نخبه ؟ اجيبوا ايها المتكلفون !

ونعود فنذكر تشبث البحاري بالطيف عند الصباح في قوله :  
وليلة هومنا على العيس أرسلت بطيف خيال يشبه الحق باطله  
فلولا بياض الصبح طال تشبثي بعطفني غزال بت وهذا أغالته  
وكم من يسد الليل عندي حميدة وللصبح من خطب تئذم غوائله  
أذكر أيها القاريء ان لسانك انعقد ، وقد رأيت دمية من دمي الجمال ، فلم  
تزد على ان قلت : هذه فتاة حسناء ؟ الأمر هنا كذلك ، فاعذرني إن لم أزد على  
ان اقول : هذا شعر جميل !

ويظرف البحاري كثيراً حين يجعل هجر الطيف نوعاً من العتاب . انظر  
قوله :

تئات دار علوة بعد قرب فهل ركب يبلغها السلاما  
وجدد طيفها عتبا علينا فما يعتادنا إلا لاساما  
وربت ليلة قدبت أسقي بعينها وكفيها المداما  
قطعنا الليل لنا واعتناقاً وأفنيناه ضما والزاما

وقد تعجب لتشبيه الزائر النحيل بالطيف الطروق : انظر قوله :

وزور أفاقي طارقاً فحسبته خيالا أتى من آخر الليل يطرق  
أقسم فيه الظن طورا مكذبا به انه حق وطورا أصدق  
أخاف وأرجو بطل ظني وصدقه قلله ظني حين ارجو وأفرق  
وقد ضمنا وشك التلاقي ولقنا عناق على أعناقنا ثم ضيق  
فلم نر إلا مخبرا عن صباية بشكوى وإلا عبرة فترقوق  
فأحسن بنا والدمع بالدمع واشج تمازجه والحد بالحد ملصق  
ومن قبل قبل التشاكي وبعده نكادها من شدة الوجد تشرق  
فلو فهم الناس التلاقي وحسنه لحبب من أجل التلاقي التفريق

وقد يأسى البحاري ويشجى حين لا تبقي له الليالي غير الذكرى والخيال ،



تأمل قوله :

حبيبٌ نأى إلا تعرض ذِكْرُهُ      له أو ملمٌ طائف من خياله  
أُمنع في هجرانه من صباية      وقد كنت صبا مفرما في وصاله  
ويأمرني بالصبر من ليس وجده      كوجدتي ولا إعلان حالي كحالهِ  
فان افقد العيش الذي فات باللوى      فتبدءاً فقدت الظل عند انتقالهِ

ولقد اذكر اني قرأت منذ سنين رواية ( رافايل ) وهي بدعة في الآداب  
الفرنسوية . فأقسمت لأزورن ان استطعت قبر ( لامارتين ) واليوم اقسم ان  
استطعت لأزورن قبر البحاري !

أليس هو القائل في طيف الخيال :

أترى حيي لسعدى قاتلي      وإذا ما أفرط الحب قتلُ  
خطرت في النوم منها خطرة      خطرة البدر بدائم اضمحل  
أي زورك لو قصداً سرى      ولم منك لو حقاً فعل  
يتراءى والكرى في مقلي      فإذا فارقتها النوم بطل

ولتقي الدين السروجي قصيدة بديعة ختمها ببيتين في الخيال ، وقد زاره فما  
حققه لفرط سروره به ، ثم ولى عنه فما درى كيف يدركه ، ولا عرف كيف  
يلحقه . قال :

أنعم بوصولك لي فهذا وقته      يكفي من الهجران ما قد ذقته  
أنفقت عمري في هواك وليستني      أعطى وُصُولاً بالذي أنفقتهِ  
يا من 'شغلت' بحبه عن غيره      وسلوت كل الناس حين عشقتهِ  
كم جال في ميدان حبك فأوس      بالصدق فيك إلى رضاك سبقتهِ  
أنت الذي جمع المحاسن وجهه      لكن عليه تصبري فرقتهِ  
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة      فسررت لما قلت قد صدقتهِ  
بأنك إن سأوك عني قل لهم      عبدي وملك يدي وما اعتقتهِ  
أو قيل مشتاق إليك فقل لهم      أدري بذا وأنا الذي شوقته  
يا حسن طيف من خيالك زارني      من فرحتي بلباك ما حققتهِ

فمضى وفي قلبي عليه حسرة لو كان يمكنني الرقاد لحقته  
والشعراء يشكون غالباً ألا يمكنك الطيف طويلاً . وقد شذ الطغرائي فذكر  
أن محبوبته عتبت عليه لغيبة الطيف عنده ، وطول مكثه لديه . وذلك قوله :

بعثت إليّ تلومني في هَجْعةٍ اهدت إليّ خيالها المذعورا  
وتقول ما للطيف أبطاً بعدما كنا اشترطنا أن يقيم يسيراً  
فأجبتها بالعذر وهو مبينٌ لو كان يُنصف لائمٌ معذورا  
أطبقت أجفاني عليه وسمته خوض الدموع فما استطاع عبورا

وهذا الخيال على طرافته منتقد . فإن الطيف لا يدخل العين ، حتى يضطر  
إلى عبور الدمع ، وهدى الله قوماً يحسبون هذا الشعر من وثبات الخيال !

قالوا : وأول من طرد الطيف طرفة ابن العبد في قوله :  
فقل لخيال العامرة ينقلبُ اليها فاني واصلٌ حبلٌ من وصل  
وتبعه جرير فقال :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام  
وهذا حدسٌ وتحمين ، فإنه ليس إلى توقيت النوازع القلبية من سبيل .  
ومن طريف الشعر في طرد الخيال قول ابن هانيء الأندلسي :

الأطرقتنا والنجوم ركودٌ وفي الحبيّ أيقاظٌ ونحنُ مهجود  
وقد أعجل الفجر الممتع خطوها وفي أخريات الليل منه عمودُ  
سرت عاطلاً غصبي من الدر وحده فلم يدر نحرٌ ما دهاه وجيد  
فما برحت إلا ومن سلك ادمعي فلأند في لبّاتها وعقود  
ألم يأتها أنا كبرنا عن الصبا وأنا بَلينا والزمان جديداً

ومن الشعراء من يعتذر عن النوم في بعد الحبيب باحتياله لزيارة الخيال .  
انظر قول علي الأيادي :

أما إنه لولا الخيال المراجع وعاصٍ يُرى في النوم وهو مطاوع  
لأشفق واستحيا من النوم والهـ يُرى بعد روعات النوى وهو هاجع  
وأود لو تأمل القارئ قوله ( وعاصٍ يرى في النوم وهو مطاوع ) فطالما

قدم النوم هؤلاء العصاة وهم للحب خاضعون !

وأصل هذا المعنى لقيس بن الملوح في قوله :

واني لأستقشي وما بي نعسة      لعل خيالا منك ياقى خياليا  
وأخرج من بين الجلوس لعلني      أحدث عنك النفس في السر خاليا  
تقطع انقاسي بذكرك انفساً      يردن فما يرجمن إلا صواديا

وأوضح منه قول قيس بن ذريح :

واني لأهوى النوم في غير نعسة      لعل لقاء في المنام يكون  
تخبرني الأحلام اني أراكم      فيا ليت أحلام المنام يقين

والظاهر ان نعمة الطيف لا تسوى بين العشاق جميعاً . فهي عند بعضهم لوعة  
وغليل ! فقد جعلها حسين بن الضحاك قناعة تقضي بها الضرورة حين يقول :

وماذا يفيدك طيف الخيال      لوالهجر حظك من تحب  
غناء قليل ولكتني      تمنيته بقنوع الحب

ومن الشعراء من يعجب لزيارة الخيال ، كأن يزوره الطيف وهو سجين ،  
كقول جعفر بن عتبة :

عجبت لمسراها وأنى تخلصت      إليّ وياب السجن دوني مغلق  
ألمت فحيث ثم قامت فودعت      فلما تولت كادت النفس تزهق  
فلا تحسني أني تخشمت بعدكم      لشيء ولا اني من الموت افرق  
ولا ان نفسي يزدهيها وعيدهم      ولا انني بالمشي في القيد اخرق  
ولكن عررتني من هواك صباية      كما كنت ألقى منك إذ أنا مطلق

وقد ترقى زياد بن جمل فمعجب كيف زاره طيف حبيبته مع انها ضعيفة المشي  
مكسال . وذلك قوله من قصيدة طويلة :

زارت رويقة شعثاً بعد ما هجموا      لدي لواحل في ارساغها الغدم  
وقمت للزور مرتاعاً فأرقنتني      فقلت اهي سرت ام عادني حلم  
وكان عهدي بها والمشى يببظها      من القريب ومنها النوم والسأم  
وبالتكاليف تأتي بيت جارتها      تمشي الهوينا وما تبدو لها قدم

سود ذوائبها بيض ترائبها      دُرُم مرافقها في خلقها عَمَمُ  
 رويق إني وما حج الحجاج له      وما اهلٌ يجني نخلة الحرُمُ  
 لم ينسني ذكركم مُد لم ألقكم      عيش سلوت به عنكم ولا قِدمُ  
 ولم تشاركك عندي بعد غانية      لا والذي اصبحت عندي له ذِمَمُ  
 ومن هذا يعتذر فريوق من الشعراء عن هجر الطيف لبعد الشقة كقول ابن  
 عنين .

سأحت كتبك في القطيعة عالمًا      ان الصحيفة اعوزت من حامل  
 وعذرت طيفك في الجفاء لأنه      يسري فيصبح دوننا بمراحل  
 وقال كشاجم في مثل هذا العذر الطريف :  
 لقد بخلت حتى بطيف خيالها      عليّ وقالت رحمةً لنحبي  
 اخاف على طيفي إذا جاء طارقاً      وسادك ان يلقاه طيف رقيبي

### طرف ادبية

وقد يكون من المستلح ان نذكر جملة من الطرف تتناسب مع طيف  
 الخيال . فمن ذلك ما أرسله بعض الشعراء إلى الحسن بن سهل :  
 رأيت في النوم اني راكب فرساً      ولي وصيفٌ وفي كفي دنانيرُ  
 فقال قوم لهم فهمٌ ومعرفةٌ      رأيت خيراً وللأحلام تعبيرُ  
 وروياك قسراً غداً عند الأمير نجد      في الحلم درأ وفي النوم التبشير  
 فوقع في اسفل الكتاب « اضغات احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ، !!  
 ودخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فأنشده :

أغفيت عند الصبح نوم مسهّدٍ      في ساعة ما كنت قبل أناهما  
 فرأيت انك رعتني بوليدة      رعبوبة حسنٌ عليّ قيامها  
 وببكرةٍ حملت إلي وبغلةٍ      دهاء مشرقة يصل لجامها  
 فدعوت ربي ان يثيبك جنة      عوضاً يصيبك بردُها وسلامها

فقال له : ابشر في كل شيء الا البغلة فاني لا املك إلا شهباء ! فقال : امرأتني  
 طالق ان كنت رأيتها إلا شهباء غير اني غلطت !

ونقل عن ابي العبر انه كان عنده حمار فبات فراه في النوم ينشد شعراً يقول  
فيه انه مات عاشقاً ، فسأله المتوكل ما الذي كان من شأنه ؟ فقال : كان يا امير  
المؤمنين اعقل من القضاة ، ليس له هفوة ولا زلة ا فاعتلّ على حين غفلة ، فبات ،  
فرأيتنه في النوم فقلت له . ألم أتقّ لك الشعير و ابرد لك الماء ، فما سبب موتك ؟  
فقال اتذكر اذوقفتك على باب الصيداني ؟ قلت نعم ، قال مرت إذ ذاك انا  
فاقتننت بها ومت ا فقلت وهل قلت شيئاً في ذلك ؟ فقال نعم وانشد :

هام قلبي بأنا عني باب الصيدلاني  
تيممني يوم رُحنا يثناياها الحسان  
وبخدتّ ذي دلالٍ مثل خد الشيران  
فبها مت ولو عشت إذ طال هواني

فقال له يا أبا معاذ . وما الشيران ؟ فقال انا مشغول بما انا فيه ا وهذا كلام  
تعرّفه الحمار ا فاذا رأيتم حماراً ، او من كان اولاً حماراً ، فاسألوه ا فضحك  
المتوكل حتى استلقى على قفاه ، ثم امر له بعشرة آلاف درهم ، جزاء بما ابدع في  
هذا الخيال .



## اليأس والرجاء

ليس في العشاق من لم يُرزق الأمل والرجاء ، وليس فيهم من لم يُرزأ باليأس والقنوط .

وقد تأملت ما قال الشعراء في اليأس ، قرأيت منهم من يترك لأجله العتاب كقول ابن الأحنف :

سكوتي بلاء لا أطيق احتماله      وقلبي ألوف للهوى غير نازع  
واقسم ما تركي عتابك عن قلبي      ولكن لعلمي انه غير نافع  
واني إذا لم ألزم الصبر طائعا      فلا بدّ منه مكرها غير طائع  
إذا انت لم يعطفك إلا شفاعته      فلا خير في ودّ يكون بشافع

وقد عزّى نفسه ابن الأحنف حين يش بقوله :

لعمري لقد جلبت نظرتي اليك عليّ بلاء طويلا  
فيا ويح من كلفت نفسه      بمن لا يطيق اليه السبيلا  
هي الشمس مسكنها في السماء      فمزّ القواد عزاء جميلا  
فلن تستطيع اليها الصمود      ولن تستطيع اليك النزولا  
ولاني لأتمنى ان يرحمني الله من عذابي ، بترديد هذا البيت الجميل :  
فيا ويح من كلفت نفسه      بمن لا يطيق اليه السبيلا  
ومن العشاق من يرى اليأس أروح من الطمع . كما قال صردر :  
لا أمدح اليأس ولكنه      أروح للنفس من المطمع

ياليت اتي قبل وقد الهوى      أذنت للعذل على مسمي  
 أين بدور من بني دارم      تبخل أن تسفر في مطلع  
 لا في سرار الشهر تبدولنا      ولا ليالي العشر والأربع  
 أودعتهم قلبي وما خلتهم      يستحسنون الغدر بالودع  
 لو زارني طيفهم ما درى      من الضنى أتي في مضجعي

ومن المتيمين من يعتذر عن نسيانه ، بياسه وقنوطه . ولم أجد في هذا المعنى  
 أبدع من قول الطغرائي :

مَنْ مُبْلَغُ الْحَيِّ شَطَّتْ دَارُهُمْ وَوَضُوا      بالجار جاراً وما أرضى بهم عَوْضاً  
 قد طاب عنكم فؤاد طاب قبلكم      عن الرضاع تقضى والشباب مضى  
 إن الزمان الذي كانت بشاشته      للقلب والعين ملهىً بأن فاقرضاً  
 فأن نسيته فياس لم يدع طمعاً      وإن ذكرت فمرق ساكن نبضاً  
 حكمت في مهجتي من ليس ينصفني      ولست أبلغ من تحكيمه غرضاً  
 سيان عندي وأمرى صار في يده      قضى عليّ يحور أم إليّ قضى

وليس بعد اليأس إلا الرجاء ، وإن عجب لذلك بعض الناس . فمن الهبين من  
 يلهج بالأمل ترويحاً لنفسه ، وترقيهاً لقلبه ، كالذي يقول :

أعلل بالمنى قلبي لعلني      أروح بالأمانى المهم عني  
 واعلم أن وصلك لا يرّجى      ولكن لا اقل من التمني

ومنهم من يجعل الرجاء نصيب المبعد الحزين كما قال ياقوت :

لله أيام تقضت بكم      ما كان أحلاهاً وأهنأها  
 مرّت فلم يبق لنا بعدها      شيء سوى أن نتمناها

ويكاد الأمل يصرخ في قول مسلم بن الوليد :

أدهراً تولى هل نعيمك مقبل      وهل راجع من عيشنا ما تؤمل  
 أدهراً تولى هل لنا منك عودة      لعلك يُعدى آخراً منك أول

واوجع الشعر في هذا المعنى قول ابن زريق :

لأصبرنّ لدمر لا يمتعني به ولا يني في حال يمتعه  
علماً بأن اصطباري معقب فرجاً فأضيق الأمر لو فكرت أوسعه  
علّ الليالي التي أضنت بفرقتنا جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه

ولو سُئلت عن رأيي في اليأس والرجاء ، لقدمت لسائلي هذه الدعوة  
المتعجبة التي أدعو بها عقب كل صلاة « يا ربّي اإثني ما جمعدت نعمتك يوم  
رزقتني بهم ، ولا جهلت حكمتك يوم اقصيتهم عني ، وهأنذا انتظر فضلك  
وطولك ، في ردم إليّ ، وعطفهم عليّ » . فلو لا الثقة برحمتك ، والإيمان بإحسانك ،  
لذهبت النفس عليهم حشرات . وقطع القلب في آفامهم قطما ، .





## العتاب

خير العتاب ما كان ظاهراً الذل ، بادي الخضوع ، نزولاً عند حكم الهوى ،  
وإيماناً بعودة الحبيب ، كقول القائل :

يا غاية القصد واقصى المنى      وخير مرعى مقلة الناظر  
إن كان لي ذنبٌ ولا ذنب لي      فما له غيرك من غافر  
اعوذ بالود الذي بيننا      أن يفسد الأول بالآخر

وحسبك من موجب العطف ، ودواعي الرحمة ، أن يتوسل الحب بسالف  
حبه ، وماضي عهده ، وأن يجعل الأمر في غفر ذنبه لحبيبه .  
وقال ابن التعاويذي :

يا ابنة القوم كيف ضاعت عهودي      بينكم والوفاء في الغرب دين  
كيف اسلمت فيك قلبي إلى الأبد      جان لولا أن الغرام جنون  
أتريني على النوى مضمرأ عذ      لك سلواً أنني إذن لحشون  
أنا من قد علمت عهدي على النأ      ي وثيق وحبل ودي متين

ولا يكون العتاب باباً للرضى إلا حين يصبح إنابة خالصة ، كقول ابن  
زيدون :

يا قمرأ اطلعه المغرب      قد ضاق في حبك المذهب  
ألزمتني الذنب الذي جئته      إلي فاصفح أيها المذنب  
وكقول الآخر :

إذا مرضتم أئينا كم نعودكم      وتذنبون فئاتكم فنعتذر  
فأما قول البحاري :

قد كان مني الوجد غيبٌ تذكره      إذ كان منك الصدغ تنامي

تجري دموعي حيث دمعك جامدٌ و يرق قلبي حيث قلبك قاسي  
فهو بالتأنيب اشبه منه بالعتاب ، وخير منه قول البحري نفسه في كلمة  
ثانية :

لاني وان لم ابح بوجدي اسرُ فيك الذي اسرُ  
يا ظالماً لي بغير جرم اليك من ظلمك المفرُ  
انت نعيمي وانت يؤسي وقد يسوء الذي يسرُ

وقوله من كلمة اخرى تسيل ذلةً وتفيض خضوعاً :

ايا قمر التام اعنت ظلماً عليّ تطاول الليل التام  
أما وقتور لحظك يوم ابقى قلبه فتوراً في عظامي  
لقد كلفتني كلفاً أعني به وشغلتنني عما امامي  
اعينك ان يراق دم حرامٌ بذاك الدلّ في شهر حرام

ويعجز القلم عن وصف ما لهذا الشعر من روعة الجمال ، وانتمى لو تأمل  
القارئ قليلاً هذا البيت الجميل :

يا ظالماً لي بغير جرم اليك من ظلمك المفرُ

فانه خير من قول ابن زيدون:

ألزمتني الذنب الذي جئته إلي فاصفح ايها المذنبُ

وهل رأى القارئ ، أروح للنفس ، وامتع للقلب ، من هذا القسم :

أما وقتور لحظك يوم ابقى قلبه فتوراً في عظامي

وهل رأى حيرة للحب اشقى من حيرة الذي يقول :

لقد كلفتني كلفاً أعني به وشغلتنني عما امامي

ألا ليت الذين يكتبون رسائلهم باللغة العامية ، يعلمون ما نعلم مسن جمال  
اللغة الفصيحة ليعرفوا انهم يحنون على انفسهم ، وعلى قرائهم إذ يحرمونهم من  
التطلع إلى جنة الادب ، وقطوفها الدانية ! ولو عرضت على كتاب العامية هذا  
البيت :

لاني وان لم ابح بوجدي اسر فيك الذي اسر

ثم سألتهم ما فيه من وجوه الحسن لحسبك من المسرفين ، وكيف يفهم جمال هذا البيت من يتدلى الى اللغة المبتهلة المهلهلة عجزاً عن الكتابة باللغة التي رحبت بشمرات العقول في جميع الامم الاسلامية ، وكانت لغة العالم زمناً غير قليل .

ولا يحسب واحد من هؤلاء ان الحسن في الادب لا حد له ولا تعريف ، بل هناك حقائق ادبية يرتكز عليها الجمال . في الشعر البديع والنثر الجميل ، وقاعدة الحسن فيما نحن فيه ان العرب يستملحون بعض ألفاظ الشمول في كثير من المواطن إيداناً بالتفخيم والتهويل ، كلفظة « ما » في قوله تعالى ( فغشيهم من اليم ما غشيهم ) للدلالة على ان ما عانوه من طغيان الماء يفوق الوصف ، ويعجز عنه التمثيل ، ومنها قول البحاري :

برّح بي حبك المعنيّ وغرّني منك ما يغرّ  
إذ كانت دواعي الحب ، واسباب العشق ، مما يقصر عن ادراكه المحب المفتون ، والماشق المأسور !

ومن ذلك لفظة « الذي » في هذا البيت المختار :  
اني وان لم ابج بوجدي اسرّ فيك الذي اسرّ  
إيداناً بأن ما يحنه من اللوعة ، وما يكره من الشوق ، اجل من ان يحيط به الوصف ، او يناله البيان !

ومن العشاق من يضيف الى ذلة العتاب ، ذلة الإقرار بالذنب كقول الشريف :

ايا شاكياً مني بذنب جنيته	فديتك من شاكٍ اليّ حبيبٍ
لئن راب مني ما يريب قانتي	على عدواء الداء غير مريب
واني لأرعى منك والود بيننا	هوى قلما يرعى بظهر مغيب
فهب لي ذنباً واحداً كنت قلته	فما زلة من حازم بعجيب
فيا حسن حال الود ما دمت مذنباً	اتوب وما دامت تعد ذنوبي

والبيت الاخير يذكرنا بقول بشار :  
ومن ذا الذي 'ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً ان تعدّ معايبه'

ومن بديع الشعر في وصف العتاب ، وما فيه من ذلة العاشق ، وعزة المعشوق  
قول الشريف :

ومقبّل كفي وددت لو انه      او ما الى شفتي بالتقيل  
جاذبته طرف العتاب وبيننا      كبر الملل وذلة الملل  
ولحظت عقد نطاقه فكأنما      عقد الجلال بقرطوق محلول  
جدلان ينفض من فروع قميصه      اعطاف غصن البانة المطلول  
من لي به والدار غير بعيدة      من داره والمال غير قليل  
وقوله :

ومقبّل كفي وددت لو انه      او ما الى شفتي بالتقيل  
يذكرنا بقول صاحب بن عبّاد :

اهوى لتقيل يدي      فقلت لا . بل شفتي !

وحيرة امثال الشريف الرضي والصاحب بن عباد في امثال هذه المواقف  
حيرة رهيبية ، فكلا الرجلين عالم جليل ، ولكن الحب كالموت لا يعصم منه  
البرج المشيد ، والحصن المنيع ، وقد يتقرب بعض الناس الى مثل الشريف الرضي  
بتقيل يناه ، فيود هذا لو قبل شفتيه ، لأن الحب شغله عن الاحتفاظ بالمظمة ،  
وقضى عليه بتقديس الجمال ! وهنا يظهر بطش الحب وعدوانه : حين يذهب  
بوقار العلم ، وجلال الجاه ، وغرور المال ، ثم يسوي بين الاقدار ، ريثما ينسى  
العالم علمه ، والوجيه جاهه ، والغني ماله ، حتى إذا انست تلك النفوس  
العائيه إلى هذه المساواة ، عاد فميز اهل الحسن ، ورفع ارباب الجمال ، وصيّر  
الحبين اذلة ، بالرغم من انف العلم والجاه والمال ! ويقول العرب : لهوى اله  
معبود ، وانهم لصادقون . غير انه يحسن ان نعرف ان هذا الإله ليس برحمن  
ولا رحيم ، ولكنه قهار جبار ! ولولا الرحمة بضعفاء اليقين لأعطيت هذا البحث  
ما يستعفه من البيان ، ولينت للقارىء رأي الفلاسفة في مملكة الجمال ، ولكن  
الدين في كثير من القلوب كالكرى في عين الخائف المذعور : يودي به مرالطيف  
وهبوب النسيم ! والذين يختلفون في النظرة البريئة احرام هي حلال ، لا يعقلون

كيف يكوي الهوى إلهاً ، وكيف يكون له ملائكة مقربون ، من الشعور ،  
والعيون ، والحدود ، والشغور ، والنحور والصدور ، وهم ان عقلوا هذه الالهوية  
فلن يعقلوا كيف يكون لها من كتاب الحب انبياء مرسلون ، بل كل محب عندهم  
ماجن خلیع ، قاتلهم الله انى يؤفكون ا

ونعود فنبين ان الشريف اجاد تصوير العتاب بقوله :  
جاذبته طرف العتاب وبيننا كبر الملل وذلة الملل  
والمراد بكبر الملل عزة المعشوق ، الذي تحدثه عن هجره وصده ، فكأنما  
تُسمعه هجر القول ولغو الحديث ، فيتبرم ويتململ ، ويود لو ارحته من حديث  
الحب : إذ كان الحسن يسد اذن الجميل ، فلا يسمع الشكوى ولا يفقه العتاب ،  
وما ابدع الغزل في قوله :

جذلان يتفض من فروج قميصه اعطاف غصن البانبة الملول  
ولا يكاد حضرة الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم يذكر الشريف الرضي الا  
ذكر له هذا البيت ، وله فيه تأويل عجيب ! ولعل ابرع ما قيل في التطلع إلى  
الاستمتاع بالجمال ، قوله في هذا البيت المختار :

من لي به والدار غير بعيدة من داره والمال غير قليل  
ولعل صديقنا الشيخ عبد العزيز سقر يتسلى بأن الشريف الرضي على جاهه  
كان يشكو بعد الدار ، وقلة المال :  
فدع ذكر سعدى إن فيك ثقية ألا انما يبني المها من يصيدها  
وقد يصبح العتاب وهو لوم للنفس ، وعدل للقلب ، على الكلف بحبيب ليس  
للمحب عنده جزاء ، فمن ذلك قول بعض الاعراب :

احباً على حبٍ وانت بخيلة وقد زعموا ان لا يحب بخيل  
بلى والذي حجج الملبون بيته ويشفي الهوى بالنيل وهو قليل  
وإن بنا لو تعلمين لفلة اليك كما بالحائات غليل

وقد يمكس هذا المعنى ، فيحب العاشق ظلم معشوقه ، ويجب من اجل  
ذلك اعداءه الظالمين ، كقول ابي الشيص الخزاعي :  
وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

اجد الملامة في هواك لذينة حبا لذكرك فليعلمني اللوم  
اشبهت اعدائي فصرت احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم  
واهنتني فاهنت نفسي صاغرا ما من يهون عليك ممن اكرم

ومن العشاق من يمزج العتاب بذكر ما لقي في سبيل الحب من البلايا ،  
كقول ابن الدمينه :

وانت التي كلفتني دلج السرى وجون القطا بالجلهتين جثوم  
وانت التي قطعت قلبي حزاذا وفرقت قرح القلب فهو كليم  
وانت التي احفظت قومي فكلمهم بعيد الرضاداني الصدود كظيم

وقد اجابته محبته اُمامة فذكرت ما لقيت في سبيل حبه من سفاهة  
الوشاة ، وشماتة اللاتمين ، حين تقول :

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني واشمت بي من كان فيك يلوم  
وابرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً اُرمى وانت سليم  
فلو ان قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

وقد ضعف ابن الدمينه عن مجاراتها في قسوة العتاب ، فبعث اليها الابيات  
الآتية ، يسألها الصفح والغفران :

واذا عبت عليّ بت كأتني بالليل مختلس الرقاد سليم  
ولقد اردت الصبر عنك فعاقني علق بقلبي من هواك قديم  
يبقى على حدث الزمان وربيهِ وعلى جفائك انه لكريم

ومن المحبين من تعجزه الحيلة ، فيذكر احبابه بأن الحياة قصيرة ، لا تتسع  
للصد ، ولا تحتمل الهجر ، كقول الطغرائي :

ويا رُفقة مرّت يجزعا مالِك تؤم الحمى أنضأوها المطايا  
نشدتكم بالله الا نشدتُم بها شعبة أضلّتها من فؤاديا  
وقلتم لحيّ نازلين بقرها أقاموا بها واستبدلوا بجواريا  
رويدكم لا تسبقوا بقطيعي صروف الليالي إن في الدهر كافيا

وأصل هذا المعنى لايأس بن القائف إذ يقول :

إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنائها فقدت صديقي والبلاد كما هيا  
فأكرم اخاك الدهر ما دتما معاً كفى بالممات فرقة وتائباً

وقد كاد سعيد بن حميد يضع لهذا المعنى صورة شعرية بقوله في النهي عن  
العتاب :

أقل عتابك فالبقاء قليل      والدهر يعدل نارة ويميل  
لم أبك من زمن ذمت صروفه      إلا بكيت عليه حين يزول  
ولكل نائبة ألت مدة      ولكل حال أقبلت تحوّل  
والمنتمون إلى الأخاء جماعة      إن حصّلوا أفنّاهم التصحّل  
فلئن سبقت لتبكين بحسرة      وليكثرن عليّ منك عويل  
ولتفجعن بخلص لك وامق      حبّ الوفاء بحبله موصول  
ولئن سبقت ولا سبقت ليمضين      من لا يشاكله لديّ خليل  
وليذهبن بهاء كل مروءة      وليفقدن جاهها المأهول  
وأراك تكلف بالعتاب وودنا      باقٍ عليه من الوفاء دليل  
ولم أيام الحياة قصيرة      فعلام يكثر عتبنا ويطول

على ان الرقى الذي ألم بالطغرائي فجعله يرجو أحبابه أن لا يسبقوا صروف  
الليالي ، لم يمنعه من ان يصرخ شاكياً في نفس القصيدة . فيرمي أحبابه بالخيانة  
والنسيان ، وذلك قوله :

أفي الحق اني قد قضيت ديونكم      وان ديوني باقيات كما هيا  
فوا أسفي ، حتام أرعى مضيقاً      وآمن خوّاً وأذكر ناسيا  
وما زال احبابي يسيئون عشرتي      ويحفونني حتى عذرت الأعاديا

والبيت الأخير يذكرنا بقول أبي تمام :

أحبابه لم تفعلون بقلبه      ما ليس يفعله به أعداؤه

وقد بسط الارجاني هذا المعنى فقال :

أحبابنا كم تجرحون بهجركم      فؤاداً يبيت الليل بالهم مكدا  
إذا رمتم قتلي وأنتم أحبة      فما الذي أخشى إذا كنتم عدا

سأضمر في الاحشاء منكم محرقةً      واظهر للواشين عنكم مجلدا  
وأمنع عيني اليوم أن تكثر البكا      لتسلم لي حق أراكم بها غدا  
ومن هؤلاء المساكين الذين لا يجدون حيلة غير تذكير أحبائهم بقصر الحياة  
أبو صخر الهذلي في هذه الأبيات الموجهة :

بيد الذي شغف الفؤاد بكم      تفريج ما ألقى من الهم  
قد كان صرم في الممات لنا      فمجلت قبل الموت بالصرم  
ولما بقيت لبيقين جوى      بين الجوانح مضرع جسمي  
فتعلمي أن قد كلفت بكم      ثم افعلي ما شئت عن علم

وما ذكرت هذه المعاني المحزنة إلا تغنيت بهذا البيت الذي لا اراه إلا زفرة  
تتصعد ، أو عبارة تتدفق :

وأرى الايام لاتدنى الذي      أرتجي منك وتدنى أجلي ١١  
ومن الشعر المتمع في وصف الحيرة ، يرمى بها الحب العميد ، قول الشريف  
يعاتب حبيباً أغراه بالحب ، ثم اصلاه الصدود :

يا صاحب القلب الصحيح اما اشتفى      ألم الجوى من قلبي المصدوع  
أسأت بالمشتاق حين ملكته      وجزيت فرط نزاعه بنزوع  
هيهات لا تكلفن لي الهوى      فضح التطلع شيمة المطبوع  
كم قد نصبت لك الحباثل طامعاً      فنجوت بعد تعرض لوقوع  
وتركتني ظمأب أشرب غلتي      أسفاً على ذاك اللى المنوع  
قلبي وطرفي منك هذا في حمى      قيظ وهذا في رياض ربيع  
كم ليلة جرعتُهُ في طولها      غصص الملام ومؤلم التفرع  
أبكى ويبسم والدجى ما بيننا      حتى اضاء بشفوه ودموعي  
تفلي انامله التراب تمللاً      وأنالمي في سني المقروع  
قمر اذا استخجلته بعتابه      لبس الغروب ولم يعد لطلوع  
لوحيث يستمع السرار وقفتما      لمجبتا من عزه وخضوعي  
أبني هواه بشافع من غيره      شر الهوى ما نلته بشفيع



أهون عليك إذا امتلات من الكرى أي ابيت بليلة الملسوع  
قد كنت أجزيك الصدود بمثله لو أن قلبك كان بين ضلوعي  
وقد ارتبت في بيتين وردا في خلال هذه القصيدة ، وبينها وبين موضوعها  
يون شاسع ، وهما قوله :

ما كان إلا قبلة التسليم أر دفها الفراق بضمة التوديع  
كدي قديم في هواك وانما تاريخ وصلك كان منذ اسبوع  
فان هذا الوصل الحديث خليق بمحو ذلك العتب القديم ، والتنافر بين هذين  
البيتين وبين موضوع القصيدة ظاهر على الأقل من مقابلتها بهذا البيت الجميل :

أهون عليك إذا امتلات من الكرى أي ابيت بليلة الملسوع  
فانه يدل على ان الحبيب غير بعيد ، وانه في قربه نافر شرود ، مما يذكرنا  
بقوله من كلمة ثانية :

أبيت والليل مبثوث حباله والوجد يقنص مني كل مجلود  
شوقاً اليك واشفاقاً عليك ولي دمعان ما بين محلول ومعقود  
ليس الغريب الذي تنأى الديار به ان القريب قريب غير مودود  
وإنما اردنا هذه الملاحظة ليتنبه القارئ إلى ان في الدواوين اشياء كثيرة  
نسبت زوراً إلى الشعراء ، وربما عدنا إلى تحقيق ذلك في مبحث خاص . والادباء  
يعجبون بعينية الشريف هذه في العتاب ، وقلّ منهم من لا يحفظ هذا البيت  
المختار :

لو حيث يستمع السرار وقتما لعجبنا من عزه وخضوعي  
والعز والخضوع في هذا البيت يذكرنا بالعز والذل في قول عمارة اليمنى في  
المجون :

ونافر الاعطاف عاملته بالالطف حتى سكن النافر  
ولم أزل أمسح أعطافه ورايه في قصتي حائر  
حتى غدا من خجل مطرقاً وكل إعراض له آخر  
عجبت من ذلي ومن عزه في موقف عاذله عاذر

في ليلةٍ ساهرها نائمٌ      فساله سمعٌ ولا ناظر  
مددت فيها الفخ لما خلا الـ      جوءٌ إلى ان وقع الطائر  
فبت من فرط اغتباطي به      اظن اني غائبٌ حاضر

وابن التعاويذي يحيد الشعر في العتاب ، وهو صاحب هذه الابيات المختارة :

خذ في افانين الصدود فان لي      قلباً على العيلات لا يتقلب  
أتظنني اضمرت بعدك سلوةً      هيهات عطفك من سلوتي اقرب  
قد كنت تنصفني المودة راكباً      في الحب من اخطاره ما اركب  
فالיום اقنع ان يمرّ بمضجعي      في النوم طيف خيالك المتأوّب

وهو ايضاً صاحب هذه القطعة التي تمثل الوجد الدفين :

يا نازحاً ليس يدنو      وعاتباً ليس يرضى  
يا واجداً وديوني      في حبه ليس تقضى  
أمرت عيني ففاضت      ومضجعي فاقضاً  
ارقد هنيئاً فاني      ما ذقت بعدك غمضاً

ومن الظلم للعواطف ان لا تفصل مذهب العباس بن الاحنف في العتاب ، فان شعره آية الآيات في الشكوى من الهجر ، والتوجع من الصدود ، وهو مع هذا يعد ايام الهجر احسن ايامه ، ويقول :

واحسن ايام الهوى يومك الذي      'تروّع' بالهجران فيه وبالعتب  
إذا لم يكن في الحب سخطٌ ولا رضاء      فأين حلاوات الرسائل والكتب

ولكن هذا امل بعيد ، فليس كل عتب تدور فيه رسائل الحب ، وصحف الهوى ، وكذلك رزى ابن الاحنف بن ينبذ كتبه ، ويمزق رسائله ، وفي هذا المعنى قرأنا له هذه القطعة الباكية :

وصالكٍ مظلمٍ فيه التباسٌ      وعندك لو أردت له شهابٌ  
وقد تحملت من حبيك ما لو      تقسم بين اهل الارض شابوا  
افيعني من عتابك في أناسٍ      شهدت الحظ من قلبي وغابوا  
يظن الناس بي وبهم وانتم      لكم صفو المودة واللباب

وكننت إذا كتبت إليك اشكو      ظلمت وقلت ليس له جواب  
فعمشت أقوت نفسي بالاماني      اقول لكل جاعحة إياب  
وصرت إذا انتهى مني كتاب      إليك لتعطيني نبت الكتاب  
وان الود ليس يكاد يبقى      إذا كثرت التجني والعتاب  
خففت لمن يلوذ بكم جناحي      وتلقوني كأنكم غضاب

وقد أكثر ابن الأحنف من التوجع لحرمانه من كتب من هوى ، وهو صاحب  
هذا البيت الحزين :

ويقتنني من أحب كتابه ، ويمتنيه ، إنه لبخيل !  
وكثيراً ما يميل ابن الأحنف إلى الصفح الجميل ، إذ يرى العتاب لا يعطف  
القلوب ، إن لم تضمر الحنان . وقد أفصح عن ذلك في هذه الأبيات :

انكر الناس ساطع المسك من دج      لمة قد أوسع المشارع طيبا  
فهمو يعجبون منه وما يدرو      ن ان قد حلت منه قريبا  
قاسميني هذا البلاء وإلا      فاجعلي لي من التعزّي نصيبا  
ان بعض العتاب يدعو إلى العت      ب ويؤذي به المحب الحبيب  
وإذا ما القلوب لم تضمر العظ      ف فلن يعطف العتاب القلوبا  
وما أجمل العزة في قوله :

خففت لمن يلوذ بكم جناحي      وتلقوني كأنكم غضاب  
وقوله :

خففت طرفي لأدنى من يلوذ بكم      حتى احتقرت وما مثلي بمحتقير  
وأي كريم لم يلق مثل هذه الذلة في سبيل الصبابة ؟ ومتى عرف الهوى قيمة  
العزة في نفوس الاعزاء ، فعصمها عن مداراة قوم يحيطون بالجمال ، احاطة  
الاشواك بالورود ؟

وقد نرى ابن الأحنف يائساً من نفع العتاب ، فنقرأ له هذه الأبيات في التبرم  
بالسكوت :

سكوتي بلاء لا أطيق احتماله      وقلبي الوف للهوى غير فازع

فأقسم ما تركي عتابك عن قلبي ولكن لملمي انه غير نافع  
واني إذا لم ألزم الصبر طائعا فلا بد منه مكرها غير طائع  
إذا انت لم يعطفك إلا شفاعتي فلا خير في ودّ يكون بشافع

وربما رأيناه زاهداً في العتاب ، لأن محبوبته لا تصد صد العاتب ، بل صد  
الملول وذلك قوله :

لو كنت عاتبة لسكن لوعي أملي رضاك وزرت غير مراقب  
لكن مللت فلم تكن لي حيلة صدّ الملول خلاف صدّ العاتب  
ماضراً من قطع الرجاء ببخله لو كان علّني بوعده كاذب  
على ان ابن الاحنف لم يقض كل حياته في هذا العذاب ، بل رأيناه يعجب  
بنصره في الحب ، وقهره لقلوب الحسان ، أليس سعيداً من يقول :

يا ربّ جارية أسلبت عbertها من رقة ولنغيري قلبها قاسي  
كم من كواعب ما ابصرن خطيدي إلا تمنين ان يأكلن قرطاسي

وكان البها زهير ، احد وزراء مصر في أيامها الخوالي ، من ارق الشعراء في  
العتاب ، حتى لتحسب شعره نجوى بين المحب والحبيب ، او رنين الحلى عند  
عناق الحسان ، او خفوق الامل في قلب اليائس المحزون . انظر إلى اعتذاره  
عن محبوبه ، ورضاه عما جنت يد الدلال يسكر به المعشوق الجميل :

مولاي من سكر الدلا لعبثت والسكران عابث  
ونكست عهداً في الهوى ما خلت انك فيه ناكث  
لك لا اشك قضية انا سائل عنها وباحث

وقد يكثر في شعر البها زهير وصف الدلال وما له من النشوة والسكر ،  
فنراه في موطن آخر يقول :

اضنى الفؤاد فمن يريجه وحى الرقاد فمن يبيعه  
ونضا من الاجفان سيد فما قلما يبقى جريجه  
نشوان من خمر الدلا لغبوقه وبها صبوحه

والذي يعيننا الآلي شرح مواقفه في العتاب ، لانها تمثل الروح المصرية ، وما

لها من الساحة المصحوبة بالشتم والإيذاء . فحينئذ ينفي ما ذاع من سلوه ، حتى  
هجره احبابه ، فيقول :

يا هاجرين وحقكم	هوتم ما لا يهون
قلتم فلان قد سلا	ما كان ذاك ولا يكون
وحياتكم وهي التي	ما مثلها عندي يمين
ما خنت عهدكم كما	زعم الوشاة ولا اخون
يا من يظن بأنني	قد خنته غيري الخئون
لو صح ودك صح ظن	لك بي وبان لك اليقين
يا قلب بعض الناس كم	تقسو علي وكم ألين
يا ويلناه لمن يخنا	طيب أولمن يشكو الحزين
قد ذل من كان المعيد	ن له هو الدمع المعين

وحينئذ يمزج العتاب بالشكوى فيقول :

يا اعز الناس عندي	كيف خنت اليوم عهدي
سوف اشكوك بعدي	فعمى شكواي تجدي
ابن مولاي يراني	ودموعي فوق خدي
اقطع الليل اقامي	ما اقامي فيه وحدي
ليتني عندك يا مولا	ي أو ليتك عندي

ثم يترفق في شكواه وأمانيه ، فيقول :

من لي بقلب اشتري	من القلوب القاسية
إنني لأطلب حاجة	ليست عليك بخافية
أنعم علي بقبلة	هبة وإلا عاريه
وأغيدها لك لا عده	ت بعينها وكما هيه
وإذا أردت زيادة	خذها ونفسي راضيه
فعمى يحود لنا الزما	ن بخلو في زاويه
أوليتني ألقاك وح	دك في طريق خاليه

وهذه غاية الغايات في رقة النجوى ولطف العتاب ، ولكن البها زهير كما قلنا  
مصري الروح : فهو في رفته غضوب : ألم تر اليه وقد تبدل من هوى ، فرماه  
بهذه الصاعقة :

يا من تبدل في الهوى      يهنئك صاحبك الجديد  
إن كان اعجبك الصدود      د كذاك اعجبني الصدود  
واعلم بأنني لا اريد      د إذا رأيتك لا تريد  
وأنا القريب فان تغيب      ر صاحبي فأنا البعيد

وقد اوضح هذا المعنى ووفاه ، في الكلمة الآتية :

سأعرض عن راح عني معرضاً      وأعلن سلواني له وأشيعه  
واحجب طريقي عنه فهو رسوله      واحجب قلبي عنه فهو شفيعه  
وكيف ترى عيني لن لا يرى لها      ويحفظ قلبي في الهوى من يضيعه  
واقسمت لا تجري دموعي على امرئ      إذا كان لا تجري علي دموعه  
فلو خان طريقي ما حوته جفونه      ولو خان قلبي ما حوته ضلوعه

واوضح من هذا قوله من كلمة ثانية :

هو حظي قد عرفته      لم يحل عما عهدته  
فاذا قصر من اهوا      ه في الحب عذرتة  
غير اني لي في الخ      ب طريق قد سلكته  
لو اراد البعد عني      نور عيني ما تبعته  
إن قلبي وهو قلبي      لو تجننى ما صحبته  
كل شيء من حبيبي      ما خلا الغدر احتملته  
أنا في الحب غيور      ذاك خلقي لا عدمته  
أبصر الموت إذا أبه      ر غيري من عشقته

## نوح الحمام

لقد ألمنا ألمامة قصيرة بنوح الحمام عند اسباب المدامس ، واليوم تفصل  
مذاهب الشعراء في هذا الباب : فمنهم من يحن إلى الحمام الشادية ، ويتمنى لو  
عدن اليه ، فاذا عدن أسلمته إلى البكاء ، كما قال المجنون :

ألا إحامات اللوى عدن عودة فاني إلى اصواتكن حزين  
فعدن فلما عدن كدن يمتنني وكدت بأشجاني هن أبين  
فلم تر عيني مثلهن بواكياً بكين ولم تدرى هن عيون

ومن الشعراء من يذكر ان الحمام الباكية تبعث الهوى في قلب الحلي ،  
فكيف بالشجي ، وأن أنغامها ليست دموعاً ولكنها امضى من الدموع ، كما  
قال ابو تمام :

بعث الهوى في قلب من ليس هائماً فقل في فؤاد رُعنه وهو هائم  
لها نغم ليست دموعاً فان علت مضت حيث لا تمضي الدموع السواجم

ومنهم من يستريح إلى نوح الحمام ، ويراه تداوياً من الداء بنفس الداء ، كقول  
ابن عبد ربه :

فكيف ولي قلب إذا هبت الصبا اهاب بشوق في الضلوع دفين  
ويحتاج منه كلما كان ساكناً دعاء حمام لم تبت بكون  
وان ارتياحي من بكاء حمامة كذي شجن داوئته بشجون  
كان حمام الأيك لما تجاوبت حزين بكى من رحمة الحزين

ويسمون الحمامة « مطوقة » لطوقها الخضب الجميل ، كما قال ابن عبد ربه :  
ونائح في غصون الأيك أرقتني وما غنيت بشيء ظل يعنيه

مطوقٌ بخضابٍ ما يزيله حتى تزيله إحدى تراقيه  
 قد بات يشكو بشجوما دريت به وبات اشكو بشجور ليس يدريه  
 ومن الشعراء من يقارن بينه وبين الحمامة الباكية ، فيذكر انها تبكي بلا  
 دمع ، وان لفها منها قريب ، كما قال ابو علم الشيباني من قصيدة اقترحها عليه  
 طاهر بن الحسين ، وقد كبرت سنه ، وطالت غريته :

وأرقتني بالري نوح حمامة فنحت وذو الشجوة الغريب ينوح  
 على انها ناحت ولم تذر دمة ونحت واسراب الدموع سفوح  
 وناحت وفرخاها بحيث تراها ومن دون اقراخي مهامه فيح  
 ألا يا حمام الالك الفلك حاضرا وغصنك مباد ففيم تنوح  
 أفق لا تنح من غير شيء فانتني بكيت زمانا والفؤاد صحيح  
 ولوعا فشطت غربة دار زينب فهأنا ابكي والفؤاد جريح

وبما يحذر ان يكون « صورة شعرية » في وصف الحمامة للباكية قول  
 الطغرائي :

أبكيت صدحت شجوا على فتن ناحت وما فقدت إلفا ولا فجمت  
 ناحت وما فقدت إلفا ولا فجمت طلقة من إسار الهم ناعمة  
 تشبهت بي في وجدي وفي طربي تشبهت بي في وجدي وفي طربي  
 ما في حشاها ولا في جفنها أفر ما في حشاها ولا في جفنها أفر  
 يارب البانة الفناء تحضنها يارب البانة الفناء تحضنها  
 إن كان نوحك إسعادا لفترب إن كان نوحك إسعادا لفترب  
 فقارضيني إذا ما اعتادني طرب فقارضيني إذا ما اعتادني طرب  
 أولا فقصرك حتى استمعين من أولا فقصرك حتى استمعين من  
 ما انت مني ولا يعينك ما اخذت ما انت مني ولا يعينك ما اخذت  
 كيلى إلى النعم إسعادي فإن له كيلى إلى النعم إسعادي فإن له

وهذه القصيدة من ابداع ما قال الشعراء في الجرائم الشايات . وهي النموذج



لملاحه التقسيم ، وبراعة التصوير ، وحلاوة التعبير ، ويقرب منها قول ديك الجن :

حمامٌ وُرُقٌ في حمى وِرَقٍ خُضِرَ لها مُقَلٌّ تُجْرِي الدموع ولا تُجْرِي  
تُكَلِّفُن إسماعدا الغريبة ان بكّت وإن كن لا يدرين كيف جوى الصّدر  
لها حُرَقٌ لو ان خنساء اعتولتْ بهن لادّت حق صخر الى صخر  
فقلت لنفسي ها هنا طلب الاسى ومعدنه ان فاتني طلب الصبر

وقد يحسن لفت النظر الى الخرافة القديمة في نوح الحمام : فان العرب يذكرون  
انه كان لمن ملك في عهد نوح يسمى ( الهديل ) فمن يبكيه الى الآن ؟ ! وهو  
المعني بقول نصيب :

لقد راعني للبين نوح حمامة على غصن بان جابيتها حمامٌ  
هوائفٌ اما من يكزين فعهده قديمٌ واما شجوهن فدائمٌ

ومن ذكر الهديل حميد بن ثور في هذه الابيات الحسان :

إذا نادى قريبته حمامٌ جرى اصباقي دمعٌ سفوحٌ  
يُرَجِّعُ بالدعاء على غصون هتوفٌ بالضحى غرد فصيح  
هفا لهديله مني اذا ما قفرٌ ساجعا قلبٌ قريح  
فقلت حمامة تدعو حماما وكل الحب نزاعٌ طمّوح

قا ابو بكر بن دريد : خرجنا من عمان في سفر لنا ، فنزلنا في اصل نخلة ،  
فنظرت فاذا فاختتان تزوران في فرعها ، فقلت :

اقول لورقاوين في فرع نخلة وقد طفّل الإسماء اوجنح العصر  
وقد بسطت هاتي لتلك جناحها ومال على هاتيك من هذه النحر  
ليهنّيكما ان تراعيا بفرقة ومادب في تشيت شعلكا الدهر  
فلم أر مثلي قطع الشوق قلبه على انه يحكي قساوته الصخر

ومن جيّد الشعر في الموازنة بين العاشق وبين الحمامة الشادية قول ابن سنان  
الخفاجي :

اتظن الورق في الايك تغنى انها تضمر حزنا مثل حزني  
لا أراك الله نجدا بعدها ايها الحادي بها ان لم تجبني

هل تباريني الى بث الجوى      في ديار الحي نشوى ذات غصن  
هَبْ لَنَا الشَّبَقَ وَلَكِنْ زَادَنَا      اننا نَبْكِ عَلَيْهَا وَتَفْنِي  
يَا زَمَانَ الْخَيْفِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ      يَسْمَحُ الدَّهْرُ بِهَا مِنْ بَعْدِ ضَنْ  
أَرْضِينَا بِشِيَاثِ اللَّوَى      عَنْ زُرُودٍ يَالِهَا صَفْقَةُ غَيْبٍ

وقد ينكر الشاعر على الحماسة ان تشكو الفراق ، وهي كثيرة الالاف ،  
وحالية بالطوق والحضاب ، كقول ابن سنان صاحب الابيات السالفة :

وهاتف في البان تملي غرامها      علينا وتتلو من صبايتها صغفا  
عجبت لها تشكو الفراق جهالة      وقد جاوبت من كل ناحية النفا  
ويشجي قلوب العاشقين حنينها      وما فهموا مما تغنّت له حرفا  
ولو صدقت فيما تقول من الالاسى      لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

ولكن الارّجاني يصفها بصدق اللوعة ، فيذكر انها مزقت اثواب الحِداد ،  
وان صدورها ضاقت بأنفاسها ففضت مجامع الاطواق وانها نزفت دمعها وافنته  
بطول البكاء ، وذلك في قوله :

ومما شجاني وقد ودّعوا      بكاء الحمام على ساقها  
تنوح على بُعد الألفها      وتظهر مكنون اشواقها  
لبسن حداداً ومزقته      فلم تدخر غير ازياقها  
وضاقت صدوراً بأنفاسها      ففضت مجامع اطواقها  
وقد نزفت في الهوى دمعها      فلم يبق ماءً بآماقها

ولم يكثر الشعراء الحديث عن غناء الكروان ، ويظهر انهم لم يتمتعوا  
بأعانيه الجميلة على ضفاف النيل في سنتريس ، والدهر كله فداء للحظة واحدة  
من الاصائل ، او العشيات ، او الاسحار ، في مغاني سنتريس .

ويمعجني في وصف الكروان قول الاستاذ عباس العقاد :

يا مُحْيِيَّ اللَّيْلِ البهيم تهجداً      والطير آوية الى الاوكان  
يحدو الكواكب وهو اخفى موضعاً      من نايف في غمرة النسيان  
قل يا شبيه النابغين اذا دعوا      والجهل يضرب حولهم بجران

كم صبيحة لك في الظلام كأنها  
خفاقة النغمات تطفر في الدجى  
هن اللغات ولا لغات سوى التي  
إن لم تقيدها الحروف فانها  
أغنى الكلام عن المقاطع واللغى  
إني لأسمع منك إذ ناديتني  
اصفي اليك إذا هتفت وفي يدي  
شعر الطيور ولا رياء يشوبه  
ياساليا يشكو ويصدق وحده  
دقات صدر للدجنة حان  
فوق النسائم طفرة النشوان  
رُفعت بهن عقيرة الوجدان  
كالوحي ناطقة بكل لسان  
بث الحزين وفرحة الجذلان  
معنى يقصر عنه كل بيان  
سفر يغرد صامت الأوزان  
يذرى ببذع قصائد الإنسان  
علم سميرك راحة السلوان

ومن خير ما وصفت به الحمامة من ناحية الخلقة الجميلة ، قول بعض الاعراب :

وقبلي أبكي كل من كان ذا هوى  
وهن على الأطلال من كل جانب  
مزبجة الأعناق غر ظهورها  
تري طرراً بين الخوافي كأنها  
ومن قطع الباقوت صيغت عيونها  
هتوف البواكي والديار البلاقع  
نوائح ما تحضل منها المدامع<sup>(١)</sup>  
مخطمة بالدرد خضر روائح<sup>(٢)</sup>  
حواثي برد زينتها الوشائع<sup>(٣)</sup>  
خواضب بالحناء منها الاصابع

ويعجبني خطاب عبد البر بن فرسان القسافي لطائر مغرد ضم أفراخه اليه :

أعدهن الحاناً على سمع مُعرب  
وطر غير مقصوص الجناح مُرقها  
مُخلّى وأفراخاً بوكرك نوّما  
ألا ليت أفراخي معي كن نوّما  
يطاوح مراتحاً على القُضب مُعجبا  
مُسوّغ أشاتِ الحبوب مُنمعا

وقد أبدع الرصافي شاعر الاندلس حين تغنى يوماً من أيام شبابه وقد خلا  
فيه بن يهوى في روضة لم يشاركهم في سكنها غير الهديل ، وأبياته الآتية غاية

(١) المدامع هنا أماكن الدمع وهي الميون

(٢) مزبجة : من الزبرج وهو الزخرف . ومخطمة من الخطم بفتح فسكون وهو متقار

الطائر

(٣) الوشائع جمع وشية وهي الطرائق في الثوب

من غايات الحسن في وصف الشمس وهي تجنح للغروب :

وعشيّ رائق منظره قد قطعناه على صرف الشمول  
وكان الشمس في أثنائه ألصقت بالأرض خدّاً للنزول  
والصبا ترفع أذيال الرّيا ومحيّا الجو كالسيف الصقيل  
حبذا منزلنا مُغتَبَقاً حيث لا يطرُقنا غير الهديل  
طالرّ شادٍ وغصنٌ منّانٍ والدجى تشرب صهباء الأصيل

ومما يقرب من هذا الباب وليس منه قول القاضي أبي حفص القرطبي :

هم نظروا الواحظها فهاموا وتشرب لبّ شاربها المدام  
يخاف الناس مقتلها سواها أبذعر قلب حامله الحسام  
سما طرفي إليها وهو باك وتحت الشمس ينسكب الغمام  
وأكر قدّها فأنوح وجدّاً على الأغصان ينتحب الحمام  
وأعقب بينها في الصدر غماً إذا غربت ذكاء أتى الظلام



## التقرب بالدموع

خير ما تقرب به الحب إلى حبيبه دمع مسفوح ، وقلب مجروح ووجد  
مشبوب ، وصبر مغلوب !! والتقرب بالدمع نوع من الاستعطاف تغزى به قلوب  
الحسان ، ومن طريقه قول الأبيوردي :

أشكو الهوى لثقي يا أميمة لي فطالما رفق المشكو بالشاكي  
يشقى بعضي ببعضي في هواك فما للمين باكية والقلب يهواك

وهذا المعنى غير معروف عند العرب : فهم يرون بكاء العين من فضل حزن  
الفؤاد ، حتى يقولون : نعمت العين ، وشقى القلب ، ولكن الأبيوردي عكس  
المعنى ، فجعل نعيم القلب في الهوى ، وعذاب العين في البكاء ، ثم قال :

إن يبعك ثفرك دمع حين أسفحه فإنني جدت للمحكي بالحامي  
ما كنت أحسب أن الدر مسكنه يكون جيدك أو عيني أو فاك  
وأوضح من هذا وأجل قول الشريف :

أهون بما حملتني من الضنى لو أن طيفك كان من عوادي  
ولقلما زار الخيال بمقلة روعاء نافرة بغير رقاد  
ما تلتقي الأجفان منها ساعة وإذا التقت فلفض دمع باد  
لا يبعدن قلبي الذي خلفته وقفاً على الإتهام والإنجاد  
إن الذي غمر الرقاد وساده لم يدر كيف نبا علي وسادي  
ولقد بعثت من الدموع اليكم بركايب ومن الزفير بجادي  
لولا هواك لما ذلت وانسا عزتي يعتري بذل فؤادي

وهكذا يجمع الشريف الرضي بين العزة القرشية ، والذلة المدرية : فهو عزيز  
ذليل !! وللبعاري حوار لطيف في هذا الباب ، فمن ذلك قوله :

صلي مغرمًا قد وائرَ الشوقُ دمعهُ سجاماً على الخدين بعد سجامٍ  
فليس الذي حللته بحللٍ وليس الذي حرّمته بحرامٍ  
وقد ردّد هذا المعنى في موطن آخر فقال :

ألامُ على هواكٍ وليس عدلاً إذا أحببتُ مثلك أن ألاما  
فقد حرّمت من وصلي حلالاً وقد حللت من هجري حراما

ولا يسعني وقد اسرف البحتري في ذكر الحرام والحلال ، إلا الرجاء في أن  
ينصف هذا المظلوم يوم يقوم الحساب !! وقد رق شعر العباس بن الأحنف حين  
يقول :

أما استوجبت عيني فديتك نظرة اليك وقد أبكيتها حجباً عشرا  
لمعري لأن أقررت عيني بنظرة اليك لقد عذبتّها بالبكا دهرا  
ويقرب من هذا قوله من كلمة ثانية :

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروبُ  
وما ذاك إلا حين ايقنت انه يمر بوادٍ أنت منه قريب  
يكون أجاباً دونكم فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب  
أيا ساكني اكناف دجلة لكم إلى القلب من اجل الحبيب حبيبُ

وقد تلمظ ابن التعاويذي في شكوى حاله إلى من يهوى بقوله :

يا موحش العين التي أنست بطول بكائها  
غادرت بين جوانحي نفساً تموت بدائها  
تشتاق عيني ان تراك وانت في سودائها  
فاذا بخلت بنظرة سمحت بجمّة ماها

ومن مبتدعات المتأخرين في هذا المعنى قول بعض الشعراء :

وقلتُ شهودي في هواك كثيرةً واصدقها قلبي ودمعي مسفوحُ  
فقال شهودٌ ليس يقبل قولها فدمعك مقدوف وقلبك مجروح

وهو كلام قد يطمئن له الفقهاء والمحدثون ، لطول ما يبحثون في القذف  
والتجريح ، وما أغنى الشعر عن تفسير أولئك وتأويل هؤلاء !!

وقد يتوسل الحب بفنائه في الوجد ، ومن شعراء العصر من اجاد هذا المعنى ، كصاحب البدائع حين يقول :

يا اهل اسيوط لا زلتم بعافية  
أسلمتموني لدهرى بعد ما بليت  
فلو أئت ظبية الجراء غازية  
يا ويح نفسي ، اتنسوني واذكركم  
وإن تمرّد في وجدي بكم داني  
من قسوة الصدّ والتبريح احشائي  
قلبي كما وجدته غير اشلاء<sup>(١)</sup>  
مقرّح الجفن في صبح وامساء

إن الذين بأمر الحب قد ملكوا  
لم يُدنني الشوق يوماً من منازلهم  
كم رُحتُ احمل آمالي لحيتهم  
يا لوعة القلب لا شكواي نافعة  
أبيتُ اندب عهداً مرّ طيبه  
وأرسل الزفرة الجراء لافعة  
لم يثّقوا الحب في ضربي وايدائي  
الا تولوا مع الأيام اقصائي  
وعدتُ احمل آلامي وارزائي  
ولا بكاي بشاف مسّ ضرائي  
كلمعة البرق في اعطاف ظلماء  
كوقدة الجمر في آجام قصباء

يا من يعزّ علينا ان نجازيم  
لو ترحوت وصلتم شيئاً كلفاً  
صدّاً بصدّ واغضاء بإغضاء  
ألقي جفاكم عليه ألفاً بأساء

---

(١) الجراء : حي جميل من احياء اسيوط

## ثورة الوجد

نذكر هنا طرفاً من الشعر الموجد ، الذي يمثل ثورة الوجد ، ولوعة الأسى ،  
فمن ذلك قول أبي تمام :

سقيمٌ لا يموتُ ولا يُفَيِّقُ      قد اقرح جفنه الدمعُ الطليقُ  
شديد الحزن يحزن من يراهُ      اسير الصبر فأظره أريقُ  
ضمج صبايةٍ وحليف شوقٍ      تحمل قلبه ما لا يُطيقُ  
يَظَلُّ كأنه بما احتواهُ      يُسَعِّرُ في جوانبه الحريقُ

وأي حال ادعى للرحمة ، وواجب للإشفاق ، من حال هذا الحب السقيم ،  
الذي لا يموت ولا يفيق . والذي يحزن من يراه : لصبره الاسير ، وناظره الأريق  
والذي حالف في ضعفه الشوق ، وضاجع الصباية ، حتى لكأنه بما به ، تسعّر  
النار في ضلوعه ؟ !

ويقرب من هذا قول ابن الرومي في فراق اثنين من خلانه :

لم يَسْتَرَحْ مَنْ لَهُ عَيْنٌ مُؤَرِّقَةٌ      وكيف يعرف طعمَ الراحةِ الأرقُ  
محمدٌ وعليٌ ففتنا كبدِي      اذا ذكرتها والعيسُ تنطلقُ  
خِلَانٌ حل بقلبي من فراقها      ما كنت احذر منه قبلَ نفاثِقُ  
قلبٌ رقيقٌ تلظت في جوانبه      نار الصباية حتى كاد يحترقُ  
وددتُ لو تم لي حجبى بقريها      ما كلُّ ما تشتهيهِ النفس يتفقُ

ومما يمثل ثورة الوجد في الصدر ، مع الغيظ مما جنت يد الليالي ، قول  
المتنبي :

اكيداً لنا يابنٌ واصلت وصلنا      فلا دارنا تدنو ولا عيشنا يصفو



اردّد ويلي ، لو قضى الليل حاجةً واكثر لهفي ، لو شفا غلةً لهفُ  
 ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامنًا لذذتُ به جهلا وفي اللذة الحثف  
 وكان الابيوردي يثُل وجده يوجد الطيبة تترك ولدها في طلب الكلام ثم  
 تعود سريعة إلى لقائه فتجده مات ا واليك من شعره هذه اللؤلؤة الفتانة :

وما امّ ساجي الطرف مال به الكرى	على عذبات الجزع تحسبه قلبا
تُرَاعِي باحدى مُقلتيها كِنَاسَهَا	وترمي بأخرى نحوه نظراً غرّبا
فلاح لها من جانب الرمل مرثعٌ	كأن الربيع الطلق ألّسه عُصبا
فمالَت اليه والحريصُ إذا غدت	به سورة الأطماع لم يحمد العقبى
وآنسها المرعى الخصب فصادفت	مدى العين في ارجائه بلدا خصبا
فلما قضت منه اللبانة راجعتُ	طلاها فألفته قضى بعدها تحبّا
اتيح له عاري السواعد لم يزل	يخوض إلى اوطاره مطلباً صعبا
فولّت على دُعرٍ بالنفس ما بها	من الكرب لا لقيت في حادث كربا
بأوجدَ مني يوم عجت ركايا	لبين فلم تترك لذي صبوة لبّا

وهذه الصورة الشعرية كثيرة الامثال في الآداب القديمة ، وانما نسبناها إلى  
 الابيوردي لأنه يرددها في شعره ، فمن ذلك قوله في كلمة ثانية :

وما مُنْزَلٌ تعطو الاراك يهؤه	نسيمٌ تناجيه الخائلُ وان <sup>(١)</sup>
وتزجى بروقيها أغن كانه	من الضعف يطوي الارض بالرسفان <sup>٢</sup>
فمال إلى الظلّ الاراكي دونها	وكانا به من قبل يرتديان
وُصِبَتْ عليه الطلّس وهي سواغب	تجوب اليه البید بالئسلان <sup>(٣)</sup>
فمادت اليه أمه وفؤادها	هفا كجنّاح الصقر في الخفقان
وظلت على الجرعاء ولهى كئيبه	وقد سال واديا بأحمر قان

(١) المنزل : ام الغزال ، الخائل جمع خيمة وهي ألفاف الشجر

(٢) الرسفان ، المشي في القيد

(٣) الطلّس ، الذئب . ولواغب ، الجياح . والئسلان ، مشي الذئب إذا أسرع

تسوف الثرى طوراً ويعبث ثارة<sup>(١)</sup> بها اولق<sup>(٢)</sup> من شدة الوَلَهان  
بأوجدَ مني يومَ سرتُ إلى الحمى وقد نزلتُ سمراءَ سَفحِ ابان<sup>(٣)</sup>

ونحب ان نلفت القارئ الى ما في امثال هذه الصور الشعرية من الكلف  
بتصوير الطبيعة ، وما فيها من حياة الحيوان ، فقد اغرم شعراء الغرب بهذا  
الاسلوب ، فزاد شعرهم جمالا إلى جمال . ولولا الرغبة في الايجاز لنقلت قطعة  
من شعر ( ألفريد دي ميسيه ) تماثل شعر الابيوردي في هذا الجانب من البيان .  
والناس هم الناس ، في كل قطر ، وفي كل جيل ، والتباين قليل في الميول ، وفي  
تذوق الوان الحياة ، وان عظم الفرق حيناً في التعبير عن نزعات النفوس ،  
وشهوات العقول .

ومن خالد الشعر في ثورة الوجد نونية الوزير ابن زيدون ، وقد رأينا ان  
نثبتها هنا كاملة — كما فعل المقرئ صاحب نفح الطيب — لأنها ذكرت مفارقة في  
اكثر المؤلفات :

اضحى التناهي بديلا من تدانينا	ونابَ عن طيب لقيانا مجافينا
من مُبلغِ الملبسينا بانقراحهم	حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا
ان الزمان الذي قد كان يضحكنا	انسا بقرهم قد عاد يُبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى قدعوا	بأن نغص فقال الدهر آمينا
فاحل ما كان معقوداً بأنفسنا	وانبت ما كان موصولاً بأيدينا
بالأمس كنا وما يُخشى تفرقنا	فاليوم نحن وما يُرجى تلاقينا
يا ليت شعري ولم نعتب اعاديكم	هل نال حظاً من العتبى اعاديننا <sup>(٣)</sup>
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم	رأيا ولم نتقلد غيره ديننا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه	وقد يثسنا ، فما لليأس يُقرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جواهرنا	شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

(١) تسوف ، تشم . الاولق ، الجنوب

(٢) أبان ، جبل شرقي الحاجر فيه محل

(٣) اعتبه ، ارضاه . والعتبى ، الترضية

نكاد حين 'تناجيك' ضماثرنا يقضي علينا الاسى، لولا تأسينا (١)  
 حالت لبعدكم أيامنا ففقدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا  
 إذ جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صافٍ من تصافينا  
 وإذا همصنا فنون الوصل دائيةً قطوفها فجئنا منه ما شينا  
 ليسقَ عهدكم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رباحينا  
 لا تحسبوا نايكم عنا يُغيرنا إذ طالما غير النأي الهبينا  
 والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

يا ساري البرق غادر القصر فاسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا  
 واسأل هنالك هل غنى تذكرنا إلفاً تذكره أمسى يمني (٢)  
 ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حياً كان يُحينا  
 وبيت ملكٍ كأن الله أنشأ مسكاً وقد أنشأ الله الورى طينا  
 أو صاغه ورقاً محضاً وتوجه من ناصع التبر إبداعاً وتحسينا (٣)  
 إذا تأود أدته رفاهيةً تدمي العقول وأدمته البرى لنا (٤)  
 كانت له الشمس ظيئراً في تكلله بل ما تجلى بها إلا أحايينا (٥)  
 كأنما نبتت في صحن وجنته زهر الكواكب تعويذاً وتزيينا  
 ما ضر ان لم نكن اكفاءه شرفاً وفي المودة كافٍ من تكافينا (٦)  
 يا روضة طالما اجنت لواحظنا ورداً جناء الصبا غصاً ونسرنا  
 ويا حياة تملأنا بزهرتها منى ضروباً ولذاتٍ افانينا (٧)  
 ويا نعيماً خطرنا من نضارته في وشي نعى سحبتنا ذيله حيننا  
 لسنا نسبيك إجلالاً وتكرمةً فقدرك المعلى عن ذاك يُغينا

(١) التأسى ، التعزي (٢) عناء ، اشقاء (٣) ورق ككتف ، الفضه  
 (٤) تأود ، تشى . أدته ، أثقلته . البرى ، الخلاخيل (٥) الظفر من معانيه جانب القصر  
 (٦) متكافى ، التكافؤ والتائل (٧) تملأنا ، تمنعنا

إذا انفردت وما شورك في صفةٍ فحسبنا الوصف ايضاحاً وتبييناً

●

ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها	والكوثر العذب زقثوماً وغسلينا
كأنتا لم نبت والوصلُ ثالثنا	والسعد قد غصّ من اجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء تكتننا	حتى يكاد لسان الصبح يُفشيننا
لا غرو في ان ذكرنا الحزن حين نبت	عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
إنا قرأنا الاسى يوم النوى سُوراً	مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بشربه	شرباً وان كان يُروينا فيُظميننا <sup>(١)</sup>
لم نجفُ أفق جلال أنتِ كوكبه	سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختياراً تجنبناكِ عن كُتب	لكن عدتنا على كسرهِ عوادينا <sup>(٢)</sup>
نأسى عليك إذا حُثت مشعشة	فينا الشمول وغنانا مُغنيننا
لا أكوس الراح تبدي من ثنائنا	سما ارتياح ولا الاوتار قلهنا
دومي على العهد ما دمنا محافظة	فالحر من دانٍ إنصافاً كما ديننا
فما استعضنا خليلاً عنك يحسنا	ولا استفدنا حبيباً منك يُغنيننا
ولو صبا نحوا من أفق مطلعهِ	بدر الدجى لم يكن حاشاك بصيينا
أولي وفاء وإن لم تبذلني صلة	فالطيف يقنعنا والذكر يكفيننا
وفي الجواب شفاء لو شفقت به	بيض الأيادي التي ما زلت قولينا

وقد أغرمَ الشعراء بتخميس هذه القصيدة ، وتسديسها ، وتشطيرها ؛ وكذلك شغلت الأذهان زمناً غير قليل . وقد ارسل ابن زيدون هذه القصيدة إلى معشوقته ولادة ، وهي سيدة اندلسية ظريفة من بنات الخلفاء الامويين ، وقد كانت في جمالها شاعرة مجيدة ومن شعرها هذان البيتان تدعو بهما ابن زيدون :

ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي فاني رأيتُ الليلَ أكرمَ للسر  
وبي منك ما لو كان بالفجر لم يَلحُ وبالليل لم يُظلم وبالنجم لم يَسُر  
ولابن زيدون في ولادة مقطعات حسان ، كقوله :

---

(١) الشرب بكسر الشين كالشرب وهو اللورد (٢) عن كُتب ، عن قوب

واهاً لمطفك والزمان كأنما  
والليل مها طال قصر طوله  
أما منى نفسي فأنت جميعها  
يدني مثالك حين شط به النوى  
ومن موجع الشعر قوله :

بينني وبينك ما لو شئت لم يضع  
يا بائعاً حظه مني ولو بذلت  
ولصديقنا الأستاذ انيس ميخائيل  
إني ذكرتكَ بالزهراء مشتاقاً  
وللنسيم اعتلال في أصائله  
والنهر عن مائه الفضي مبتسم  
يوم كأيام لذات لنا انصرمت  
نلهو بما يستميل العين من زهر  
كأن أعينه إذ عاينت ارقى  
وردت تالت في ضاحي منابته  
سرى ينافحه نيلوفر عقب  
كل بهيج لنا ذكرى تشوقنا  
لو كان وفي المنى في جمعنا بكم  
لا سكّن الله قلباً عن ذكركم  
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا  
كان التجازي بمحض الود منذ زمن  
فالآن احمد ما كنا لمهدكم  
واني لفتون بهذا الشطر الحزين :

سلوتم وبقينا نحن عُشاقا

فانه يمثل المحب ، وقد سلا احبابه ، وبقي وحده يعاني آلام الوجد ، واهوال

الصدود .

## الارق والسهاد

شكا الشعراء قديماً وحديثاً طول الليل بعد الفراق ، وعند الهجر والصدود .  
فمنهم من يستنجد محبوبه ، ويستعديه على وحشة الليل ، ومضاضة الارق ،  
كقول البيوردي .

أَمِّمَ إِنْ خَفِيتْ عَلَيْكَ صَبَابِي      فَسَلِي ظِلَامَ اللَّيْلِ كَيْفَ أَكُونُ  
وَاسْتَخْبِرِي عَنِّي النُّجُومَ فَقَدْ رَأَتْ      سَهْرِي وَأَرْوَقَةَ الْغِيَاهِبِ 'جُونُ  
وَلَنْ أَذِلْتُ مُصُونٌ دَمْعِي فِي الْهَوَى      فَعَلَى الْبُكَاءِ 'يَعُولُ' الْحَزُونُ

وهذه الابيات من خير ما قال المحبون في شكوى الوجد ، وعبثه بكرائم  
النفوس . ومنهم من يستعين من حوله ، ويرجوهم ان يحدثوه عن النهار ، أو  
بصفوه له ، فقد طال ليله ، حتى نسي النهار ، وأوصاف النهار ، كما قال ابن  
الأحنف :

أَيُّهَا الرَّاقِدُونَ حَوْلِي أَعِينُوا      فِي عَلَى اللَّيْلِ حَسْبَةً وَاتَّعَجَارُوا  
حَدِّثُونِي عَنِ النَّهَارِ قَلِيلاً      أَوْصِفُوهُ فَقَدْ نَسِيتُ النَّهَارَ

وابن الاحنف يحميد شكوى الليل الطويل ، والسهاد المملول ، فمن ذلك  
قوله :

ثَامٌ مِنْ أَمْدِي لِيَ الْأَرْقَا      مُسْتَرْجِحًا سَامِنِي قَلْبًا  
لَوْ يَبِيتُ النَّاسُ كُلُّهُمْ      بِسَهَادِي بَيْضَ الْحَدَقَا  
أَنَا لَمْ أَرْزُقْ مَوَدَّتِكُمْ      إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رُزِقَا  
كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشَ بِهِ      فَاصْطَلَى بِالْحُبِّ فَاحْتَرَقَا

وتوجعني شكواه في قوله :

أنا لم أرزق مودتكم إنما للابد ما رزقا

فقد تكلف النفس بقتنة من فيتن الحسن في هذا الوجود ، ثم لا تجدد اليها  
السبيل ، على ان هذا الحسن قد يكون زمامه بيد من لا يشعر بروعة الجمال !  
ومن الشعراء من يظعن احبابه بالليل ، فيظعن بذلك الكرى عن جفونه .  
كالبحتري حين يقول :

أمولةً بالبين رب تفرق جرحت به قلباً بجبك مولما  
ولي لوعة تستغرق الهجر والنوى جميعاً وحب يُنفد الدمع اجمعا  
على ان قلبي قد تصدع شمله فنونا لشمل البيض حين تصدعا  
ظعائن أظعن الكرى عن جفوننا وعوضنا منه سهاداً وأدُمعا  
نوين النوى ثم استجبين لهاتف من البين نادى بالفراق فأسمعا  
وحاولن كتمان الترحل بالدجى فتم بهن المسك حين تضيوعا

وقد يفزع المحب إلى تحكيم العدل والحق ، حين تطول لياليه . كقول ابن  
الرومي :

أيا شمسَ النهار سنا وعِزاً يُقصر عنها نظرك ولمس  
أحل ان تنامي عن سهادي ولي مذبان عني النوم خمس  
أميز كل شيء من اموري سوى امري لديك فقيه لبس  
غرست هوئى قربيته بحفظ فليس يُرب بالتضييع غرس

ومن الشعراء من يتفنن في وصف الليل فيذكر ان نجومه اقسمت لا تزول .  
كقول احدهم :

ألا هل على الليل الطويل مُعين إذا نزلت دار وحن حزين  
أكابد هذا الليل حتى كأنما على نجمه أن لا يغور بين  
ووالله ما فارقتكم قالياً لكم ولكن ما يُقضى فسوف يكون

ومنهم من يزيد على ذلك شوقه إلى تمزيق سراويل الليل ، وظهور تباشير  
الصباح ، كقول حندج بن حندج :

في ليل صول تناهى العرض والطول كأنما ليله بالليل موصول

لا فارق الصبح كفي إن ظفرتُ به      ولما بدت غرةُ منه ومججِلُ  
لسامرٍ طال في صولٍ تغلله      كأنه حيةٌ بالسوطِ مقتول  
مق أرى الصبحَ قد لاحت مخائله      والليل قد مُزقت عنه السراويل  
ليلٌ تحير ما ينحطُ في جهةٍ      كأنه فوق متن الأرض مشكول  
نجومه ركدٌ ليست بزائلةٍ      كأنما هُنَّ في الجوّ القناديل  
ما أقدر الله أن يُدني علي شحط      من داره الحزن عن داره صول  
الله يطوي بساط الأرض بينهما      حتى يُرى الربع منه وهو مأهول

نعم وما أقدر الله أن يدني علي النوى من داره سينتريس من داره أسيوط  
لوددتُ إذ سكنوا هنالك دارهم      وعدتهم عنا أمورٌ تشغلُ  
أنا نطاع إذن فتنقلُ أرضنا      أو أن أرضهم البنا تُنقل  
وقد شبه ابن الرومي نجوم الليل بنجوم الشيب حين قال :

ربّ ليلٍ كأنه الدهر طولاً      قد تنهى فليس فيه مزيد  
ذي نجوم كأنهن نجوم الشيب      ب ليست تزول لكن تزيد

قال أبو بكر الوليد بن البزاز : كان علي بن الجهم يستنشدني كثيراً شعر  
خالد الكاتب فأنشده فيقول : ما صنع شيئاً . ثم أنشدته يوماً قوله :

رقدت ولم ترثٍ للسامر      وليلُ الحبِّ بلا آخير  
لم تدر بعد ذهاب الرُّقا      ما صنع الدمع بالناظر

فقال : قاتله الله ! لقد ادمن الرّمية حتى اصاب الفِرّة ! وجهال هذا الشعر  
يرجع إلى شكوى الحب ما صنع الدمع بناظره بعد جفوة النوم . ومثله قول أبي  
الغنايم :

أمسى ببغداد ظيُّ لست اذكره      إلا بكيتُ إذا ما ذكره خطرا  
إن الحب إذا شطت منازلُه      عن الحبيب بكى اوحنّ أو ذكرا  
ياربّ ليلٍ طويل بت أرقبُه      حق اضاء عمود الصبح فانفجرا  
ما كنت احسب إلا مُذ عرفتكم      أن المضاجع مما يُنبِتُ الإبرا  
والليل أطول من يوم الحساب على      عين الشجيّ إذا ما نومه كَفرا



ومن المحبين من يخاطب الليل . فيذكر في خطابه ان بعض ما به كاف لمحو  
الليل لو عَرَضَ له . كقول سعيد بن حميد :

يا ليل بل يا أبدُ أنائمُ عنك غدُ  
يا ليلُ لو تلقى الذي ألقى بها أو تجدد  
قصّر من طولك أو ضعّف منك الجلد  
أشكو إلى ظالمية تشكو الذي لا تجد  
وقف عليها ناظري وقف عليها السهد

واود لو تنبه القارىء إلى حسن هذا البيت :  
أشكو إلى ظالمية تشكو الذي لا تجدُ

وقد ذكر الفرزدق العلة في طول الليل فقال :  
يقولون طال الليل والليل لم يطل ولكن من يبكي من الشوق يسهر  
وقد تابعه بشار في هذا المعنى فقال :

لم يطل ليلى ولكن لم اتم ونفى عني الكرى طيفُ ألم  
وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم  
نفسى يا عبد عني واعلمي اننى يا عبد من لحم ودم  
إن في بُردى جسمنا حلا لو توكلات عليه لانهدم

وقد ردد هذا المعنى في كلمة ثانية فقال :

طال هذا الليل بل طال السهر ولقد اعرف ليلى بالبحر  
لم يطل حتى جفاني شادن ناعم الاطراف فتان النظر  
لي في قلبي منه لوعة ملكت قلبي وسمعي والبصر  
وكان الهم شخص مائل كلما ابصره النوم نفر

على ان بشاراً يتخطى هذا الحد ، فيجاري الشعراء ، ويحسب ان ليس لليله  
نهار ، وذلك في قوله :

اقول وليلى تزداد طولاً أما ليل بعدهم نهيارُ  
جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصارُ

وليس للبيت الثاني قيمة من الوجهة الادبية ، لان الغمض لا يحفو العيون ،  
لقصر الجفون ، كما يقول . وانما يجفوها لثورة الوجد ، وهجمة الاشجان !  
ويقول في كلمة ثانية :

خليلي ما بال الدجى لاتزحزحُ وما لعمود الصبح لا يتوضحُ  
اضلّ النهار المستنير طريقهُ ام الدهر ليل كله ليس يبرح  
وطال علي الليل حتى كأنه بليدين موصول فما يتزحرح

والبيت الاخير يذكرني بقول صاحب البدائع :  
وجنّ علي الليل حتى حسبته جفاء كريم او رجاء لثيم

وان كان هذا في الحديث عن ظلام الليل ، لا عن طوله  
وتروقي البساطة في قول سويد بن ابي كاهل :

واذا ما قلت ليلٌ قد مضى عطف الاول منه فرجعُ  
يسعب الليل نجوماً ظلماً فتواليها بطينات التبع

والخيال هنا خيال بادية . ولكنه في بداوته بديع . وقول الآخر :  
سلاوا مضجعي هل قرّ من بعد بعدكم وهل عرفت طعم الرقاد جفوني  
سهرنا بنعمانٍ ونتم ببابل فيا لعيونٍ ما وفّت لعيون  
وهو يذكرني بقول بعض الاعراب :

لعمري لئن كنتم على النأي والغنى بكم مثل ما بي إنكم لصديق  
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق  
إذا زفرات الحب صعدن في الحشا كررن فلم يُعلم لهن طريق

ومما جمع بين الشكوى من ليل الفراق ، وذكرى ليل الوصال قول عبد  
الرحمن بن هشام :

طال عمر الليل عندي مذ قولت بصدي  
يا غرالا نقض العهد ولم يوف بوعد  
انسيت العهد اذبت لنا على مفرش ورد  
واجتمعنا في وشاح وانتظمتنا نظم عقد

ونجوم الليل تحكي ذهباً في لازورده

ومن الشعراء من لا يبالي طول الليل في غيبة الحبيب ، كقول ابن زيدون :

يا ليل طُلّ لا اشتهي إلا لعدي قِصرَكَ  
لو بات عندي قري ما بت أرى قمرَكَ

وليالي القمر في سناتريس عذبة المذاق ، شبهة الورود ، وما احسب المصريين  
عبدوا النيل إلا حين رأوه يداعب القمر في ضواحي سناتريس ، ذات الظلال  
والافئنان .

ليالي النسل واللذات ذاهبةٌ وجدي عليكن اشجاني فأضناني  
لو يرجع الدهر لي منكن واحدةً في سناتريس ويُدني بعض خلاني  
إذنت تبين دهري كيف يرحمني من ظلمتي ومن عدوان احزاني  
وقد اجاد شعراء العصر وصف الارق في الليل الطويل . فمن ذلك قول

شوقي :

بدأ الطيف بالجميل وزادا	يا رسول الرضا وقيت العثارا
أخذ من الجفن والفؤاد سبيلا	وقيتم من السويداء دارا
انت ان بت في الجفون فأهل	عادة النور ينزل الابصارا
زار والحرب بين جفني ونومي	قد اعدت الدجى لها اوزارا
سألني عن النهار جفوني	رحم الله يا جفوني النهارا
قلن نبكيه قلت هاتي دموعاً	قلن صبراً فقلت هاتي اصطبارة
يا ليالي لم اجدك طوالاً	بعد ليلى ولم اجدكِ قِصارا
إن من يحمل الخطوب كباراً	لا يبالي بحملهن صغارا
لم تنفق منك يا زمان فتشكو	مدمن الخمر ليس يشكو الخمارا

وقال حافظ :

سكن الظلام وبات قلبك يخفق	وسطا على جذبيك همٌ مُقلِقُ
حارّ الفراش وحيرت فيه فأنما	تحت الظلام معذبٌ ومؤرِقُ
درج الزمان وانت مفقود المتى	ومضى الشباب وانت ساء مطرِقُ

وقال القاياني :

جنّ الظلام فما يزاح  
ليلٌ كأنّ نجومه  
يا من اتّاح ليّ الأسي  
قلبٌ اساه لاعج  
يا ويلتا اين الصباح  
يطلعن في كبدي جراح  
بردُ الفؤاد متى يتاح  
لولا تحجّبه لفاح  
ما بال دمعي يُستبا  
حٌ وحاجتي ليست تباح

وقال العقاد يخاطب الليل :

طوّيتَ أزْمَةَ الاجساد منا  
فما تدري أتسكن حين مالت  
وما تدري ابانت في جحيم  
وما تدري ايسمع في دجاها  
عقدت من الكرى وطناً رفيقاً  
تضيّق به الوسائد والحشايا  
وحيدٌ لا يقاربه بعيدٌ  
فيا وطن النيام بكل فج  
ويا سكن الاحبة والاعادي  
ويا دار السلام بأي سدّ  
لئن هجعت بساحتك المآقي  
كأن جموعهنّ سباع ليل  
فهل عند الظلام لنا حديث  
ام ادخر الظلام لنا متاعاً  
سهرنا يا ظلام فلم يصبنا  
ولا حلّة فيها تلاقي  
فدانت وانطوت عنك القلوب  
إلى تلك المضاجع ام تجوب  
ام الجنات مرثعها الحصيب  
هتافٌ للبلابل ام نعيب  
وكل مسهّد فيه غريب  
وتلفظه المسالك والدروب  
ولا يدري بلوعته القريب  
أمن حرج بك الشهد المريب  
أليس بساحليك لنا نصيب  
يصد الطرف مريمك الرحيب  
لما هجعت بساحتك الخطوب  
تبنت على فرائسها تلوب  
يحاذر ان يُلمّ به رقيب  
يضمّن بلحمه الحلم الكذوب  
على طول المدى إلا الشعوب  
سواد القلب والطرف الكئيب

والعقاد يكثر في شعره من شكوى الليل الطويل ، وقد يشجيك حين ينظر  
إلى نفسه فيحسبها من اليأس امست وهي خراب ينعب على اطلالها اليوم. وانظر  
كيف يقول :

وناعبةٍ صاحت وليل هجمةٌ  
لقتحت من عياءٍ تقرأ في الدجى  
فقلت على النفس التي سوف تقتدي  
تجوس أفاعي الحزن في جنباتها  
فلا تحسبن اليوم تنعم المغنيا  
وكم وحشة للنفس يخشى اقتحامها

وما أجمل قوله في هذه القصيدة :

ولما تقضى الليل إلا أقله  
فأقبل يرعاني ويبكي وربما  
وزحزحني عنه بكف رفيقه  
يقول لقد ران الكرى وتفرقت  
فقلت وكم من ليلةٍ إثر ليلةٍ  
فهب لوداعي من رقادك ليلةٍ  
واسلمت كفي كفه فأعادها

وحان التناي جشت بالدمع باكيا  
بكى الطفل الباكي وإن كان لا هيا  
وأسبل اهداب الجفون السواجيا  
نجوم الدجى والديك أصبح داعيا  
سهرت وقد أمسيت وحدك غافيا  
تمر فاني وقد وهبت حياتيا  
وقلي أهلا أرجع القلب ثانيا ؟



## الطبيعة في انفس الشعراء

لقد اكثر شعراء الغرب من الحديث عن الطبيعة ، حتى لتحسب ان ذلك سمة من سماتهم ، لا يشار كهم فيها احد من العالمين .

ونريد ان نبين في هذه الكلمة ان شعراء العرب وردوا هذا المنهل ، ونقعوا صدام بمائه العذب الفرات ، فان الطبيعة ملك لجميع العيون ، في جميع الاقطار والشعور بها ، والجنوح اليها ، من حاجات الفطرة ، التي تسوي بين مختلف الشعوب ، والتي تجمع حولها شتى العواطف والاهواء .

ونحن نعلم ان شعراء الغرب اكثروا من وصف السحاب : إذ كانت بلادهم غزيرة المطر ، وإذ كانت آذانهم ، وأبصارهم ، أليفة لدوي الرعد . ولمح البرق . على ان شعراء العرب لم يقصروا في هذا الباب . ويكفي ان نذكر قول البحري يصف سحابة :

ذات ارتجازٍ بحنين الرعدِ    بحرورةُ الذيلِ صدوق الوعدِ  
مسفوحة الدمع لغير وجدٍ    لها نسيمٌ كنسيم الورد  
ورنةٌ مثل زئير الاسد    ولمح برق كسيوف الهند  
جاءت بها ريح الصبأ من نجد    فانتثرت مثل انتشار العقيد  
فراحت الارض بعيش رغدٍ    من وشي انوار الربى في بُرد  
كأنما عُذراتها في الوهد    يلعبن من حباياها بالنرد

ومن اظهر الدلائل على سكون العرب إلى الطبيعة ، وإخلاصهم إلى مواردها

الشبهة انهم يقرنون الحنين إلى معاهدهم بالدعاء لها بالسقيا وتراوح النسمات .  
والبك قول الشريف :

أمعاهد الاحباب هل عودٌ إليّ	مغدّي نبلٌ به الجوى ومراح
يكفيك من انفسنا ودموعنا	ان تُخطري من بعدنا وتراحي
فاربٌ عيش فيك رقّ نسيمه	كالماء رقّ على جنوب بطاح
وتغزل كصبا الاوائل ايقظت	ربّيا خزامى بالوى واقاح
كم فيك من صاحبي الشائل مُنتش	بالدّل او مرضى العيون صِحاح
فسقى اللوى صوب الغمام ودرّه	وسقى النوازل فيه صوب الراح

وقد يقوى شعورهم « بشخصية » الطبيعة ، حتى ليخاطبون الفلك الدائر ،  
ويندرونه بالفناء ! انظر قول البحاري :

أداةً أيها الفلك المدارُ	انهب ما تصرّف ام جبارُ
ستفنى مثل ما تُفنى وتبلى	كما تبلى فيدرك منك ثار
تُتاب النائبات إذا تاهت	ويدمر في تصرفه الدمار
وما اهل المنازل غير ركبٍ	مطاياهم رواحٌ وابتنكار

وانظر قول ابي القاسم ابن هانيء :

تفنى النجوم الزهرُ طالعةً	والذّيران الشمس والقمر
ولئن تبدّت في مطالعها	منظومة فلسوف تنتثرُ
ولئن سعى الفلكُ المدار بها	فلسوف يُسلمها وينفطر

وانظر قول المعتابي في وداع جارية له :

ما غناء الحِذار والإشفاق	وشآبيب دمعك المهرّاق
ليس يقوى الوجد منك على الوج	ولا مقلتا طليح المآقي
غدرات الايام منتزعاتُ	ماجنينا من طول هذا العناق
إن قضى الله ان يكون تلاقٍ	بعد ما تنتظرين كان تلاقٍ

هوئي ما عليك واقنبي حياة      لست تبقيين لي ولست بباقي  
أينما قدّمتُ صروف المنايا      فالذي اخرت سريع العاق  
غرّ من ظن ان تفوت المنايا      وعراها قلائد الاعناق  
كم صفيّين مُتعا باتفاقٍ      ثم صارا لغربة وافتراق  
قلت للفرقدين والليل مُلقٍ      سودَ اكنافه على الآفاق  
ابقيا ما بقيتما سوف يُرمى      بين شخصيكما بسهم الفراق

وانما قلت « شخصية الطبيعة » لأدل القارئ على مبلغ ما سما اليه العرب  
حين كلّفوا بالنظر إلى الوجود ... وانظر قول الحسن بن وهب في وصف النار  
وقد نفرت منها إحدى الجوارى الحسان:

بأي . كرهت النار حتى أبعدت      فعلت ما معنك في إبعادها  
هي ضرةٌ لك في التماح ضيائها      وهبوب نفحتها لدى إيقادها  
واری صنيعك في القلوب صنيعها      بسياها واراكها وعدادها  
شرّكتك في كل الامور بفعلها      وضيائها وصلاحها وفسادها  
ولينظر القارئ نظرة خاصة إلى قول علي بن شعيب :

انزعني الوشي فهو يسترحسناً      لم تحزه برقمين الثياب  
ودعيني عسى اقبل ثغراً      لذّ فيه اللى وطاب الرضاب  
وعجيب ان تهجريني ظلاً      وشقيمي إلى صباك الشباب

فلما نجده تخطى كل الاسوار الصناعية التي يحيط بها الشعراء اغراضهم ، ثم  
هجم على المعنى واخذ بنواصيه ، حين قال « وشقيمي إلى صباك الشباب » ولم  
يقُل : وشقيمي الى صباك جي وهيامي ، ووجدي وغرامي ، وخشوعي  
وخضوعي . إلى آخر ما يقول المتيمون !  
وانظر قول محمد البطليوسي :



غصبوا الصباح تقسموه خدودا واستنبهوا قصبَ الاراك قدودا  
 رأوا حصاليا قوت دون محلهم فاستبدلوا منه النجوم عقودا  
 واستودعوا حديق المها احفانهم فسبوا بهنّ ضراغما واسودا  
 لم يكفهم حل الاسنة والظبا حتى استعانوا اعينا ونهودا  
 وتضافروا بصفائر أبدت لنا ضوء النهار بلبيلها معقودا  
 صاغوا الثغور من الاقاحي بينها ماء الحياء لو اغتدى مورودا

ويكاد هذا الشعر يكون عبادة للطبيعة ، ولن يغيب على احد ما فيه من  
 سمو الخيال .

وانظر كيف يكون كمن الحتف في الجفون ، وكمن الموت في السيوف . في  
 قول السري الرفاء :

بنفسي من اجود له بنفسي ويبخل بالتحية والسلام  
 ويلقاني بعزة مستطيل وألقاه بذلة مستهام  
 وحتفي كامن في مقتلتيه كمن الموت في حد الحسام

ويجيد شعراء العرب حين يمزجون وصف الطبيعة بالمعاني الوجدانية فكأنما  
 يريدون ان يشركوا الوجود في نعيمهم ويؤسهم . وهذا في ذاته ملحظ بديع .  
 ولننظر قول صرّدر :

يقول خليلي والظباء سوانح أهذي التي تهوى ؟ فقلت نظيرها  
 لئن اشبهت اجيادها وعيونها لقد خالفت اعجازها وصدورها  
 فيا عجباً منها يصدئ انيسها ويدنو على دعر الينا نفورُها  
 وما ذاك إلا ان غزلان عامر يثقن بأن الزائر ينصقورها  
 ووالله ما أدري غداة نظرننا اقلك سهام أم كؤوس تديرها  
 فإن كن من نبل فأين حفيفها وإن كن من خر فأين سرورها  
 أيا صاحبي استأذنا لي بخمرها فقد أذنت لي في الوصال خدورها  
 هبها تجافت عن خليل يروعها فهل انا إلا كالخيصال يزورها  
 وقد قلتما لي ليس في الارض جنة اما هذه فوق الركائب حورها

فلا تحسي قلبي طليقاً فإنما له الصدر سجنٌ وهو فيه أسيرها  
أراك الحمى قل لني بأي وسيلة وصلت إلى أن صادفتك ثغورها  
وإن فروع البان من أرض بيشة حبيبٌ إليّ ظلّها وحَرورها  
ألدُّ من الورد الجنيّ عَرارها واحلى من الشهد المصفى بريرها  
على رسلكم في الحب إنا عصابة إذا ظفِرت في الحب عفا ضميرها

ولسنا بصدّة الموازنة بين شعراء الغرب والشرق في النظر إلى  
الطبيعة ، فإن هذا باب طويل . واما نشير فقط إلى أن الناس سواء  
في الإحساس بمظاهر الوجود . واما يختلفون في طرائق التعبير ،  
واساليب البيان .



## مدارة الرقباء

للعشاق اساليب مختلفة في معاملة الرقباء والوشاة . فمنهم من يداريهم ويرصد غفلتهم . كقول ابن المعتز :

أردُّ الطرف من حَذري عليه      وأمنحه التجنُّبَ والصدودا  
وارصد غفلة الرقباء عنه      لتسرقَ مقلتي نظراً جديداً  
وكقول السري الرفاء :

ونواظري وجد المحب فتورها      لما استقلَّ الحيُّ في اعضائه  
ما كان هذا البين أول جمرة      اذ كنت لهيب الشوق في احشائه  
لو لا مساعدة الدموع ودفعها      خوف الفراق أتى على حوبائه (١)  
وأنا القداء لمن مَخيلةُ بريقه      حظي وحظ سواي من أنوائه  
قمرٌ إذا ما الوشي صَبَّحَ أذاله      كما يصون بهاءه بدعائه (٢)  
خفيرُ الشائِل لو ملكت عِناقَه      يومَ الوداع وهبته لحيائه  
ضعفتُ معاقده خصره وعهوده      فكأن عقد الخصر عقد وفائه  
أدنو إلى الرقباء لا من حبيهم      وأصد عنه وليس من بغضائه

وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن كعب العميري :

أيا نخله مَرَّانَ هل لي اليكما      على غفلات الكاشحين سبيلُ  
أمنيكما نفسي إذا كنت خالياً      وتفعكما إلا العناء قليل  
وما لي شيءٌ منكما غير أنني      أمني الصدى ظليكما فأطيل  
ومن التيمين من يرجو من محبيه مقارعة الوشاة . كقول أحد الشعراء :

تبدل هذا السدر أهلاً وليتني      أرى السدر بعدى كيف كان بدائله

(١) الحوباء : النفس (٢) أذاله : أهانه

وعهدي به عذب الجنى ناعم الذرى      تطيب وتندى بالعشي أصائله  
فما لك من سدرٍ ونحن نجبه      إذا ما وشى الواشي بنا لا تجادله  
كألو وشى بالسدر واش رددته      كئيباً ولم تصدح لدينا شمائله  
وكقول كثير :

فيا عزّ إن واشٍ وشى بيَ عندكم      فلا تكرميه ان تقولي له املا  
كما لو وشى واشٍ بعزةٍ عندنا      لقلنا : ترحزح لا قريباً ولا سهلاً  
وقد يُعنى الحب بتكذيب الوشاة ، فيما ادعوا من سلوانه ، كقول أبي حية  
النميري :

وخبرك الواشون ان لن احبكم      بلى وستور الله ذات المحارم  
وإن دماً لو تعلمين جنيتيه      على الحيّ جاني مثله غيرُ سالم  
اصد وما الصد الذي تعلمينه      عزاء بنا إلا ابتلاع العلاقم  
حياةً وتقياً ان تشيع نعمةً      بنا وبكم ، أفٍ لأهل النائم

ومن المعذبين من يشجيه ان لا ينفع العذل عنده ، في حين ان من يهواه يأتمر  
بأمر الوشاة . ويسمع نصيح اللاتمين .  
فمن ذلك قول الابيوردي :

رمتني بسهم راسه الكحل بالردى      واقتل الحافظ الملاح كحيلها  
مريضة ارجاء الجفون وانما      أصح عيون الغانيات عليلها  
فولت وقد أبقت بقلبي علاقة      ترميها الايام وهي مقيلا  
وقلت لأدنى صاحبي وقد وشى      بسري دمعي إذ تراءت جموها  
ذرا اللوم اني لست أريك مسمعي      فتلك هوى نفسي وانت خليلها  
وليت لساناً ارفع العذل غربه      على الصب مفلول الشبابة كليلها  
أرد عذولي وهو يحضني الهوى      بغيط ، ويحظى بالقبول عذولها  
ويعتادني ذكر العقيق واهله      بحيث الحمام الورق شادي هديلها  
تنوح وتبكي فوق افنان أيكّة      فداهن من أرض العراق نخيلها  
ولولا تباريح الصبابة لم أبّل      بكاهها ولا اذرى دموعي عويلها

ومن بديع الشعر في مدافعة الوشاة ، قول الرصافي الاندلسي في غلام حائك :  
قالوا وقد اكثروا في حبه عدائي لو لم تهم بمُذال القدر مبتذل  
فقلت لو كان امري في الصبابة لي لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي  
علقتهُ حَبَبِي الثغر عاطرهُ حلو اللمي ساحر الاجفان والمقل  
غزِيلٌ لم تزل من الغزل جائلة بنانه جولان الفكر في الغزل  
جزلان تلعبُ بالحواك أنمله على السدى لعب الأيام بالاجل  
ضمًا بكفيه او فحصاً بأخصه تخبط الظبي في أشراك مُحْتَبَل  
واحِب لو تأمل القارئ هذه ( الصورة الشعرية ) التي تمثل هذا الحائك  
الجميل . بالظبي يتخبط في الأشراك . وانها لوثة من وثبات الخيال .



## بخل الحسان

نذكر هنا طرفاً مما قال الشعراء في بُخل الحسان : وكل حسناء بخيلة ، وبل  
 جميل ضنين ! واشهر الشعر في هذا المعنى قول مهيّار :  
 يا لواء الدين عن ميسرة والبخيلات ما كنّ لئاما  
 تحلوا ريح الصبا نشركم قبل ان تحمل شيعاً وخزامى  
 وابعثوا لي في الكرى طيفكم إن أذنتم لبقوني ان تناما  
 ويحمل بنا ان نذكر قصيدة كثير التائية ، ففيها صورة شعرية لصدق اللوعة ،  
 عند بخل الحبيب . وهي فوق ذلك غرة من غرر الآداب العربية . قال :  
 خليلي هذا ربع عزّة فاعقلا قلو صيكا ثم ابكيا حيث حلت  
 وما كنت ادري قبل عزة ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولت  
 فقد حلفت جهداً بما لحرت له قريش غداة المأزمين وصلت  
 أناديك ما حج الحبيج وكبرت بغيفا غزال رقيقة واهلت  
 وكانت لقطع الجبل بيني وبينها كسادرة نذراً فأوقت وحلت  
 فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت (١)  
 ولم يلق إنسان من الحب منعة تعم ولا غمّة إلا تجلت (٢)  
 كأنني أنادي صخرة حين اعرضت من الصم لو تمشي بها العصم زلت (٣)  
 صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت (٤)  
 أباحت حتى لم يرعه الناس قبلها وحلت تلاعاً لم تكن قبل حلت (٥)

(١) ذلت هانت (٢) اللوعة والغماء ، الشدة . وتجلت ، انصرفت

(٣) العصم ، جمع أعصم وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . وزلت : زلقت

(٤) صفوح ، معرضة (٥) التلاع ، جمع تلعة وهي ما ارتفع من الارض

فليت قلوصي عند عزة قيدت  
 وغودر في الحي المقيمين رحلها  
 وكنت كذبي رجلين رجل صحيحة  
 وكنت كذات الظلع لما تحاملت  
 أريد الثواء عندها واظنها  
 فما انصفت اما النساء فبغضت  
 يكلفها الفيران شتمي وما بها  
 هنيئاً مريئاً غير داء نخامر  
 فوالله ما قاربت إلا تباعدت  
 فان تكن العتبي فأهلاً ومرحباً  
 وإن تكن الاخرى فان ورائنا  
 فلا يبعدن وصل لعزة اصبحت  
 اسيتي بنا أو احسني لا ملومة  
 ولكن انيلي واذكري من مودة  
 فاني وإن صدت لائن وصادق  
 فما انا بالداعي لعزة بالجوى  
 فلا يحسب الواشون ان صبابتي  
 فأصبحت قد ابلت من دنف بها  
 فوالله ثم الله ما حل قبلها  
 وما مر من يوم علي كيومها  
 واضحت بأعلى شاهق من فؤاده

بجبل ضعيف غر منها فضلت  
 وكان لها باغٍ سواي قبلت (١)  
 ورجل رمى فيها الزمان فشلت  
 على ظلمها بعد العنار استقلت (٢)  
 إذا ما اطلنا عندها المكث ملت  
 إلي وأما بالنوال فضنت  
 هواني ولكن للمليك استدلت  
 لعزة من اعراضنا ما استحللت  
 بصرم ولا اكثرت إلا أقلت  
 وحقت لها العتبي لدينا وقلت (٣)  
 منادح لوسارت بها العيس كلت (٤)  
 بعافية اسبابه قد تولت  
 لدينا ولا مقلية إن تغلت (٥)  
 لنا خلة كانت لديكم فطلت  
 عليها بما كانت الينا أزلت (٦)  
 ولا شامت إن نعل عزة زلت  
 بعزة كانت غمرة فتجلت  
 كما ادنفت هياء ثم استبلت (٧)  
 ولا بعدها من خلة حيث حلت  
 وان عظمت أيام اخرى وجلت  
 فلا القلب يسلوها ولا العين ملت

(١) بليت المطية : ضلت (٢) ظلع البعير : غمز في مشيه . واستقل : نهض من عثرته .

(٣) العني والاعتاب : الترضية (٤) المنادح : جمع مندوحة وهي ما اتسع من الأرض .

(٥) تغلت : ظهرت بالقل وهو البغض . ومقلية : مبغوضة (٦) أزلت : أسدت

(٧) أبل من مرضه برىء منه . والدنف المرض . والهياء : المريضة بالهيام وهو داء يصيب

الابل فلا تصبر على الماء .

فيا عجباً للقلب كيف اعترافه وللنفس لما وطنت كيف ذلت (١)  
 واني وتهيامي بعزة بعدما تخلت مما بيننا وتخلت  
 لك المرتجى ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقبل اضمحلت  
 كأني واياها سحابة محل رجاءها فلما جاوزته استهلكت (٢)  
 فان سأل الواشون فيم هجرتها فقل نفس حُر سَلَّيتْ فتسلت (٣)

ومن الشعراء من ينص على ان شح الحسان سباحة ، كالتهامي حين يقول :

ماتت لفقد الظاعنين ديارهم فكأنهم كانوا بها ارواحا  
 ولقد عهدت بها فهل اريته مغدَى لمتنجع الصبى ومراحا  
 بالنافحات النافذات نواظراً والنافذين اسنةً وصفاحا  
 وارى العيون ولا كأعين عامرٍ قدراً مع القدر المتاح مُتاحا  
 متواري مرض الجفون وابنا مرض الجفون بأن يكن صحاحا  
 من كان يكلف بالأهلة فليزر ولدي هلال رغبة وبراحا  
 لا عيب فيهم غير شح نسائهم ومن السباحة ان يكن شعاحا  
 طرقت في أترابها فجلت له وهنامن القرر الصباح صباحا  
 أبرزن من تلك العيون اسنةً وهززن من تلك القدود درماحا  
 يا حبيذا ذاك السلاح وحبيذا وقت يكون الحسن فيه سلاحا

ويأسى ابن التعاويذي على ان يرجو عطف البخيلة ، وهو جواد الكف .  
 وذلك قوله :

(١) الاعتراف : الاصطبار . وذلت : وضيت

(٢) محل : أصابه المحل وهو القحط

(٣) تلك هي ثانية كثير . ولقد كان بها جد مفتون . حتى انه سئل أنت أشعر أم جميل؟  
 فقال ، بل انا . فقليل له : أتقول هذا وأنت راويته ؟ فقال : جميل يقول :

رمى الله في عيني بنينة بالقذى وفي القر من انباها بالقوادح

وانا أقول :

منيتاً مريئاً غير داء مخامو لعزة من أهراسنا ما استحلحت



نأيت فحرمت الجفون على الكرى  
 واعهد قبل البين قلبي يطيعني  
 وما زال مطبوعاً على الصبر قلباً  
 فما باله يوم النوى سار منجداً  
 فليت طبيباً امرضتني جفونه  
 وليت غريمي في الهوى وهو واجد  
 ولولا الهوى يا آل خنساء لم يكن  
 ولا بث في ابياتكم سائلاً قرى  
 أرجي جواد الكف عطف بخيلة  
 وقبلك ما انهضت عزمي لحاجة  
 واولى بمثلي ان يكون مهاده  
 وبني أنف ان اقتضي بسوى الظبي

واغريت دمع العين بالهملان  
 ولكنه يوم الوداع عصاني  
 سواء بعداً عنده وتداني  
 مع الركب في امر الصباية عان  
 وفي يده منها الشفاء شفاني  
 تخرج من ليانه فقضاني (١)  
 ليملكني منكم خضيب بنان  
 بغير قنا او طالباً لأمان  
 واخشى حديد القلب فتك جبان  
 فأدركتها إلا بحد سنان  
 سرير حصان لا سرير حصان  
 ديوني إذا غير الحبيب لواني



(١) الليان : مصدر لوى . يقال : لوى غريمه إذا مطه

## الامر للحب

ومن الشعراء من يتحدث عن صبره المغلوب ، ثم يحمل الامر كله للحب .  
كما انشد احمد بن يحيى :

من كان يزعم ان سيكتم حبه      حتى يُشكك فيه فهو كذوب  
الحب اغلب للفؤاد بقهره      من ان يرى للسر فيه نصيب  
وإذا بدا سر اللبيب فانه      لم يبد إلا والفتى مغلوب  
إنني لأبغض عاشقاً متسترأ      لم تهمه أعين وقلوب

وفي هذا المعنى يقول الاقرع بن معاذ القشيري في حبيبة غلبته على قلبه ،  
واستأثرت به من بين النساء :

يقرب عيني ان ارى ضوءة مُزنة      يائسة او ان تهب جنوب  
لقد شفقتني ام بكر وبغضت      إلي نساء ما لهن ذنوب  
اراك من الضرب الذي يجمع الهوى      ودونك نسوان لهن ضروب  
وقد كنت قبل اليوم احسب انني      ذلول بأيام الفراق اديب  
وقد وضع هذا المعنى كل الوضوح في قول الضحاك :

يقولون مجنون بسمراء مولع      ألا حبتنا جن بنا وولوع  
واني لأخفي حب سمراء منهم      ويعلم قلبي انه سيشتيع  
ولا خير في حب يُكن كانه      شفاف اجنته حشاً وضلوع

ومن العشاق من يخلع العذار ، لروعة الحسن في محبوبة ، وصولة الحب في  
قلبه . كقول عمارة اليميني :

ظبي اعار الليل طرة شعره      وامت ضوء الصبح بالاشراق

وسنان ذاب السحر في آماقه      وأذاب ماء الروح من آماقي  
كتب الجمال على صحيفة خده      عذرة المحب وحبّة المشتاق  
ما كنت ادري يوم رؤية وجهه      ان الحدود مصارع المشاق  
واحب ان يتأمل القارىء جمال التصوير في قوله :

وسنان ذاب السحر في آماقه      وأذاب ماء الروح من آماقي  
فقد جعل الدمع ذوب الروح ، وهو خيال بديع (١) . وعذرة المحب الذي  
كتبه الجمال على خد المحبوب يذكرنا بقول بعض الظرفاء :

يا مليح الدل والغنج      لك سلطان على المهج  
إن بيتا انت ساكنه      غير محتاج إلى الشرع  
وجهك المشوق حجتنا      يوم يأتي الناس بالحجج



(١) في كتاب البدائع رسالة ممتعة عن دولة الحسن وعالم الجن ، كتبها المؤلف في وصف ليلة  
من ليالي الرقص في مصر الجديدة ، فليراجعها القارىء إن شاء

## حمل السلام

للشعراء فنون مختلفة في نجوى الحبيب البعيد . فمنهم من يقصد الى غرس  
الرفق في قلوب احبابه ، بوصف ما هو عليه من الخطر ، كقول الطغرائي :  
ويا ايها الغادي تحمل رسالة على ما بها إن الحديث طويل  
وقل للأولى حلوا الحمى سقي الحمى عزاء كم فالعامري قنيل  
ومنهم من يوصي الرسول بملاطفة المحبوب واستدراجه . واطرف ما قيل  
من الشعر في هذا المعنى قول الواواء الدمشقي :

بالله ربكما عوجا على سكنى وعاتباه لعل العتب يعطفه  
وحدثاه وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهيجران تتلفه  
فإن تبسم قولا في ملاطفة ما ضر لو بوصول منك تسعفه  
وإن بدا لكافي وجهه غضب فقالطاه وقولا ليس نعرفه  
وهو مأخوذ من قول عمر بن أبي ربيعة في وصف قوادة :

فأنتها طيبة عالمة تمزج الجد مرارا باللعب  
تغلظ القول إذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضب

قيل ان ابن أبي عتيق قال لعمر لما سمع هذا الشعر : ما أحوج المسلمين إلى  
خليفة يدبر أمورهم مثل قوادتك هذه <sup>(١)</sup> . ولعله تذكر قول معاوية : لو أن  
بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . قيل وكيف ذلك ؟ فقال إذا شدوا تراخيت  
وإن تراخوا شددت :

وقد تلطفت بها زهير في وصية الرسول بقوله :

فيا رسولي الى من لا أبوح به إن المهبات فيها يعرف الرجل

---

(١) في كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » تفاصيل ممتعة لعبث هذا الشاعر بالنساء .

بلغ سلامي وبالغ في الخطاب له      وقبّل الارض عني حينما تصل  
بالله عرفه حالي إن خلوت به      ولا تُطل فحبيبي عنده مَللٌ  
وإنك لتضحك بملء فيك حين تتأمل قوله :  
إن المهمات فيها يُعرف الرجلُ

فكانما هي قيادة حربية ، لا قيادة غرامية !  
ومنهم من يحمل النسيم تحياته إلى من يهوى . كما قال بعض الظرفاء :

فيا نسيم الصبا انت الرسول له      والله يعلم اني منك غيران  
بلغ سلامي إلى من لا أكله      اني على ذلك الغضبان غضبان  
لا يارسولي لا تذكر له غضبي      فذاك مني تمويه وبهتان  
وكيف اغضب لا والله لا اغضب      اني لما رام من قتلي لفرحان  
اكلٌ يوم لنا رسلٌ مرودةٌ      وكلٌ يوم لنا في العتب ألوان  
أستخدم الريح في حمل السلام لكم      كأنما انا في عصري سليمان

وقد ذكر أمين الدين بن عطايا السبب في اختيار النسيم لحمل الرسالة حين قال :

انا اهوى غصن النقا وهو لاهٍ      وفؤادي بحبه في التيه  
يا نسيم الصبا ترفق عليه      وتلطّف به ولا تؤذيه  
وتحمل رسالة ليس إلا      لك آميناً في حملها أرتضيه  
وإذا لم يكن رسولي نسياً      نحو غصن النقا فمن يثنيه

وأظهر من ذلك ما حكى ابن سعيد المغربي مشى مع جماعة من ادباء  
المصريين وفيهم أبو الحسين الجزار . فمروا في طريقهم ببلع نائم تحت شجرة ،  
فهبت الريح فكشفت ثيابه عنه . فقال الجزار : قفوا ! لينظم كل منا شيئاً في  
هذا ! فقال ابن سعيد :

الريح أقودُ ما تكونُ لأنها      تبدي خفايا الردف والاعكان  
وتميل بالأغصان عند هبوبها      حتى تقبل أوجه الغدران  
ولذلك الأحباب يتخذونها      رسلا إلى الأحباب والأوطان

وهو شعر حسن . غير انه لا وجه لذكر الأوطان في هذا الوطن إذ لا علاقة

لها بالقيادة . ولو قال الخلان او الاخذان لكان انسب واقرب إلى المراه . وقال  
ابن الخطاط :

يا نسيم الصبا الولوع بوجدتي حبذا أنت لو مررت بهند  
ولقد رايتني شذاك قبالا متى عهده بأظلال نجد

ومنهم من يوصي الركبان بحمل سلامه ، وتبليغ شكواه ، كقول الشريف :

دعابا لوصاف السوء ومن جانب الحمى لديغ هوتى لبئت حنين دعائي  
تعجب صعبني من بكائي وأنكروا جواني لما لم تسمع الاذان  
فقلت نعم لم تسمع الاذن دعوة بلى إن قلبي سامع وجناني  
ويا أيها الركب الياتون خبروا طليقا بأعلى الخيف أنني عاني  
عِدْوه لقائي أو عِدْوني لقاءه ألا ربما دانيت غير مدان

وهذا شعر موجع ، يقرى القلب بالحزن ، والعين بالدمع ، واشجى منه قول  
مهيار :

تعرّش بأحقاف اللوى عمر ساعة ولولا مكان الريب قلت لك ازدد  
وقل صاحب لي ضل بالرمل قلبه لعلك ان يلقاك هادي فتتهدي  
وسلم على ماء به بُرد غلتي وظل أراك كان للوصول موعدي  
وَقُلْ لِحَمَامِ الْبَاتِنِ مَهْنًا تَغْنُ خَلِيًا مِنْ غَرَامِي وَغَرْدِ  
أعندكم يا قاتلين بقية على مهجة إن لم تمت فكأن قد  
ويا أهل نجد كيف بالغور بعدكم بقاء تهاميهم بمنجد  
ملكتم عزيزاً رقه فتعطفوا على منكر للذل لم يتنوّد

وحدث أبو العباس محمد بن يزيد قال : خرجت مع الحسن بن رجاء إلى فارس

فلما صرنا إلى موضع يعرف بشعب بو أن رأيت على حائط مكتوباً بخط جليل :

إذا أشرف المكروب من رأس تلمة على شعب بو أن أفاق من الكرب  
وألهاء بطن كالخيرة مسه ومطررد يحري من البارد العذب  
وطيب ثمار في رياض أريضة وأغصان اشجار جناها على قرب  
فبالله يا ربح الجنوب تحملي الى شعب بو أن سلام فتى صب

واذا تحنت ذلك الخط الجليل بخط أدق منه :

ليت شعري عن الذين تركتنا خلفنا بالعراق هل يذكروننا  
أم لعل المدى تطاول حتى قدّم العهد بيننا فنسونا

ولا يفوتنا ان نمتع القارىء بقول الشريف :

حيّ بين النقاوين المصلّي وقفات الركائب الانضاء  
ورواح الحبيج ليلة جمع ويجمع بجامع الاهواء (١)  
وتعهد ذكرى اذا كنت بالحية فإلظبي من بعض تلك الظباء  
قل له هل نراك تذكر ما كان ن بباب القبيبة الحمراء  
قال لي صاحبي غداة التقينا نتشاكى حرّ القلوب الظماء  
كنت خبرتني بأنك في الوج مدعقدي وان داءك دائي  
ما ترى النفر والترحل للبي ن فماذا انتظارتنا بالبكاء  
لم يقلها حتى اثنت لما لي اتلقى دمعي بفضل ردائي



---

(١) ترد كلمة « جمع » كثيراً في شعر الشريف . وهو من مناسك الحج . ويوم جمع يوم عرفة . وإيام جمع أيام منى .

## دموع الغانيات

لا نريد هنا الدمع يسفحه الندم ، بل الدمع يرسله الوفاء . لان عبرة النادم  
رفق بنفسه التي افسدها الإسراف . أما عبرة المودّع فهي رفق بمحبه الذي  
أشجاء الفراق !

قال جرير في بكاء الحسان عند الوداع :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاّ بعينك ما يزال مَعِينَا  
غَيَضْنَ من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا  
وهو كلام فطري لا كلفة فيه . وما ابدع قول الطاعنات :  
ماذا لقيت من الهوى ولقينا !

ومثله قول ابن التعاويذي :

لما وقفنا للوداع	ع وقد دعا داعي الرحيل
وتخاذلت أنصار دمه	بي في هوى الظلي الخدول
قالت وأدمعها تسبي	ل أسى على الخد الاسيل
يا بين كم أجليت يو	م لوى الأحبة عن قتيل

وهذا شعر خفيف الروح ، لطيف النسيم . ويشبه قول بعض الاعراب :

وبما شجاني أنها ودّعت      توّلت وماء العين في الجفن حائر



فلما أعادت مسن بعيد بنظرة  
إلى التفاتنا أسلمته المهاجر

وقد أنصف الأبيوردي معشوقته إذ يقول :

وما أنس لا أنس الوداع وقد بدت      تُغيض دمعاً فاض وابله سكبا  
مهففة لم ترض أترابها لها      ببدر الدجى شهباً وشمس الضحى تريا  
تنفس حق يُسلم المقدَّ سلكه      وأكظم وجداً كاد ينتزع القلب  
وتذري شآبيب الدموع كأنما      أذابت بعينها النوى لؤلؤاً رطباً

ولو سلمت هذه الأبيات من مثل هذا الغزل الطريف لكان انصب بموقف  
التوديع . ومثلها في ذلك قول السري الرفاء :

تنادوا لتفريق الفريق فأصبحت      مدامعنا تتدى لفرقتهم دما  
سلام على من سار قلب محبه      اليه فلم يرجع صحيحاً مسلماً  
يحل عقود الدر دمعاً ومنطقاً      وينظمها حلياً عليه ومبسماً  
أماط عن الغذب اللثام لثامه      فعاد يديباج الحياء ملثماً  
وكفني جفناه بالدمع خفية      فهم غليل الشوق ان يتكلماً

ومن العشاق من ينسب إلى حبيبته التباكي ، وإلى نفسه مر البكاء ، ثم  
يفرق بين المعبرتين ، ويميز بين الزفرتين . كالأرجاني إذ يقول :

سفرت كي تزود الحب منها      نظرة حين آذنت بالتناهي  
ورأت أنها من الوجد مثلي      ولها للفراق مثل بكائي  
فتباكيت ودمعها كسقيط الطل في الجلنارة الحمراء  
فترى الدمعتين في حرة اللو      نـ سواء وما هما بسواء  
خدها يصبغ الدموع دمعي      يصبغ الخد قانياً بالدماء  
خضب الدمع خدها باحمرار      كاختضاب الزجاج بالصهباء

وما أدري بأي قلب يلح هذا الشاعر ليحول دموع محبوبته إلى دماء !! وما  
أرفق المتنبي إذ يقول :

وجلا الوداع من الحبيب محاسناً      'حسن العزاء وقد جلين قبيح'

فيدُ مسلّة وطرف شاخص وحشاً يذوب ومدمع مسفوح  
ألم تر اليه وقد اتخلع قلبه ، حين رأى حبيبته باكية ، فلم يذكر إلا أنها جميلة ،  
وان الصبر على فراقها أعز منالاً من نجوم السماء !

وتمعجني هذه النجوى في قول ابن الرومي يصف عتاب حسناء :

زارت على غفلة من الحرس تهدي إليّ السلام في الغلس  
أني تجشمت نحو أرطنا الهول ولم ترهني أذى العسس  
قالت ترامي بنا إليك من الشوق مغيصاً بالبارد السلس  
كم زفرة لي تبينت تنهض أحشا في ودمع عليك منبجس  
وأنت لاهٍ بغيرنا ولنا منك هوى ممسك على النفس  
عجبت من ذلتي ومن قلبك القا مي علينا وخلقك الشكس  
لا تأمن الهوى وسطوته واخش رداه ومنه فاحترس

وهذا الشعر جميل في معناه ، ولكن يظهر ان أسلوبه لا يمثل الرقة في نجوى  
الحسناء ، وقد مسها الحب بناره ، وأحرقها يحواه ! ولو تناول ابن أبي ربيعة  
أو ابن الاحنف هذا المعنى لرأيت له ثياباً أرق من هذه الثياب ، وأسلوباً غير  
هذا الأسلوب !

ومن بارع الشعر في دموع الحسان قول جميل :

لما دنا البين بين الحي واقتسموا  
جادت بأدمعها ليلى وأعجلني  
ياقلب ويحك ما عيشي بذني سلم  
أكلما بان حي لا تلائمهم  
علقنتي بهوى فقد جعلت  
من الفراق حصاة القلب تنصدع

وهذا الشعر يمثل الطبيعة في مواقف الوداع ، فالشاعر هنا شائق ومشوق .  
ولا كذلك أبيات الرومي التي حصر دمعها في عيون زائرة الحسناء . ومن هذه  
الناحية يعجبني ما أنشده صاحب الأمالي :

ولما رأت، ان النوى أجنبية

وان خيلاً من غدي سيدين

بكنت فبكى من لاعج الشوق والاسى      وكل بكل ان يبين ضنين  
فقلت ولم أملك سوابق عبدة      على الخدمني فالدموع هتون  
لقد كنت ابكي قبل ان تشعط النوى      فكيف إذا ما غبت عنك اكون  
وانظر كيف يصف العرجي خوف محبوبته من فراقه :

وما أنس ملاشياء لأنس موقفاً      لنا ولها بالسفح دون ثبير  
ولا قولها وهناً وقد بل جيبها      سوابق دمع لا يحف غزير  
أأنت الذي خبرت أنك باكر      غداة غد أو راحل بهجير  
فقلت يسير بعد شهر أغيبه      وما بعض يوم غبته بيسير  
وقلت لها قول امرئ شفه الهوى      اليها ولو طال الزمان فقير  
فأنا إن شطت بك الدار أو نأت      بي الدار عنكم فاعلمي بصبور  
وكنا نحب ان نعلم بقية العتاب في قوله :

أحين عصيت العاذلين اليكم      ونازعت حبلي في هواك أميري  
وباعدني فيك الاقارب كلهم      وباح بما يخفي اللسان خميري

ولكن الرواة لم يذكروا هذه القصيدة كاملة .

والشعر الذي تقدم لا يمثل عواطف النساء تمام التمثيل ، لأنه من أحاديث الرجال . ولو ان المرأة تكلمت لعرفنا منها وكيف تشعر بلوعة الفراق . وإليك ما قالته امرأة من بني أسد في حبيب بنقض العهد :

بنفسي من أهوى وأرعى وصاله      وتنقض مني بالمغيب وثائقه  
حبيب أبى إلا أطراحي وبفضتي      وفضله عندي على الناس خالقه

وانظر قول ابنة الحباب :

محاحب يحبي حب يعلى فاصبحت      ليحبي توالي حبنا وأوائله  
ألا بأبي يحبي ومثنى ردائه      وحيث التقت من متن يحبي حمائله

فان هذا الشعر يمثل احساس النساء بحال الرجال . وما اوجع الشوق في قول هذه الشاعرة :

أضرب في يحبي وبينني وبينه      تنائف لو تسري بها الريح كلت

الا ليت يحى يوم عيهم زارنا وان نهلت مني السياط وعلت

وفي الآداب العربية قطع منشورة تمثل ما تشتهي المرأة من الرجل ، ولكنها  
من القلة بحيث لا تصور تماماً نفوس النساء ، ولا تزال لغزاً من الألغاز ، ولو  
أنها تحدث عن عواطفها كما تحدث الرجل عن عواطفه ، لعرفنا بعض ما ستره هذا  
الصمت البليغ !



## ندم المفارق

أشهر الشعر في ندم الحب ، على فراق من يحب ، ما قاله قيس بن ذريح وقد طلق لبنى . قال محمد بن زياد الاعرابي : لما ألحَّ ذَرِيحٌ على ابنه قيس في طلاق لبنى ، فأبى ذلك قيس ، طرح ذريح نفسه في الرمضاء وقال : لا والله . لا أرى هذا الموضع حتى أموت . أو يخليها . فجاءه قومه من كل ناحية ، فمظموا عليه الأمر وذكروه بالله وقالوا : اتفعل هذا بأبيك وامك ، وإن مات شيخك على هذه الحال كنت معينا عليه وشرىكاً في قتله ، ففارق لبنى على رغم أنفه وقلة صبره . وبكى حتى بكى لها من حضرها . وأنشأ يقول :

أقول لُحَلَّتِي في غير جرمٍ	ألا بيني بنفسك انت بيني
فوالله العظيم لتزع نفسي	وقطع الرجل مني واليمين
أحبُّ إليَّ يا لبنى فراقاً	فبكى للفراق واسعديني
ظلمتك بالطلاق بغير جرمٍ	لقد أذهبت آخري وديني

قال : فلما سمعت بذلك لبنى بكت بكاء شديداً وأنشأت تقول :

رحلت اليه من بلدي واهلي فجازاني جزاء الخائنينا  
فمن يرني فلا يفتر بعدي بجلو القول أو يبلو الدفينا  
فلما انقضت عدتها وارتدت الشخصوس الى اهلها أتيت برحلة لتحمل عليها .  
فلما رأى ذلك قيس داخله منه امر عظيم ، واشتد لهفه ، وأنشأ يقول :

بانت لبنى فأنت اليوم متبول	وانك اليوم بعد الحزم مخبول
فأصبحت عنك لبنى اليوم نازحة	ودل لبنى لها الخيرات ، معسول

هل ترجعن نوى لبني بعافية	كما عهدت ليالي العشق مقبول
وقد اراني بلبني حلق مقتنع	والشمل مجتمعت والحبل موصول
فصرت من حب لبني حين اذكرها	ألقب مرتين والعقل مدخول
اصبحت من حب لبني حين اذكرها	في كرية ففؤادي اليوم مشغول
والجسم مني منهوك لفرقتها	أخو هيام مصاب القلب مسلول
استودع الله لبني إذ تفارقني	عن غير طوع وأمر الشيخ مقبول

ثم ارتحلت لبني فجعل قيس يقبل موضع رجلها من الارض وحول خباث  
فلما رأى ذلك قومه اقبلوا على ابيه بالعدل واللوم ، فقال ذريح لما رأى حاله :  
قد جنيت عليك يا بني ! فقال له قيس : قد كنت اخبرك أني مجنون بها فلم  
ترض إلا بقتلي . فإله حسبك وحسب امي !! واقبل قومه يعذلون به بتقييده  
التراب ، فأنشأ يقول :

فما حبي لطيب تراب ارضي ولكن حب من وطىء الترابا  
فهذا فعل شيخينا جميعا ارادا لي البليّة والمذابا

ولقيس بن ذريح شعر أجود مما تقدم ، وأدل على لوعته واسفه لفراق لبني  
كقوله :

تبكي على لبني وانت تركتها	وكنت كأت غيه وهو طائع
فلا تبكين في إثر شيء ندامة	إذا نزعته من يدك النوازع
فليس لأمر حاول الله جمعه	مشيت ولا ما فرق الله جامع
كأنك لم تقنع إذا لم تلاقها	وان تلقها فالقلب راض وقانع
فيا قلب خبرني إذا شطت النوى	بلبني وصدت عنك ما انت صانع
اتصبر للبين المشت مع الجوى	ام انت امرؤ نامى الحياء فيجازع
لما انت ان بانت لبيني بهاجع	إذا ما استقلت بالنيام المضاجع
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى	ضجيج الاسى فيه نكاس روادع
ولا خير في الدنيا إذا لم تواتنا	لبيني ولم يجمع لنا الشمل جامع
ولولا رجاء القلب ان تعطف النوى	لما حملته بينهن الاضالع

له وجباتٌ لئلا لبنى كأنها  
نهارى نهار الناس حتى اذا دجا  
اقضى نهارى بالحديث وبالمنى  
ألا إنما أبكى لما هو واقع

شقائق برق في السحاب لوامع  
لي الليل هزتي اليك المضامع  
ويحمني بالليل والهم جامع  
وهل جزع من وشك بينك نافع

ومن جيد شعره أيضاً هذه القصيدة :

سأصرم لبنى حبل وصلك بجلا  
وسوف أسلي النفس عنك كما سلا  
وان مسني للضر منك كآبة  
سقى طلل الدار التي اتم بها  
يقولون صب بالنساء موكل  
حضى زمن والناس يستشفعونني  
ايا حرجات الحي حيث تحملوا  
وخياتك اللاتي بمنعرج اللوى  
الي الله اشكونية شقت العصا  
وان انهال العين بالدمع كلما  
فلولم يهجنى الظاعنون لها جنى  
تجاوبن فاستبكين من كان ذاهوى  
لمعرك اني يوم جرعاء مالك  
تدمت على ما كان مني ، فقدتني  
اذا مالحاني العاذلات بحبها  
وكيف اطيع العاذلات وحبها  
عدمك من نفس شعاع فاني  
فقرت لي غير القريب واشرفت  
وضعفني حبيك حتى كأنني  
وحتى دعاني الناس احق مائتاً

وان كان صرم الحبل منك يروع  
عن البلد النائي البعيد تزع  
وان نال جسمي للفراق خشوع  
بشرقي لبنى صيف وربيع  
وما ذاك من فعل الرجال بديع  
فهل لي الى لبنى الغداة شفيح  
بندي سلم لاجادكن ربيع  
بلين بلى لم تبلهن ربوع  
هي اليوم شتى وهي امس جميع  
ذكرتك وحدي خالياً لسريع  
حائم ورق في الديار وقوع  
نوائح ما تجري هن دموع  
لعاص لامر المرشدين مضيع  
كما يندم المغبون حين يبيع  
ابت كبد مما أجن صديق  
يؤرقني والعاذلات هجوع  
نبيتك عن هذا وانت جميع  
هناك ثنايا ما هن طلوع  
من الاهل والمال التلاد خليع  
وقالوا مطيع للضلال تبوع

ويعجبني قوله :

ندمت على ما كان مني ، فقدتني ! كما يندم المغبون حين يبيع  
وهو في شعره يمثل الفطرة الخالصة من شوائب التكلف ، فانه 'فجعم بفر  
جليلته ، والحليلة المعشوقة متاع عزيز .

وفي وصف اثر الطلاق يقول احد الاعراب :

ندمت وما تغني الندامة بعدما جرجن ثلاث ما لهن رجوع  
ثلاث 'يحرّ من الحلال على الفتى ويصدعن شعب الدار وهو جميع  
والتعبير بشعب الدار تعبير دقيق ، ما كان يغني عنه ان يقول : (ويصد-  
شعب القلب ) لان فراق الحليلة هدم للبيت من اساسه .

ومن شجى الشعر في ندامة المفارق عينية ابن زريق ، وقد ترك ابنة عمه  
بغداد ورحل الى الاندلس في سبيل الرزق ، ثم حيل بينه وبين ما يريد ، فأرء  
هذه الزفرة الباقية :

استودع الله في بغداد لي قرأ	بالكرخ من فلك الازرار مطلعته
ودعته وبودي لو يودعني	صفوا الحياة واني لا أودعه
وكم تشفع بي ان لا افارقه	وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى	وأدمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب المذرم منخرق	مني بفرقه لكن أرقعه
لاني أوسع عذري في جنائنه	بالبين عنه وقلبي لا يوسع
أعطيت ملكا فلم احسن سياسته	كذلك من لا يسوس الملك 'يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا	شكر عليه فعنه الله ينزعه
اعتضت من وجه خلي بعد فرقه	كأسا 'يحرّع منها ما اجرعه
كم قائل لي ذنب البين قلت له	الذنب والله ذنبي لست ادفعه
هلا اقمتم فكان الرشد اجمعه	لو انني حين بات الرشد اتبعه
لو انني لم تقع عيني على بلد	في سفرتي هذه إلا واقطعه
يا من اقطع ايامي وأنفدما	حرنا عليه وليلي لست اهبه
لا يطمئن بقلبي مضجع وكذا	لا يطمئن به مذ بنت مضجعه



ما كنت احسب ان الدهر يفجعني به ولا ان بي الايام تفجعه  
 حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد عسراء تمنعني حقي وتمنعه  
 وكنت من ريب دهري جازعاً فرقاً فلم أوقّ الذي قد كنت أجزع  
 بالله يا منزل القصف الذي درست آثاره وعفت مذبت أريع  
 هل الزمان معيد فيك لذتنا ام الليالي التي امضت ترجعه  
 في ذمة الله من اصبحت منزله وجاهد غيث على مفناك يُمرعه  
 من عنده لي عهد لا يضيع كما عندي له عهد صدق لا اضيعه  
 ومن يصدع قلبي ذكره وإذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه  
 لاصبرن الدهر لا تمنعني به ولا بي في حال يتمه  
 علماً بأن اصطباري معقب فرجاً فأضيق الامر لو فكرت اوسعه  
 علّ الليالي التي اضنت بفرقتنا جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه  
 وان تغل احداً منا منيته لا بدّ في غده الثاني سيتبعه  
 وان يدم أبداً هذا الفراق لنا فما الذي بقضاء الله نصنعه

ومما يتصل بتدامة المفارق ما قاله ابن الرومي في فرصة ضاعت منه فعرض من  
 بعدها البنان . فلنذكرها على سبيل الفكاهة ، لما فيها من ظرف الجحون :

استغفر الله من تركي علانية ذنباً هممت به في شادن خنت<sup>(١)</sup>  
 ظيبي دعتني عيناه ومنطقه بنية صدقت عن ظاهر عبث  
 فلم اجبه وحظي في اجابته لكن سكنت كأني غير مكاثرت  
 لا بل فررت وظل الصيد يطلبني والله ما كنت فيها بالفق الدمث  
 اقسمت بالله لما كنت محتجراً أني انبعثت بقلب غير منبعث

(١) الشادن : الغزال . والخنت : المتثني

## غربة المحب

نتكلم قليلا عن غربة المحب ، وكل مهجور غريب ، لأن الامر كما قال الشريف  
ليس الغريب الذي تنأى الديار به ان الغريب قريبٌ غير مودود  
فن الشعراء من يقترب في سبيل حبه . كما قال حذيفة الغنوي :

يقولون من هذا الغريب بأرضنا      اما والهدايا إمتني والغريب  
غريب دعاه الشوق واقتاده الهوى      كما قيدَ عود بالزمام اديب<sup>(١)</sup>  
وماذا عليكم ان اطاف بأرضكم      مطالب دين او نفته حروب  
امشي بأعطان المياه وابتقي      قلائص منها صعبة وركوب  
ومن شجي الشعر في غربة المحب قول بعض الاعراب :

وفي الجيرة القادين من بطن وجرة      غزال كحيل المقلتين ربيب  
فلا تحسني ان الغريب الذي نأى      ولكن من تنأى عنه غريب  
ومما يتصل بهذا المعنى قول بعض الاعراب يذكر اختصاصه بالبلوى في  
اغتراب محبوبته :

أرى كل ارض دمنتها وان مضت      لها حبيجٌ يزداد طيباً ترابها<sup>(٢)</sup>  
الم تعلمن يا رب ان رُب دعوة      دعوتك فيها مخلصاً لو اجابها  
واقسم لو اني ارى نسباً لها      ذئاب الفلا حُبت إلي ذئابها  
لعمري ابي ليلى لئن هي اصبحت      بوادي القرى ماضرٌ غيري اغترابها  
وغربة المحب تتمثل في حرمانه . وكيف لا يكون غريباً من يقول :

---

(١) العود الجمل ، واديب ذلول

(٢) دمنتها : مشت عليها

أيا منشـر الموتى أقـدني من التي      بها نهـلـت نفسي سـقاماً وعلـت  
لقد بـخلت حقـى لو أني سألتها      قـذى العين من سـافي التراب لضنت  
وما أمّ بـوء هالك بـقنوفة      إذا ذكـرته آخـر الـيل حنت  
بأكـثر من لوعـة غير أنني      اطامن احشائي على ما اجنت

ويظهر ان قذى العين كان في انفس العرب مثلاً لما لا يرضن به ، فقد ردّدوا  
ذكره في اشعارهم ، كما قال بعض بني اسد :

وكيف طلابي وصل من لو سأله      قذى العين لم يطلب وذاك زهيد<sup>(١)</sup>  
ومن لو رأى نفسي تسيل لقال لي      اراك صحيحاً والفؤاد جليـد




---

(١) اطلبه : اعطاه ما طلب

## الامل الضائع

نذكر في مقدمة هذا الباب رسالة كتبها صاحب البدائع، ونقلها الى الفرنسية  
حضرة الاديب عبد المجيد عيسى البيه . وهي تمثل الوجد يضطرم في الصدر ،  
بعد قسوة الإخفاق .



تأملت حتى لآمني كل صاحب رجاء سليمي ان تثم كما إمت'  
لئن بعث حظي منك يوماً بغيره لبئس إذا يوم التقابن ما بعث  
كنت اصبر على بأساء الحياة ، واحتمل ما فيها من غم وغم ، لو ان عندي  
بقية من الامل أرفقه بها احزائي ، وادفن فيها آلامي ! ولكن حال  
القنوط دون الرجاء ، واثى اليأس دون الطمع ، فلم يبق غير الجزع من 'مسعد' ،  
ولا سوى النوح من شفاء !

فيا جيرة ما كان اهنأ وردهم ، واطيب عيشهم ، ويا احباباً ذقت الفرح  
بقربهم ، وعرفت الهمّ لبغدم ، ويا من افناني قراقهم ، وكان احبائي لقاءهم ،  
وبربكم ما الذي لقيتم بعدي ، فقد لقيت بعدم ذلاً وهواناً ، وظلماً وعدواناً ،  
ومن عسى ان يكون قد ظفر بودكم ، ونعيم بحسنكم ، فأصفاكم من الحب  
اجمله ، ومن الانس اكمله ، فقد صعبت بعدمكم من جحدنمقي ، وانكر خلقي ،  
ومن سقيته الشهد فسقاني الصاب ، واوليته القرب فأولاني القطيعة ؟ !

فيا ليت شعري من ألوم ؟

ألوم نفسي على ان لم اعق في بركم اهلي واخواني ، فأسير حيث سرتهم ،  
واقم حيث اقمتم .

تفرق أهلي من مقيم وظاعن    فيا ليت شعري أي أهلي اتبع  
اقام الذين لا ابالي فراقهم    وشطّ الذين بينهم اتوقع

أم ألوكم على ان تركتموني وحيداً وآثرتم وطنكم ، واهلكم ، ولم تبالوا  
بمن خلفتموه طريح حزنه ، واسير همه ؟

أم ألوهم قوماً جعلتهم منكم بدلاً فكانوا شرّ بدل ، واتخذتهم من بعدكم  
ذخراً فكانوا كالهباء ، ورجوتهم حصناً اتقي به الدهر الخائن ، والزمن الجائر ،  
فاذا هم أذل من قراد بنسم ، وإذا المتغيء ظلمهم ، والراجي برهم ، يطمع في غير  
مطمع ، ويلجأ الى شرّ وزر ؟ !

أم ألوهم دهرأ اضطرّكم الى الرحلة فرحلتهم ، وحكم عليّ بالمقام فأقمت ، ثم  
أمدنا من اليأس لبعد الدار ، وشطّ المزار ، ما جعل الامر في التلاقي خائباً ،  
ورجاء التداني كاذباً :

وقلما ابقى على ما ارى    يوشك ان ينعماني الناعي  
ما اقتل اليأس لاهل الهوى    لا سيما من بعد إطماع

ما هذا الذي صنعتم ؟ اخضعتم لليأس ، واذعنتم للقنوط ، ولم ترهبوا العتاب  
إذ لم تأملوا اللقاء ، فزفقتم تلك الشمس الى غيري ، وآثرتم بها سواي ؟ !  
يا عزّ ان ضاعت عهددي عندكم    فأنا الذي استودعت غير امين  
او عدت مغبوناً فما انا في الهوى    لكم بأول عاشق مغبون

غلب اليأس عليكم فماتتم - ولا وفاء للول - فكان منكم ما اقضّ المضجع ،  
واورث الجفن السهاد ، فهل تعلمون ما صنع اليأس بنا ، وقال القنوط منا ؟ ولكن  
هيهات بعد اليوم ان ينفع العزاء .

هي الغاية القصوى فان فات نيلها  
فكل مني الدنيا عليّ حرام



وقد نظرت ما قال الشعراء في الامل الضائع ، ووجدت لهم فيه افانين ،  
فمنهم من يأسف على ان لم يؤهله وجهه للعشق ، كالذي يقول :

جارية اعجبها حسنها فملها في الناس لم يُخلق  
خبرتها اني محب لها فأقبلت تضحك من منطقي  
والتفتت نحو فتاة لها كالرشا الوسنان في قرطقي  
قالت لها قولني لهذا الفتي انظر الى وجهك ثم اعشق<sup>(١)</sup>

ومن جيد الشعر في ضياع الامل قول عمر بن ابي ربيعة في 'سكينة بنت  
الحسين :

قالت سكينة والدموع ذوارف	تجري على الحدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم اجزه	فيما اطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى ايامنا	اذ لا تلام على هوى وقصابي
خبرت ما قالت فبت كأنما	يرى الحشا بنوافذ الشباب
اسكين ما ماء الفرات وبرده	مني على ظمأ وفقد شراب
بالذ منك وان نأيت وقلنا	يرعى النساء امانة الغياب
ان تبدلي لي نائلا اشقى به	سقم القواد فقد اطلت عذابي
وعصيت فيك اقاربي فتقطعت	بيني وبينهم عرى الاسباب
فتركنتي لا بالوصال ممسكا	منهم ولا اسعفتني بثواب
فقدت كالمهريق فضلة مائه	في حر هاجرة للمع سراب

ولم أر من الشعراء من بكى الامل الضائع كما بكاه 'كثير في قوله :

وادنيتني حتى اذا ما استيتيتني  
توليت عني حين لالى مذهب  
بقول 'يحل العصم سهل الا باطح  
وغادرت ما غادرت بين الجوانح

وهي صورة شعرية تمثل الحب ، وقد استدرجه بحبويه ، حتى اخذ الطمع

---

(١) رواية صديقنا الدكتور ابراهيم زكي الساعي لهذا البيت هكذا ( انظر لاسانك ثم  
اعشق ) لأن بريق الثنايا هو شارة الحسن والقوة عند اطباء الاسنان .

بنواصي آماله ، ثم تركه في اللحظة الأخيرة ، يتعثّر في اذيال الخيبة والقنوط !

وفي هذا المعنى يقول الشريف :

كم قد نصبت لك الجبائل طامعاً      فنجوتَ بعد تعرّض لوقوع  
وتركتني ظمآن أشرب عُغلي      أسفاً على ذاك اللمى المنسوع

ومن الامل الزاهب ان يكون من تحبه ، من بلد غير بلدك ، وقوم غير قومك ، كما قال نصيب :

أريق الحب وعاده سُهده      لطوارق الهم التي تردّه  
وذكرت من رقت له كبدي      وقسا فليس ترق لي كبده  
لا قومه قومي ، ولا بلدي      فتكون حيناً جيرةً بلده  
ووجدت و جداً لم يكن احدٌ      من اجله بصبابة يحده

ونصيب يتحدث كثيراً عن عقم الأمازي ، حتى يقول :

ألا هل على البين المفرّق من بدّ      وهل مثل أيام بمنقطع السدّ  
تمتت أيامي أولئك والمنى      على عهد عادٍ ما تعيد وما تبدي



## الكتان

من الشعراء من لا يهتم من الكتان غير ستر تفاصيل الود . واسرار القرب ،  
ولا يرى بعد ذلك حرجاً في ذكر اسم من يحب ، كما قال جميل :  
لا لا ابوح بحب بثينة انها أخذت علي موثقاً وعموداً

وانه لو كان يذهب الى نكران الاسم وجحوده ، تضليلاً للوشاة ، لكان  
هذا البيت من سخف القول ، وهذره . واليك ما يقول من كلمة ثانية :

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لك هاشق  
نعم صدق الواشون انت حبيبة إلي وإن لم تصفُ منك الخلائقُ

فانه يدل على انه لا يبالي ان يُعرف بحبها . حتى قال الناس : جميل  
بثينة كما قالوا مجنون ليلي . ويذكر ابو علي القالي ان البيت السالف لكثير ،  
وانه ذكر بثينة تورية عن حبيبته ، وهذا فيما أرى غير حتم ، لأن كثير ما كان  
يعمل عن عزة إلا لضرورة الشعر . كقوله :

كفى حزناً للعين أن رد طرفها لعزة غير آذنت برحيل  
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكا فقلت البكا اشفى اذن لغليلي  
توليت محزوناً وقلت لصاحبي أقاتلني ليلي بغير قتيل

فقد ذكر عزة عند موافاة الشعر ، ولبى عند معاصاته ، وهو نوع من التلاعب  
بالإسماء الذي كثر في شعر العرب . وقال كثير من قصيدة اخرى :

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم إذا غاله من حادث الدهر غائله  
ويخفي لكم حباً شديداً ورهبة وللناس أشغالٌ وحبك شاغله  
كريمٌ يُميت السر حتى كأنه اذا حدثوه عن حديثك جاهله



يودّ بأن يسقي لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تراسله  
ويجهد المعروف في طلب العلا لتُحمد يوماً عند عز شأنه

وهو في هذا الشعر لا يكتُم اسم من يهوى ، وإنما يكتُم احاديث الحب ،  
واسرار الصبابة ، كما قال جابر بن ثعلب الجرمي :

ومستخبِر عن سر ريارددته بعمياء من ريا بغير يقين  
فقال انتصحيني إنني لك ناصح وما أنا إن خبرته بأمين

وهذا العباس بن الاحنف كان من اكثر المحبين كتماناً ، ولكنه صرح باسم  
محبوبته فوز ، ولقد بلغ من حسد احدى جاراته له ان سمّت جارتها « فوز »  
وقد قال في ذلك :

ما ينقضي عجيبي من جهل حاسدة كانت بذني الأثل من خدني وانصاري  
سمت وليدتها فوزاً مغايظة عذرت لو لطمتني ذات اسوار  
وما يزال نساء من قرابتها في كل ناحية يهتكن أستاري  
ومسلم بن الوليد يتغنى بكتُم تباريح الصبابة في قوله :

وما نلت منها ثألاً غير انني بشجو المحبين الا الى سلفوا قبلي  
بلى ربما وكلت نفسي بنظرة اليها تزيد القلب خبلاً على خبل  
كتمت تباريح الصبابة عاذلي فلم يدر ما بي فاسترحت من العذل  
وقد عارضه ابن عبد ربه بقوله :

بنفسي التي ضنت عليّ بوصلها ولو سألت قتلي وهبت لها قتلي  
وان حكمت جارت عليّ بحكمها ولكن ذاك الجور أحلى من العذل  
واحبيت فيها العذل حباً لذكرها فلا شيء أحلى في فؤادي من العذل  
وهو يذكرنا بقول ابي الشيص الخزاعي :

اجد الملامة في هواك لذينة حباً لذكرك فليلمني اللوم  
أشبهت اعدائي فصرّت احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم  
وقول ابن نباتة المصري :

لثمت ثغر عذولي حين ممّاك فلذ حتى كافي لائم فاك

ومن العشاق من يكتُم الهوى جملة واحدة كقول ابن قلاص :

كُتِمت الهوى عند العواذل ضنة      عليهم بن أصبوا اليه وأهواه  
ولو قلت اني عاشق فطنوا له      لهم أن ليس يُعشَق إلا هو  
وهو مذهب غريب ، وأغرب منه مذهب من يقول :

وقائلة ما بال جسمك لا يُرى      سقيا واجسام المحبين تسقمُ  
فقلت لها قلبي بحبك لم يبع      لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعل

وللعباس بن الاحنف شجون من الحديث عن الكتان ، فتارة يذكر انه باح  
بجبه حين طال بلاؤه . كقوله :

هذا كتاب بدمع عيني      أملاه قلبي على لساني  
الى حبيب كنت عنه      أجل ذكر اسمه لساني  
قد كنت اطوي هواه عنه      مذكنت في سالف الزمان  
فبعت اذ طال بي بلائي      ولم يكن لي به يدان

وهو هنا يكتُم جبه عن محبوبه ، فضلا عن الناس . وتارة يذكر أنه سيموت  
مكتوم السر إلا عن يحب . فيقول :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم      حتى إذا يقظوني في الهوى رقدوا  
واستهضوني فلما قت منتصباً      بثقل ما حُلوني في الهوى قعدوا  
جاروا علي ولم يوفوا بعهدهم      قد كنت احسبهم يوفون ان وعدوا  
لأُخرجن من الدنيا وحبكم      بين الجوانح لم يشعر به احد  
حسي بان تعلموا أن قد احبكم      قلبي وان تسمعوا صوت الذي اجد

وحيناً يذكر انه سلا ، لينصرف الناس عن التحدث بجبه وفقاً بمحبوبته  
فيقول :

كذبت على نفسي فحدثت اني      سلوت لكما ينكروا حين أصدق  
ولا من قلبي مني ولا عن ملالة      ولكنني أبقى عليك وأشفق  
عطفت على اسراركم فكسوتها      قيصاً من الكتان لا يتخرق  
وقد يعتذر عن هجره فيقول :

الله يعلم ما اردت بهجركم إلا مصانعة العدو الكاشع  
وعلمت ان تباعدي وتستري أدنى لوصلك من دنو فاضح  
وأحلى من هذا قوله في تعيين الغرض من الصدود :

سأهجر إلقي وهجرانها إذا ما التقينا صدود الحدود  
كلانا محب ولكنا ندافع عن حينا بالصدود  
وتأمل قوله « صدود الحدود » يريد بذلك ان كلا منهما يصدف بنفسه  
عن صاحبه ، أما القلوب فهي في ائتلاف . وطورا يكتفي بحديث العيون ،  
كقوله :

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين  
تخبرنا العيون بما اردنا وفي القلبين ثم هوى دفين  
وقد يسر الحزن ، ويبدى السرور ، مبالغة في التستر ، كقوله :

عيون العائدات تراك دوني فيما حسدي لعيني من يراك  
أريدك بالكلام فأقيم وأعد بالكلام الى سواك  
واكثر فيهم ضحكى ليخفى فسني ضاحك والقلب باك

وقد افصح عن ضرورة الكتمان بقوله :

سأستر والستر من شيعي هوى من أحب بمن لا أحب  
ولا بد من كذب في الهوى اذا كان دفع الأذى بالكذب

وربما تمنى لو استطاع ان يكاتم قلبه الحب ، فيقول :

اذا لم يكن للمرء بد من الردى فأكرم اسباب الردى سبب الحب  
ولو ان خلقاً كاتم الحب قلبه لمت ولم يعلم بحكم قلبي  
اذا قيل 'تفريك السلام تماسكت' حشاشة قلبي وانجلت غمرة الكرب

وقد ييأس من كتم الحب فيقول :

أما الهوى فهو شيء لا خفاء به شتان بين سبيل الغي والرشد  
إن المحبين قوم بين اعينهم ومم من الحب لا يخفى على احد

وقد يبالغ بالكتمان حتى يضل الناس من اجل حبه في بيداء من الظنون ،

ليس الليل نهار ، كما يقول :

قد سحَّب الناس أذيال الظنون بنا      وفرَّق الناس فينا قوْلهم فِرْقاً  
فجَاهِلٌ قد رمى بالظن غيركم      وصادق ليس يدري انه صدقا

وقد ذكروا ان العباس بن الاحنف مات هو وابراهيم الموصلي والكسائي في يوم واحد . فرفع ذلك الى الرشيد . فأمر المأمون ان يصلي عليهم . فصفوا بين يديه . ثم سأل عنهم واحداً واحداً وأمر بتقديم ابن الاحنف فصلى عليه . فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال : يا سيدي كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر ؟ فأنشده المأمون هذين البيتين :

سمَّاكَ لي ناس وقالوا انها      هي التي تشقى بها وتكابد  
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم      اني ليعجبني الحب الجاحد  
ثم قال أتحفظها ؟ فقال نعم . فقال : أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمة فقال بلى يا سيدي (١)

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول قيس بن ذريح :

لو ان أمراً أخفى الهوى عن ضميره      لم تعلم بذلك ضمير  
ولكن سألقى الله والنفس لم تبج      بسرِّك والمستخبرون كثير

ومن الشعر الموجه في الكتمان قول جاهر بن عبد الحكيم الكلبي :

قضى كل ذي دين فوقى غريمه      ودَيْنك عند الزاهرية ما يُقضى  
أكتم في حيي طريقة بالتي      اذا استبصر الواشون ظنوا به بغضا  
صدوداً عن الحي الذين أودهم      كأنني عدو لا يزور لهم أرضا  
ولم يدعُ باسم الزاهرية ذاكرُ      على آله إلا ظللنا لها مرضى  
وما نفع الهيان بالشرب بعدهم      ولا ذاق العينان مذ فارقوا غمضا

وقد يتهم المرء بحب من لا يحب ، فيتمني لو تصدق التهمة ، كما قال

---

(١) وضع صاحب البدائع كتاباً خاصاً سماه «صباية ابن الاحنف» تناول فيه بالتفصيل حياة هذا الشاعر الوجدانية ، ووازن بينه وبين ابن ابي ربيعة وإبي نواس.

صاحب البدائع :

عجبت لهم أنى رموني بحبها      ولا مهجتي رهنٌ لديها ولا قلبي  
فيا رب صدق في هواها عواذلي      فان عناءً ان ألام بلا ذنب  
وإلا فلا تقطع عليّ ملامهم      فان ملام المرء فاتحة الحب

طرفة أدبية .

قال بعضهم لمحبوبته :

سرّي وسرك لا يعلم به احد      إلا الإله وإلا أنتِ ثم أنا

فخالت له لا تنس القوادة ، فعندها الخبر اليقين !



## قسوة التجني

أكثر الشعراء من شكوى الهجر والصدود . واكثروا القول كذلك عن قسوة التجني ، فمن ذلك قول ابن نباتة السعدي :

يادهر لا غفلات العيش عائدةٌ      ولا الشباب الذي ابليته فيها  
ان كنت تمنع 'سعدى' من مطالبتها      فلست تمنع 'سعدى' من تمنيتها  
لله نعمة أوتارٍ ومسمعةٌ      باتت تدل على شوقي اغانيها  
وقهوةٌ كشعاع الشمس طالعةٌ      أفنيت بالمرج فيسها ريق ساقياها  
لو كنت اخضع في الدنيا لنائبةٍ      خضعت من هجرها او من تجنيها  
تستعذب الدمع عيني في محبتها      كأن ما تتركه العين من فيها

وما اجمل قول ابن الرومي :

يا عليلا جعل العلاءَ      مفتاحاً لظلمي  
ليس في الارض عليلٌ      غير جفنيك وجسمي

وقد كتبت الآنسة حياة فهمي كلمة عنوانها ( لمن الله الحب ) ونشرتها في الصباح : فأجابها الشاعر المبدع السيد حسن القاياتي بقوله :

تلوم حياةً على العاشقين      رويداً ورفقاً بنا يا حياتي  
جهلت الغرام فلمت المحبَّ      هنيئاً لعيذك في الناعسات

ثم سأل صاحب البدائع عن رأيه في تجني هذه الفتاة . فأجابه بما نصه :  
« يرى سيدي الشاعر ان الآنسة حياة جهلت الحب ، فلامت المحبين . ولو قال غير ذلك لأصاب شاكلة الصواب . لأن المرأة كالسياسي سواء بسواء . يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتُمون . » فإذا قال السياسي

( لا ) فاعلم انه يريد ( نعم ) واذا قال ( نعم ) فاعلم انه يريد ( لا ) واذا قالت المرأة ( لا احب ) فاعلم انها ( تحب ) واذا زعمت انها ( كارهة ) فاعلم انها ( راضية ) فان كنت في ريب من ذلك يا صديقي الاديب فاني اذكرك بقولك من قصيدة نشرتها لك في جريدة الافكار سنة ١٩١٩ :

عهد السياسة كاذبٌ      لله درك يا سجاح !

وقد قال ( تاسو ) احد شعراء ايطاليا : ان المرأة تفر ، وتود ان تلحق وهي فارّة : وتأبى ، وتود في ابائها ان تُسرق . وتناضل ، وترغب ان يُظفر بها في النضال ! !

فقول الآنسة حياة « لست بمن تغلب الحب على قلوبهم » معناه ان الحب صيرها باكية العين ، دامية الفؤاد ! وقولها « الحب عدو لدود للانسان » فيجب ان يُبعد عن القلوب « معناه ان الحب مادة الحياة . فيجب ان تزود به القلوب !

وقولها « تباعدوا عن الحب » معناه اقبلوا على الحب بسمعكم وبصركم ، أيها الشباب !

هذا يا صديقي ما تريده الآنسة حياة فهمي ! فهي حين تقول « لعن الله الحب » انما تريد « حيا الله الحب » وانت بما تريد علم !

ولا يفوتني قبل ختام هذه الكلمة ان اوجه الآنسة حياة هذا السؤال :

انك تأمريننا بأن لانب ( سمعاً وطاعة ! ) ولو اني سمعت هذه النصيحة قبل خمسة عشر عاماً لنجوت من الحب . ولا سألحت الآن من تسطير مدامع العشاق ، ولكنتي يا مولاتي لسوء الحظ قد احببت ، وقد ضريت بمحبي الامثال ، واريد ان اسلم من الحب على يدك الطاهرة ، جعل الله في يمناك الشفاء ، من كل داء ، فهل لك ان تصفي لي طريق الخلاص من هذا الضلال القديم ، ومن اسماء الحب الضلال ؟

انا في انتظار الجواب !

ملحوظة — ارجو ان تحترس الآنسة حياة ، وهي تكتب أنواع العقاقير ،

من ان تنهاني عن التطلع الى الميول ، والحدود ، والثغور ، والنحور ، والنهود ،  
فانه لا سبيل الي مثل هذا المتاب !! وانما اريد ان اسلو وانا اعيش بأفنان  
الجمال ، كما يرُدُّ الشارب الكأس وهي تتوهج بين أنامل الساق.  
الجميل !!

وقد رد السيد حسن القاياتي على هذه الكلمة بخطاب شائق ولولا الرغبة  
في الايجاز لأمتعنا به القارئ ، ومن السهل الرجوع اليه في كتاب  
البدايع .

وقد أحسن التجني في قول احد الشعراء :

صدّ عني محمد ابن سعيد      اجمل العالمين ثاني جيد  
ليس من بغضة يصد ولكن      يتجنى لحسنه في الصدود





## ظالم الحبيب

وفي الحب وحده مجلو الظلم ، حتى لتحكمُ عليّة بنت المهدي بأن الحب بُني عليه . وتقول :

وُضع الحبُّ على الجور فلو      انصف العشوق فيه لسمُجُ  
ليس يستحسن في شرع الهوى      عاشقٌ يُحسن تأليف الحُجَجِ

وقال النميري :

راحتي في مقالة العُدّالِ      وشغائي في قيلهم بعد قالِ  
لا يطيب الهوى ولا يحسن الح      ب لصبٍّ الا بخمس خصال  
يسماع الاذى وعذل نصيح      وعتابٍ وهجرةٍ وكفّال

ويعمل بعضهم جبال الظلم في الحب بقوله :

لولا اطراد الصيد لم تكُ لذة      فتطاردني لي في الوصال قليلا  
هذا الشراب اخو الحياة وماله      من لذة حتى يصيب غليلا

ومثله قول الآخر :

دع الصبَّ يصلى بالأذى من حبيبه      فان الأذى ممن تُحب سرورُ  
غبار قطيع الشاء في عين ذئبها      اذا ما تلا آثارهنّ ذرور

وأنشد الاصمعي :

لا خير في الحب وقفاً لا تحرّكه      عوامل اليأس او يقتاده الطمعُ  
لو كان لي صبرها او عندها جزعي      لكنك املك ما آتي وما ادع  
اذا دعا باسمها داعٍ ليحزنني      كادت له شعبةٌ من مهجتي تقع  
لا احمل اللوم فيها والغرام بها      ما كلف الله نفساً فوق ما تسع

ومن جيتد الشعر في ظلم الحبيب قول أبي حية النميري :

رمتني وسير الله بيني وبينها      ونحن بأكناف الحجاز رميم  
رميم التي قالت لجارات بيتها      ضمنت لكم أن لا يزال هيم  
ألا رب يوم لو رمتني رميمتها      ولكن عهدي بالنضال قديم  
فيا عجباً من قاتل لي أودّه      أشاط دمي شخص عليّ كريم  
يرى الناس أني قد سلوت وانني      لدنسف احشاء الضلوع سقيم

وهذا الشعر غاية في رقة المعنى وجزالة الألفاظ .

وما أجمل الرفق في قول ابن الرومي :

أصبحت مملوكاً لأحسن مالِك      لو كان كل حسنة إسجاحه  
لم يَعمسه أرقي وفيه لقيته      حتى أضرت بمقلتي إلحاحه  
كلا ولا دمعي وفيه سفحته      حتى أضرب بوجنتي كسفاحه  
لامسته بعقوبة من ربه      إقلاقه قلبي ولا إتراحه  
يا ليت شعري هل يبيت مُعانقي      ويداي من دون الوشاح وشاحه  
هل انت مُنصف عاشقٍ متظلم      طول النحيب شكاته وصباحه  
قسماً لقد خيمت منك بمنزل      لي حرته ولمن سواي بطاحه  
ما بال تغرك مشرباً لي سُكره      ولمن سواي فدتك نفسي راحه  
نفسي معذبة به من دونه      ويباحه دوني ولست أباحه

وأحب لو تأمل القاريء قول الشريف :

ولي ناظرٌ بعد بين الخلد      طمات من الدمع إنسانه  
رواء من الماء آماقه      ظمأ من النوم أجفانه  
فأين من الداء إفراقه (١)      واين من القلب سلوانه  
فيا ظالماً طيباً ظلمه      كثيراً على القلب اعوانه  
يباع بسومك حب القلوب      وتفلق عندك أثمانه (٢)

---

(١) أفرق من دائه أبرء منه (٢) غلق الثمن : ضاع

وشرّ الاساءة من مالكِ أساء وما نيلَ إحسانه  
وقال نُوَيْبٌ :

أيا قارات من قتلته سُعدى دمي لا تطلبوه لها حلالُ  
أرقّ لها وأشقى بعد قتلي على سُعدى وإن قلّ النوال  
وما جادت لنا يوماً ببذل يمين من سعاد ولا شمال

ونُوَيْب هذا هو الذي يقول :

ألا في سبيل الله نفسٌ تقسّمتْ شاعاً وقلب للحسان صديق  
أفاقت قلوبٌ كن عذبن بالهوى زماناً وقلبي ما أراه يُفريق  
عصيت بك الناهين حتى لو أنني أموت لما أرعى عليّ شفيق



## قساة القلوب

والعشاق يرمون اهل الحسن بقسوة القلب ، وغلظ الكبد ، ويحسب ابن  
الأحنف ان قلوب الحسان قدّت من الصخر . فيقول :

اظن وما جريت مثلك انما قلوب نساء العالمين صخور  
ذريني اتم ان لم أنل منك زورة لعل خيالاً في المنام يزور  
بكيت إلى سرب القطا حين مرّ بي فقلت ومثلي بالبكاء جدير  
أمرب القطا هل من يعبر جناحه لعلّي إلى من قد هويت اطيّر

وقد نظر المرحوم اسماعيل باشا صبري إلى استعارة الجناح فقال :

يا سرحة يحوار الماء ناضرة سفاك دمعني ان لم يوف ساقيك  
عار عليك وهذا الظل منتشر فتك الهجير بمثلي في نواحيك  
هل من معبري جناحي طائر غرد كي اقطع العمر شدوا في أعاليك  
فلا أنقر عن أرض غرست بها ولا يرن بسمعي غير واديك

ومن المحبين من يصف قلب محبوبته بالطمانينة والهدوء ، في حين ان قلبه  
يتلظى على جمر الصدود . كما قال بشار (١) :

أيها الساقيان صبا شرابي واسقياني من ريق بيضاء رود  
إن دائي الصدى وإن دوائي شربة من رضاب ثغر برود  
ولها مبسم كغر الاقاهي وحديث كالوشي وشي البرود

---

(١) في كتاب البدائع بحث شائق عن ظلم المواطف ، فارجع اليه لترى ما صنع الدهر بشمر  
بشار .

نزلت في السواد من حبة القلـ ب وثالت زيادة المستزيد  
ثم قالت نلقاك بعد ليلـ والليالي يبلين كل جديد  
عندها الصبر عن لقايـ وعندي زفراتـ يا كلن قلب الحديد

وما أظرف قول أبي نواس في معشوقته جنان :

جنان تسبني ذكرتـ بخيرـ وتزعم أنني رجل خبيث  
وأن مودتي كذبـ ومينـ وإني للذي أهوى نثوثـ  
وليس كذا ولا ردـ عليها ولكن الملول هوالنكوث  
ولي قلبـ ينازعني اليها وشوق بين اضلاعي حثيث  
رأت كلـفي بها ودوام عهدي فملنتي كذا كان الحديث

وأبداع ما قيل في قسوة قلب الجميل قول خالد الكاتب :

ليت ما أصبح من رقة خديك بقلبكـ

ولقساء القلوب يقول صاحب البدائع :

لقد صددتا كما صددتهم فهل ندمتم كما ندمنا  
وشفنا الوجدـ مذ جفوتـ فأظهر الدمع ما كتمنا  
وهبت روحي وقلت عطفاً فما عطفتـ وما رجعتـ  
ملكتموها وما وصلتـ لقد غنمتـ وما غنمنا  
وما ازددت خوفاً على فؤادي إلا وزدتـ رضى وأمننا  
وما رجائي وقد قويتم على جفائي وزدت وهنا  
قتلت نفسي على جفاكم وما قرعتم علي سننا  
لهفي على السالف المقتدى لو كان يحدي الفدا لجدا  
فما ذكرنا الذي تقضى إلا على حسنه انتحبنا

لو كنت اشكو الهوى لصخر لحنـ وجداً وأنةـ حزناً  
وذاب من هول ما أراه فقد برانا الهوى وذنبنا  
ن كان ذنبـ فسامحونا ويشهد الله ما أسأله

وصاحب البدائع هو الذي يقول:

أيتها الظالمُ الجليلُ سلامٌ من أسير قيئته يحسفاً  
كيف أصليتي من الهجر تاراً وحرمت العيون من أن تراها  
ليت من شاء أن يطول أسانا في سبيل الهوى أطال أساها  
سوف انجو من القرام واغدو مُطلق النفس من قيود هواها  
فاسقني المرء من صدودك واحكم جائر الحكم في ظلال صباها

وقد حسب بعض الناقدین ان فی هذا الشعر نذیراً بنقض العهد ، ووجود  
الود ، وليس الأمر كما يحسبون ، وإنما هي صورة لحالة من حالات النفس ، حين  
يثور الوجد ، ويتمنى الحب لئلاسه لو افلتت من اشراك هواه ، وهيهات هيهات !



## سيف الفراق

تتكلم في هذا الحديث عن وصف الشعراء لفنك الفراق بالنفوس وقتله للقلوب ،  
فمنهم من يذكر تعثره في الطريق ، وضلاله عن القصد ، بعد فراق من يجب ،  
كما قال بعض الاعراب :

وما وجد مغلوبٍ بصنماءٍ موثقٍ      بساقيه من ثقل الحديد كُبولُ  
ضعيف الموالي مُسلمٌ بجريرةٍ      له بعد نومات العيون عويل  
يقول له الجلاد أنت معذبٌ      غداة غدٍ أو مُسلمٌ فقتيل  
بأوجعٍ مني لوعةً يوم راعني      فراق حبيبٍ ما اليه سبيل  
غداة أسيرُ القصد ثم تردُّني      عن القصد لوعات الهوى فأميل

وهذه القطعة من غرر الشعر ، وهي آية في وصف الحيرة يرمى بها المحب  
المشوق ، بعد فراق لا يُرجى ان يعقبه لقاء . وتأمل كيف شبه حاله بحال  
مغلوب كبُل بالحديد ، في جريرة لا يقني في دفعها ضعف مواليه ، وقد اصبح  
موضع النذير من الجلاد في كل صباح ومساء ، وحسب الفراق ان يرمى المحب في  
مثل هذه الحال !

وانشد الجاحظ :

أزف البين المبين      قطع الشكّ اليقين  
حنّنت العيش فأبكَا      في من العيش الحنينُ  
لم أكن لا كنت أدري      ان ذا البين يكون  
علموني كيف اشتا      قُ إذا خفّ القطين

وكان أستاذنا الشيخ سيد المرصفي يسخر ممن يقول :

وأنا بكيت من الفراق فهل بكيت كما بكيت  
ولطمت خدي خالياً ومرسته حتى اشتفيت  
وعواذلي ينهينني عن هويت فما انتهيت  
وأنا احسب ان البكاء ولطم الحدود اهون ما يجري بعد الفراق ، ويا ويلتاه  
من الفراق !

وما اصدق من يقول :

أُمزعة ليلى بيني ولم تمتُ كأنك عما قد اظلك غافل  
ستعلم ان شطأت بهم غربة النوى وزالوا بليل ان قلبك زائل  
ومن المتيمين من يشجيه ان يقاسي احبابه متاعب السفر ، ومشاق السرى ،  
ومصاعب الادلاج . ثم يرجع إلى نفسه فيتوَّجع لحاله بعد الفراق . كقول ابي تمام :

لو كان في البين إذ بانوا لهم دعة لكان بينهم من اعظم الضرر  
فكيف والبين موصول به تعب تكلف اليد في الادلاج والبكر  
لو ان ما يبتليني الحادثات به يكون بالماء لم يشرب من الكدر  
او كان بالعيس ما بي يوم رحلتهم اعيت على السائق الحادي فلم تسير  
كان ايدي مطايام إذا وخذت يقعن في حر وجهي او على بصري

وهذا شعر يُذِيب لفائف القلوب ... وقال بعض المعذبين

قد قلت والمبرات تسفحها على الخد الماقي  
حين انحدرت الى الجزيرة وانقطعت عن العراق  
يا يؤس من سل الزما ن عليه سيفاً للفراق

إي والله :

يا يؤس من سل الزما ن عليه سيفاً للفراق

إنه لا محالة مقتول !

وقد يلوم المحب نفسه على فراق احبابه ، كالذي يقول :

أنظمن عن حبيبك ثم تبكي عليه فمن دعاك الى الفراق  
كأنك لم تَذق للبين طعماً فتعلم انه مر المذاق



اقم وانعم بطول القرب منه      ولا تظمن فتكبت باشتياق  
فما اعتاض المفارق من حبيب      ولو يعطى الشام مع العراق

ومثله من يقول :

تطوى المراحل عن حبيبك دالبا      وتظل تبكيه بدمع ساجم  
كذبتك نفسك لست من اهل الهوى      تشكو الفراق وانت عين الظالم  
هلا اقمتم ولو على جمر الغضى      قلبت او حدد الحسام الصارم

وما أوجع ما قالته إحدى النساء :

وكنا كفصني بانه وسط روضة      نشم شذا الأزهار في عيشة رغد  
فأفرد هذا الفصن من ذاك قاطع      فيا فردة بانت نحن الى فرد  
ولهذين البيتين قصة محزنة يضيق عن ذكرها المجال



## الهرب من الفراق

واذا كان ما تقدم هو حال المحبين يوم الفراق ، فليس ببدع ان يهرب  
البعثري من منظر الوداع ، وان يظرف حين يقول :

الله جارك في انطلاقك      تلقاء شامك او عراقك  
لا تعدلني في مسيرك      يوم سرت ولم الاق  
اني خشيت موافقا      للبين تسفح غرب ما  
وعلمت ما يلقي المتى      عند ضمك واعتناقك  
وعلمت ان لقاءنا      سبب اشتياقي واشتياقك  
فتركت ذاك تمعدا      وخرجت اهرب من فراقك

وفي مقابل هذا المعنى يقول العباس بن الاحنف وقد حرم توديع من يحب :  
كفى حزننا اني بقيت وليس لي      سبيل الى توديعكم فادع  
تلفت خلفي حيث لم تبق حيلة      وذودت عيني نظرة وهي تدمع



## غراب البين

أكثر العرب من ذكر الغراب ، والتشاؤم من منظره ، حتى يقولون :

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانيةٍ ينتفُ اعلى ريشه ويطايرُهُ  
فقلت ولو اني اشاء زجرته بنفسِي للنهدي هل انت زاجرُهُ  
فقال غرابٌ لاغترابٍ من النوى وفي البان بينٌ من حبيب تجاوره  
فما اعيف النهدي لا در درُهُ وازجره للطير لا عزٌ فاصره

ومن الشعراء من استخف بهذه الخرافة ، وسخر من المتطيرين ورأى ان  
الإبل هي التي تفرق الاحباب . كقول ابي الشيص :

ما فرق الاحباب به د الله الا الإبلُ  
والناس يلحون غرا ب البين لما جَهلوا  
وما على ظهر غرا ب البين تطوى الرُحل  
ولا اذا صاح غرا ب في الديار احتملوا  
وما غراب البين الا ناقةٌ او جمل

ومنهم من لا يجيز دم المطي ، لأن لها صلة بمن يحب . كالذي يقول :

زعموا بأن مطيهم عون النوى والمؤذات بفرقة الاحباب  
ولو انها حتفي لما ابغضتها ولها بهم سببٌ من الاسباب

## فقد العزاء

وقد يمنف الهوى ويقسو ، حتى يذهب بجميل الصبر ، وحيد العزاء ، فمن  
 العشاق من يفقد اضطباره عند الوداع . كقول ابن نباتة السعدي :  
 كيف العزاء وأين بابه<sup>١</sup> والحي قد خفت ركابه<sup>٢</sup>  
 بأغر<sup>٣</sup> منتقب<sup>٤</sup> ينم<sup>٥</sup> على محاسنه نقابه<sup>٦</sup>  
 متأود<sup>٧</sup> حلوا الشائل<sup>٨</sup> من أساوره حقايبه<sup>٩</sup> (١)  
 زعم الخبير انه ضربت<sup>١٠</sup> على سلم قبابه<sup>١١</sup>  
 فطلبت<sup>١٢</sup> كالأم أو كالسيل في الليل انسيابه<sup>١٣</sup>  
 فإذا أحس<sup>١٤</sup> المقلتي<sup>١٥</sup> ن يشين أنمله خضابه<sup>١٦</sup>  
 هتتر<sup>١٧</sup> مثل السميري<sup>١٨</sup> تدافعت فيه كعابه<sup>١٩</sup>  
 وقف الولائد دونه كالقلب يستره حجابيه<sup>٢٠</sup>  
 أقبلت أسأله وأء<sup>٢١</sup> لم ان حرمانى جوابيه<sup>٢٢</sup>  
 وبلي على متاون<sup>٢٣</sup> الا لأخلاق يعجبته شبابه<sup>٢٤</sup>  
 لا رسله<sup>٢٥</sup> تنزى الي<sup>٢٦</sup> نا بالسلام ولا كتابه<sup>٢٧</sup>

وأحب ان يتأمل القارئ هذه القصيدة البديعة ، وان يتنبه إلى دقة الوصف  
 في جميع ما عرض الشاعر له . وعلى الاخص تلون الاخلاق ، والزهو بالشباب ،  
 في أرباب الجمال !! وقال الشريف :

ورامين وهنا بالجمار وانما رموا بين أحشاء المحبين بالجر  
 رموا لا يبالون الحشا وترواحوا خلين والرامي يصيب ولا يدري  
 وقالوا غداً ميعادنا النفر عن منى وما سرفي ان اللقاء مع النفر

(١) الخقاب ما تشده المرأة في وسطها وتعلق به الحلى

ويا يؤس للقرب الذي لا ندوؤه      سوى ساعة ثم البعاد مدى الدهر  
 فيا صاحبي ان تمعط صبراً فأنني      نزعت يديّ اليوم من طاعة الصبر  
 وإن كنت لم تدر البكا قبل هذه      فميعاد دمع العين منقلب السفر  
 وقد يستولي الحزن على القلب ، ويتغلغل في سويدائه ، حتى يئأس المحب من  
 صلاحية فؤاده للسرور ، لو رجعت أسبابه ، كما قال بعض الشعراء :

كم استراح إلى صبرٍ فلم يُرح      صبّ اليكم من الأشواق في ترح  
 تركتم قلبه من حزن فرقتم      لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرح  
 رُقال خالد الكاتب يفضل اللوعة على العزاء :

عابت نفسي في هوا      فكلم أجدها تقبل  
 واطمعت داعيتها اليه      فكلم أطمع من يعذل  
 لا والذي جعل الوجوه      لحسن وجهك تمثّل  
 لا قلت إن الصبر عن      لك من التصابي اجمل

وقال اسحق الموصلي في ذهاب الوداع بالصبر الجميل :

تقضت لبانات وجد رحيل      ولم يُشف من أهل الصفاء غليل  
 ومدت أكف الوداع فصافحت      وقاضيت عيون الفراق تسيل  
 ولا بد للآف من فيض عبرة      إذا ما خليل بان عنه خليل  
 فك من دم قد طل يوم تحملت      أو انس لا يودى لهن قتيل  
 غداة جعلت الصبر شيئاً نسيته      وأعولت لو أجدى علي عويل  
 ولم أنس منها نظرة هاج لي بها      هوّى منه بادٍ ظاهر ودخيل  
 كما نظرت حوزاء في ظل سدره      دعاها إلى ظل الكيناس مقيل

وابن زيدون يجعل صبره عن حبيبهِ كصبر الظماء عن الماء ، فيقول :

اليك من الأنام غدا ارتياحي      وانت من الزمان مدى اقتراحي  
 وما اعترضت هموم النفس إلا      ومن ذكراك ريحاني وراحي  
 فديتك ان صبري عنك صبري      لدى عطشي عن الماء القراحي  
 ولي أمل لو الواشون كفوا      لأطلع غرسه ثم النجاح

واعجبُ كيف يغلبني عدوُّ رضاك عليه من أمضى سلاحي  
فؤادي من أمي بك غير خالٍ وقلبي من هوّي لك غير صاحي  
فلو أسطيع طرت اليك شوقاً وكيف يطير مقصوص الجناح  
ويأسي ابن الدمينّة على ان لم يُغنه القرب ، ولم يسله البعد ، فيقول :  
وقد زعموا ان الحب إذا دنا يمل ، وان النأي يشفي من الوجد  
بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا على ذاك قرب الدار خير من البعد  
على ان قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذئ عهـ  
وأوجع الشعر في فقد العزاء قول بعض الاعراب :

فيا ربّ إن اهلك ولم تروهامتي بليلى امت لا قبر اعطش من قهري  
وإن أك عن ليلي سلوت فانما تسليت عن يأس ولم أسل عن صبر  
وان يك عن ليلي غنى وتجلد فرب غنى نفس قريب من الفقر



## بكاء الشباب

ولعل اشجى ما يمر بخاطر المرء ان يهجره الغيد بعد انصرام الشباب ، والشباب هو شفيح الفتى الى قلوب الحسان ، فاذا مضى فقد اصبح بلا شفيح ، والويل للمفرد المغلوب !

من اجل ذلك تفتن الشعراء ، في بكاء الشباب ، والتنكر للشيب . فمنهم من تبيض في رأسه شعرة واحدة ، فلا يراها قليلة ، لأن قذى العين غير قليل ، كما قال ابن الرومي :

طرقت عيون الغانيات وربما أمالت إليّ الطرف كلّ تميل  
وما شبت إلا شيبة غير انه قليل قذاه العين غير قليل  
وابن الرومي يكثر البكاء على شبابه ، ويعمل نفسه احياناً بأن الشيب في الرأس كالنور على الغصن . ويأسى كثيراً لاجتياحه الى الخضاب ، الذي يراه اشبه بسواد الحداد ، ويكاد يصرخ من خروجه الى الحسان في شعر ميت ، وقلب حي ، والمحـب يتفجر قلبه دائماً بالحياة ! وانظر كيف يقول :

شاب رأسي ولات حين مشيب	وعجيب الزمان غير عجيب
قد يشيب الفتى وليس عجيباً	ان يرى النور في القضيـب الرطيب
ساءها ان رأت حبيباً اليها	ضاحك الرأس عن مفارق شيب
يا حليف الخضاب لا تخدع النـفـ	س فما انت للصبي بنسيب
ليس يجدي الخضاب شيئاً من النـفـ	ع سوى انه حداد كئيب
لهف نفسي على القناع الذي مـحـ	وأعقبت منه شرّ عقيب (١)
منع العين ان تقرّ وقرت	عين واش بنا وعين رقيب

---

(١) مح القناع بلى . والمقيب البديل .

شَعَرْتُ مَيِّتٌ لَذي وَطَرٍ حَيٌّ كَنَارِ الحَرِيقِ ذَاتِ اللَهِيبِ  
ظَلَمْتُني الخُطُوبُ حَتَّى كَأَنِّي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ حَسِيبِ

وما أروع قوله في السُّخْر من الخُضَاب :

رَأَيْتُ خُضَابَ المَرءِ عِنْدَ مَشْيِهِ حَدَاداً عَلَى شَرَحِ الشَّيْبَةِ يُلْبَسُ  
وإِلَّا فَمَا يَغْزُو أَمْرُهُ بِخُضَابِهِ أَيْطَمِعُ أَنْ يَخْفَى شَبَابٌ مُدَّلسٌ  
وَكَيْفَ بَأَن يَخْفَى المَشِيبُ لَخُضَابِ وَكُلُّ ثَلَاثٍ صَبْعُهُ يَتَنَفَّسُ  
وَهَبَهُ يُوَارِي شَيْبَهُ أَيْنَ مَأْوُهُ وَأَيْنَ أَدِيمٌ لِلشَّيْبَةِ أَمْلَسُ

وقال أشجع السلمي يوصي بانتهاب اللذات ، قبل ان يقف في سبيلها الهرم  
والمشيب :

وَمَا لِي لَا أُعْطِي الشَّبَابَ نَصِيْبِهِ وَغَصْنَاهُ يَهْتَزُّ أُنْ فِي عَوْدِهِ الرُّطْبِ  
رَأَيْتُ اللَّيَالِي يَنْتَهِنُ شَيْبَتِي فَأَسْرَعْتُ بِاللَّذَاتِ فِي ذَلِكَ النَّهْبِ  
رَأَيْتُ بَنَاتِ الدَّهْرِ يَخْلِسْنَ لَدُنِّي لَقَدْ حَزَنَ سَلْمَى وَانْتَهَيْنِ إِلَى حَرْبِي  
وَقَدْ حَوَّلَتْ حَالِي اللَّيَالِي وَأَمْرَجَتْ عَلَى الرَّأْسِ أَمْثَالَ الْفَتِيلِ مِنَ الْعُطْبِ  
وَمَوْتَ الْفَقَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ ذَا حَالٍ يَصْبُو وَلَا يُصْبِي

وقال آخر في صدوف النساء عن صرعى المشيب :

هَلْ الْأَدَمُ كَالْأَرَامِ وَالدَّهْرُ كَالدَّهْمِ مُعَاوَدَتِي أَيَّامُنُ الصَّوَالِحِ  
زَمَانَ سِلَاحِي بَيْنَهُنَّ شَيْبَتِي لَهَا سَائِقٌ مَنِ حَسَنَتْ وَرَامِحِ  
وَأَقْسَمَنْ لَا يَسْقِينِي قَطْرُ مُذْنَةٍ لَشَيْبِي وَلَوْ سَالَتْ يَهْنَ الْإِبَاطِحِ

وكان استاذنا المرحوم فقيه اللغة والأدب الشيخ محمد المهدي بك كثير  
الإعجاب بقول أبي منصور النميري في الجزع على شبابه المفقود :

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعٌ إِذَا ذَكَرْتَ شَبَاباً لَيْسَ يَرْجِعُ  
بَأَن الشَّبَابَ وَنَابَتْنِي بِفِرْقَتِهِ خُطُوبُ دَهْرٍ وَأَيَّامٌ لَهَا خِدَاعُ  
مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهَ قِيَمَتِهِ حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ  
تَعَجَّبْتُ إِنْ رَأَتْ أَسْرَابَ دَمْعَتِهِ فِي حُلْبَةِ الخَدِّ أَجْرَاهَا حَشّاً وَرَجَعُ  
أَصْبَحْتُ لَمْ تَطْعَمِي ثَكْلَ الشَّبَابِ وَلَمْ تَشْجَنِيْ بِغُصَّتِهِ وَالْعَذْرُ لَا يَقَعُ



لا ألحين فتاتي غير كاذبة عين الكذوب فما في ودمك طمع  
 ما بالشيبة من وان وإن رفعت إلا لها نبوة عنه ومرقدع  
 إني لمعرف ما في من أرب عند الحسان فما في النفس منخدع  
 قد كدت تقضي على فوت الشباب أسي لولا اعزبك إن الامر منقطع

ويذكرون ان الرشيد سمع هذا الشعر ، وبكى له ، وأنشد :  
 أتأمل رجعة الدنيا سقاماً وقد صار الشباب الى ذهاب  
 فليت الباقيات بكل ارضي مجعن لنا فنحن على الشباب  
 ومن التعليل الكاذب قول البحاري في مدح المشيب :

عذلتنا في عشقها أم عمرو هل سمعت بالعاذل المعشوق  
 ورأت لمة ألم بها الشيب ب فريعت من ظلمة في شروق  
 ولعمري لولا الاقاحي لأبصر ت اتيق الرياض غير اتيق  
 وسواد العيون لو لم يحاور هُ بياض ما كان بالوموق  
 ومزاج الصباء بالماء املى بصبح مستحسن وغيق  
 أي ليل يبهى بغير نجوم او سحاب يندى بغير بروق

لكن ماذا يصنع الاشيب ، إن لم يقالط الحسان بهذه المعاذير ؟



## بلاديا الغيرة

نذكر هنا ما جرى في سبيل الغيرة من الدموع . ونتقدم ذلك بقول بعض  
الاندلسيين وقد قبّل من يهواه :

ياربّ ! ان قدّرتَه لمقبّلٍ غيري فللمسواك او للاكؤس  
وإذا قضيت لنا بصحبة ثالثٍ يارب فليكُ شمعة في المجلس  
وإذا حكمت لنا بعين مراقبٍ يارب فليكُ من عيون الزرجس

ألست ترى الرعب وقد استولى على هذا الشاعر من ان ينعم بحبيبه سواء ،  
فجعل يتمنى ، لو تنفع الاماني ، ان لا يراقبهم غير الزرجس ، وان لا يصحبهم  
غير الشمعة ، وان لا يقبّل محبوبه غير الكأس او المسواك ؟ !

وقد جُنّ العرب بالغيرة جنونا : فتغلبوا غسان بن جهم يشد زوجته من  
عالم الارواح ، وقد زُفّت إلى غيره بعد موته بقليل :

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمةً ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي عهدا  
ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب حلفت له يوماً ولم تنجزني وعدا  
غدرت به لما نوى في ضريحه كذلك ينسى كل من سكن اللحد

وتخيل رواة العرب ان موسى الهادي جاء إلى جاريته ( غادر ) وقد اقبلت  
من بعده على اخيه هرون فأنشدها وهي قائمة هذه الابيات :

أخلفت عهدي بعد ما جاورتُ سكان المقابر  
ونكحت غادرةً اخي صدق الذي سماك غادر  
لا يهنك الإلف الجديد دُ ولا تم عنك الدوائر  
ولحقت بي قبل الصبا حوصرت حيث غدوت صائر

بعد هذا التمهيد يستطيع القارئ ان يدرك لمَ حملت الفيرة عبد السلام بن  
 رغبان على قتل غلامه وجاريته !! وحديث هذا الشاعر عجيب : فقد ذكروا  
 انه اشترى غلاماً وجارية ، ثم شغفاه حباً ، فكان يجلس للشراب والجسارية عن  
 يمينه والغلام عن شماله !! ثم خشي ان يموت قبلها فينعم غيره بما لهما من روعة  
 وجمال : فذبحهما واحرقهما وصنع من ترابها آيتين للشراب !!

وكان ينشد حين يشرب من الآنية التي صنعها من تراب الغلام هذه القطعة  
 الباكية :

اشفقتُ ان يردَّ الزمان بغدره	او أبتلى بعد الوصال بهجره
قمرٌ قد استخرجته من دَجْنه	لبليقي واثرتُه من خِدره
فقتلته وله عليّ كرامةٌ	فله الحشا وله القواد بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ	والحزن يسفع مدمعي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعدهُ	بالحي منه بكى له في قبره
غصصٌ تكاد تفيض منها نفسه	ويكاد يخرج قلبه من صدره

ثم ينشد حين يشرب من الآنية التي صنعها من تراب الجارية هذه القطعة التي  
 ينذر ان نجد احمر منها في الرثاء :

يا طلعةً طلع الحمام عليها	فجنى لها ثمرَ الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها	ومدامعي تجري على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما	روى الهوى شفتي من شفتيها
فوق نعلها وما وطىء الثرى	شيء أعزُّ عليّ من نعلها
ما كان قبلها لأني لم اكن	أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن بخلت على الوجود بحسنها	وأنفت من نظر العيون اليها

ولعل الظلم لم يرزق حجة أقوى من هذه الحجة ، ولا برهاناً اسطع من  
 هذا البرهان !! وكانت السيدة سكينة تعيب على جرير قوله :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام  
 وكانت تقول : قاتله الله ما اقساه : هلا قال : ادخلي بسلام !

فلو سمعت السيدة سكينه بهذا الحب السفاح لطال بكأؤها على صرعى  
 الفيرة ، وقتلى الاشفاق !! ولئن كان الجنون فنونا كما يقولون ، فهذا ورب  
 الكعبة اغرب فنون الجنون ! وكنانود لو حدثنا التاريخ عن اثر هذه الاعجوبة في  
 انفس من عاصروا ابن رغبان لنعرف رأيهم في الجناية على الجمال ! ألم يكفهم  
 ان الحسن حال تحول ، ودولة تدول ، حتى تسوق غيرتهم اليه القناء ؟ وبعد  
 فقد سمي عبد السلام بن رغبان هذا « ديك الجن » وانه في فعلته هذه لشيطان  
 مريد !!

هذا ، ومن الشعراء من يفار من عود البشام حين يستاك به الحبيب ، ومن  
 القمد يطوق به الجيد ، ومن النقاب يحجب به الوجه الجميل ، كما قال الشريف :

يا غزال الجزع لو كان علي الجزع لمام  
 أحسد الطوق على رجليك والطوق لزام  
 وأعض الكف إن نال ثناياك البشام  
 وأغار اليوم إن مر على فيك اللثام

ومنهم من يفار من قميص حبيبه ، كما قال خالد الكاتب :

عجبك شفته أله وخامر جسمه سقمه  
 وباح بما يُجمجمه من الاسرار مكتنمه  
 أما ترني لمكتتب يحبك لجه ودومه  
 يفار على قميصك حين ن تلبسه ويتهمه

وكما قال بعض الاعراب :

ارى القميص على ليلي فأحسده

ان القميص على ما ضم محسود

ومنهم من يفار على اسم محبوبه ، فيكنى عنه ، لئلا تتمتع به الآذان ، كما  
 قال البها زهير :

وأُنْزِه اسمك انت تَمْرُ حُرُوفه  
من غيرتي بِمِسمع الجلاسِ  
فأقول بعض الناس عنك كناية  
خوف الوُشاةِ وانت كل الناس  
وقد يغار المحب على حبيبه من نفسه ، كما قال أبو تمام :

بنفسي من اغار عليه مني وتحسد مقلتي نظري اليه  
ولو اني قدّرت طمست عنه عيون الناس من حذري عليه  
حبيبٌ بئس في قلبي هواهُ وامسك مهجتي رهناً لديه  
فروحي عنده والجسم خالٍ بلا روحٍ وقلبي في يديهِ



## الاستعطاف

نذكر هنا حيل العشاق في لفت أنظار الاحباب اليهم ، وتوجيه أفكارهم  
نحوهم ، حتى ينالوا طلبتهم من القرب ، وبغيتهم من الوصل ، ولذلك حالات :  
فمن العشاق من يقبّح لحبيبه المطل والخلف ، حتى يبرّ بوعده ، ويفي بعهده .  
كقول ابن الأحنف :

كان لم يكن بيني وبينكم هوّى ولم يك موصلاً بجلكم حبلي  
ولاني لأستحي لكم من محدث يحدث عنكم بالملالة والمطلـ  
وكقول الطغرائي :

ويا جيرتي بالجزع جسمي بعدكم نحيل وطرفي بالسهاد قليل  
عهدت بكم غصن الشبيبة مورقاً فخان وختم والوفاء قليل  
وأودعتكم قلبي فلما طلبته مطلتم وشر الفارمين مطول  
فإن عدتم يوماً تريدون مهجتي تمنعت إلا أن يقام كفيل  
ومن التبيين من يحرم كل شيء حتى الوعد فتراه لا يطلب الوفاء ولا يقبّح  
الإخلاف ، وإنما يرجو وعداً يجلو به كربة قلبه ، ويطفئ به نار جواه ، لو  
تغنى الوعود !

وما أزال ألمح في عالم الخيال مجنون بني عامر ، وقد صادف في توحشه حي  
ليلي ، ولقيها فجأة فعرفها وعرفته ، فصعق وخر مغشياً عليه ، وأقبل فتيات  
من حي ليلي فأخذوه ، ومسحوا التراب عن وجهه واسندوه إلى صدورهم ،  
وسألوا ان تقف له وقفة ا فرقت لما رآته وقالت اما هذا فلا يجوز ان افتضح به  
ثم قالت لجارتها : اذهبي الى قيس فقولي له : ليلي تقرأ عليك السلام ، وتقول لك  
أعزّز علي بما انت فيه ا ولو وجدت سبيلا إلى شفاء دائك لوقيتك بنفسي ا

فمضت الوليدة اليه واخبرته بقولها فأفاق وجلس ، وقال : أبلغنيها السلام ، وقولي لها هيهات هيهات ! إن دائي ودوائي انت ، وان حياتي ووفائي لفي يديك ، ولقد وكلت بي شقاء لازماً وبلاءً طويلاً ، ثم بكى ، وانشأ يقول :

أقول لأصحابي هي الشمس ضوؤها      قريبٌ ولكن في تناوُلها بُعدُ  
لقد عارضتنا الريح منها بنفحةٍ      على كبدي من طيب ارواحها بردُ  
فما زلت مغشياً عليّ وقد مضت      أناةٌ وما عندي جواب ولا ردُّ  
أقلبُ بالأيدي واهلي بودهم      يُفدُّونني لو يستطيعون ان يفدُّوا  
ولم يبق إلا الجلد والعظم عارياً      ولا عظم لي إن دام ما بي ولا جلدُ  
أدنايَ ما لي في انقطاعي ورغبي      اليك ثوابٌ منك دينٌ ولا نقدُ  
عديني بنفسي انت وعداً قريباً      جلا كربة المكروب عن قلبه الوعدُ  
غزرتني جنود الحب من كل جانب      إذا حان من جند قفول اتى جندُ

والبيت الاخير اعجوبة من اعاجيب الخيال ، فما زال المحبون صرعى مساكين ، إن قفلت عنهم جنود الحدود ، غزتهم جنود العيون ويرحم الله من تألبت عليه جنود الحب جميعاً حتى ذهبت بلبه ، ولم يبق إلا ان تنكسر النصال على النصال !

وقد يستعطف المقيم المحزون ولكنه لا يطلب وعداً يطارد به جيوش الاحزان ، ولا يرجو الوفاء بوعده كأن يهتدي به في ظلمات الشجون ، وانما يُلمح وقد يكون التلميح ، ابلغ من التصريح . فيذكر ان الحسن يحدق به من كل جانب ، ولكنه لا يصبو ولا يميل لأنه بمن يحب مشغول . وانظر قول الابیوردي في هذا المعنى البديع :

وقتك الردي بيض حسان وجوها      ومثريّةٌ من نضرة وجهال  
طلعن بدوراً في دجى من ذوائب      ومِسْن غصوناً في متون رمالِ  
أرى نظرات الصب يماثرن دونها      بأعراف مجرّدٍ او رموس عوال  
عرضن عليّ الوصل والقلب كله      لديك فاني يبتغين وصالي  
ولولاك ما بعث العراق واهله      بوادي الحمى والمندلي بضال

غما لنساء الحيّ يضمنن غيرةً سبّتها العوالي ما لهن ومالي  
ولو خالفتني في متابعة الهوى يميني ما واصلتها بشمالي  
وفيك صدودٌ من دلالٍ اظنه على ما حكى الواشي صدود ملال  
وقد يتمنى المحب ان يمرض ليعوده الحبيب . واليك قول ابن الحياط :  
احنّ الى سقمي لعلك عائدي ومن كلفني اني احنّ الى السقم  
وحتام استشفى من الداء ما به سقامي واستروي من الدمع ما يظمي  
فراقٌ اتى في إثر هجرٍ وما اذى بأوجع من كلم اصاب على كلم

ممكن هذا المحب ، يتمنى المرض ليعاد ، فهل يعلم ان من المحبين من  
اشقاه المرض ، فلم يسعده العواد . وهل اراه حديث ابن الاحنف وقد لجّ به  
المرض فأخذ يهذي بهذا الشعر الباكي الحزين :

اهابك ان اشكو اليك وليس لي يدٌ بالذي القى واخفى من الوجد  
واني لصادي الجوف والماء حاضراً اراه ولكن لا سبيل الى الورود  
وما كنت اخشى ان تكون مني بكف اخص الناس كلهم عندي

وهل وصلت اليه تلك الوصية البديعة التي بعث بها ابن الاحنف الى 'حجاج  
البيت الحرام وقد توقع ان يمروا بدار هواه ؟

انظر الى ذلك العليل ، وقد خفي الداء ، وتعمد الشفاء ، وكلما 'عصر الماء  
في فيه عجه ، كما يفعل الطفل الغرير ، وقد ذهبت العلة بجمال نظراته ، وسحر  
بسماته ، وان فودي لم يجب بغير الانين ، انظر اليه وقد تمنى جرعة 'مزجت'  
بريق حبيبته يحملها اليه الحجاج في زجاجة ! ولو امكن ان تنقل اليه النظرة ،  
لرجاه ان يحملوا اليه نظرة ، ولو خلق القنوغراف في ذلك الحين لرجاه ان  
ينقلوا اليه نفمة من نفماتها العذاب ! ولو مهر المصورون إذ ذاك لكلفهم ان  
يصوروا مشيتها الفتانة في الضحى والاصيل ! انظر اليه وهو يروجوم ان يتعللوا  
عند اهله فيذكروا ان تلك الجرعة المذبة انما هي من ماء زمزم ! ويحك ، وابن  
ماء زمزم الملح الاجاج ، من ماء ذلك الثغر العذب الفرات ؟ انظر اليه وقد  
اوصاه ان يرشوا ريق من يهوى على وجهه ، فان صادفوه ميتاً فليرشوه على



قبره ! انظر كيف يقول :

ازو"اربيت الله مُروا يثرب	لحاجة متبول الفؤاد كئيب
وقولولهم يا اهل يثرب أسعدوا	على جلب للحادثات جليب
فإنا تركنا بالعراق اخا هوّى	تشبّ رهنًا في حبال شُعوب
به سقمٌ أعيا المداوين علمه	سوى ظنهم من مخطئ ومصيب
إذا ما عصرنا الماء في فيه مجّه	وان نحن نادينا فقير مجيب
خذوا لي منها جرعة في زجاجة	ألا انهما لو تعلمون طيب
وسيروا فان ادر كنتم بي حشاشة	لها في نواحي الصدر وجس ديب
فرشوا على وجهي اقق من بليقي	يشبكم ذو العرش خير مثير
فان قال اهلي ما الذي جئتم به	وقد يحسن التعليل كل اريب
فقولوا لهم جئناه من ماء زمزم	لنشفيه من دائه بذنوب
وان انتم جئتم وقد حيل بينكم	وبيني يوم للنون عصيب
وصرت من الدنيا الى قعر حفرة	حليف صفيح مطبق وكئيب
فرشوا على قبري من الماء واندبوا	قتيل كعاب لا قتيل حروب

وكان ابن الاحنف هذا يستعطف فلا يرجو شيئاً ، ولا يخاف شيئاً ، وكل مناه ان يعلم فانتوه انه يجيبهم ، وان يسمعوا صوت ما يجد ، وانه لمطلب زهيد ، ولكنه قد يصبح صعب المثال ، وانظر هذه الابيات التي يندر ان نجد مثلها في تصوير المحب وقد خلاه من اذكوا نار جواه ، وتركوه يتلوى ويتملّل ، فوق حجر الهوى وجمر الصدود :

ابكي الذين اذاقوني مودتهم	حتى اذا ايقظوني للهوى رقدوا
واستنضوني فلما قمت منتصباً	بثقل ما حملوني في الهوى قعدوا
جاروا علي ولم يوفوا بعهدهم	قد كنت احسبهم يوفون ان وعدوا
لأخرجن من الدنيا وحبكم	بين الجوانح لم يشعر به احد
حسي بأن تعلموا ان قد احبكم	قلي وان تسمعوا صوت الذي اجد

ومن حسن الإشارة قول ابراهيم بن المهدي :  
يا غزالاً لي السيد شافعٌ من مُقلتيه  
والذي اجللتُ خديّ به فقبّلت يديهِ  
بأبي وجهك ما اكثرتُ حسّادي عليه  
اناضيفُ وجزاء الضيف إحصانُ اليه

والاحسان الذي يرجوه هذا الشاعر يذكرنا بقول بعض الاعراب :

آل ليل ان ضيفكم واجدٌ بالحيّ مذ نزل  
امكنوه من ثنيتها لم يُردْ خيراً ولا عسلاً

ومن جميل الاستعطاف قول ابن زيدون :

يا هلالاً تراءى ه نفوسٌ لا عيونُ  
عجيباً للقلب يقسو منك والعطفُ يلين  
ما الذي ضرك لو سرّ بمرآك الحزين  
وتلطّفت بصبيّ حينه فيك يحين  
فوجوه اللطف شتى والمعاذير فنونُ

وما اوجع الاسى في قول ابن هانيء :

يابنت ذي البرد الطويل نجادُه اكذا يجور الحكم في ناديك  
عيناك ام مقناك موعدا وفي وادي الكرى ألقاك ام واديك  
منعوك من مينة الكرى وسروا فلو عثروا بطيف طارق ظنوك  
ودعوك نشوى ما سقوك مدامة لما تقايل عطفك اتهموك  
جسبوا التكهّل في جفونك حلية تالله ما بأكفهم كحلوك  
وجلوك لي إذ نحن غصنا بانه حتى اذا احتفل الهوى حجبوا

ويندر ان تجد بين الادباء من لا يحفظ قول ابن الطائرية :

مُعقّبةٌ اّما ملأتُ إزارها قد عصّ واما خصرها فبتيل  
تقيّظ اكناف الحمى ويظّلها بنعمان من وادي الاراك مقيّل  
أليس قليلا نظرة ان نظرتها اليك ، وكلا ليس منك قليل

فيا نخلة النفس التي ليس دونها  
ويا من كتمنا حبه لم يُطع به  
أما من مقامٍ اشتكى غربة النوى  
فؤادي أسيرٌ لا يُفكٌ ومهجتي  
ولي مقلةٌ قرحى لطول اشتياقها  
فديتك أعدائي كثيرٌ وشقتي  
وكننت إذا ما جئت جئت بعة  
فما كل يومٍ لي بأرضك حاجةٌ  
صحائفٌ عندي للعتاب طويتها  
فلا تحملي ذنبي وانت ضعيفةٌ  
ولنختم هذا الباب بقول صاحب البدائع :

اجبني إن تفضلتَ  
أأنسى الدهر ما جادت  
وارسم للننى حداً  
واقنع بالردي ورداً  
وأرضى باللظى مثوى  
على المسكين بالرد  
به عيناك من وعد ؟  
وما لجواي من حد ؟  
وغيري سائق الورد ؟  
ووجهك جنة الخلد ؟

وفياً حافظاً اشقى  
وصباً والهاً افنى  
فيا ويلاه من حبة  
أعدت لمله جهدي  
ليسعدَ ناقض العهد  
ليبقى جاحد الود  
حملت بلاءه وحدي !  
فيصعق بطشه جهدي

## الحنين

هل اناك حديث الصّمة بن عبد الله وقد خطب ابنة عمه ، وكان لها حجاب ، فاشتط عليه عمه في المهر ، فاستعان بأبيه وكان ماثرياً فلم يعنه ، فأمر عشيخته فأسعفوه ، ثم ساق الابل الى عمه ، فقال لا اقبل هذه في مهر ابنتي ، فسل اباك ان يبدلها لك . فسأل اياه ذلك فأبى عليه ، فلما رأى ضنّ ابيه وإباء عمه قطع عقلها وخلها فماد كل بغير الى اهله ... ويروى ان اياه اعطاه تسعة وتسعين بغيراً فأبى عمه إلا مائة وحلف ابوه لا يكملها . فقال الصمة : والله ما رأيت الأم منكماً ، واني للأُم منكماً جميعاً ان اقامت بينكما . ثم رحل الى الشام . فقالت ابنة عمه : والله ما رأيت كالיום رجلاً باعت عشيخته بغير !!

تأمل ايها القارىء هذه القصة الوجيهة ، واكملها بما لديك من وثبات الخيال ، ولا تظالبنني بأكثر من هذا الايجاز ، فانما اتخذته مقدمة لدرس قصيدة الصمة في الحنين ... الم تر اليه وقد طالت غريته ، فعبث الشوق بقلبه ، واعتادته ذكرى احبابه واوطانه . فقال يعاتب نفسه ، ويحاور قواده :

امن ذكر دارٍ بالرقاشين اصبحت      بها عاصفات الصيف بدءاً ورجعاً  
حننت الى رياء ونفسك باعدت      مزارك من رياء وشعباً كما معا  
فما حسن ان تأتي الامر طائماً      وتجزع ان داعي الصباية اسمعا  
ثم اخذ يخاطب رفيقيه - وقد بالغاً في لومه واطالاً في تأنيبه - فقال :

ألا يا خليلي اللذين توأصيا      بلومي الا ان اطيع وأتبع  
قفا إنه لا بد من رجوع نظرة      يمانية شتى بها القوم او معا  
لغتصب قد عزّه القوم امره      حياة يكف الدمع ان يتطلعا

ثم شرع في تعجيزهم وتبئيسهم فقال :

فان كنتم ترجون ان يذهب الهوى يقيناً ونزوى بالشراب فننقما  
فردوا هبوب الريح او غيروا الجوى إذا حلّ ألواذ الحشا فتمنعا

ومن يستطيع ذلك ؟ الله ما العاذل وان اشتط في عذله ، وبالع في لومه ،  
بقادر على نسيانك ، اوسلوانك :

ظنّ الهوى لبسة تبلى فيخلعها فكان في القلب مثل القلب في البدن  
ثم عاد الى رفيقيه يسألها الإسعاد والإنجاد :

قفا ودعانجداً ومن حلّ بالحى وقلّ لنجد عندنا ان يؤدّعا

مسكين ! وقل لنجد ان يؤدّع ! اذن فما كنت صانعاً لو انصفته ؟ اكنت  
تقرب في البكاء والإعوال حتى يرحمك اعداؤك ، ويرثي لك حاسدوك ؟ ام  
كنت تقتل نفسك جوّى وحزناً ؟ ثم قال :

بنفسي تلك الارض ما اطيب الربى وما اجمل المصطاف والتربعا  
وليست عشيات الحمى برواجع اليك ولكن خلّ عينيك قدمعا  
اتق الله في نفسك يا ابن عبد الله وارحم شبابك وصبرك

واستبق دمعك لا يودي البكاء به واكفف مدامع من عينيك تستبق  
فما الشئون وان جادت بباقية ولا الجفون على هذا ولا الحدق

ثم اخذ يصف موقفه وقد حال (البشر) بينه وبين احبابه واوطانه . فقال :

ولما رأيت (البشر) اعرض دوننا وحالت بنات الشوق يحننّ نزعاً  
بكنت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلنا معا

وقد رأيت من الادباء من يستنكر هذا الخيال ، وهو عندي من دلائل الوله  
وعلائم الصباية المضلة . ثم قال في وصف ما لاقى في تلفته من العنت :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى ورجعت من الإصفاء ليتاً واخذعا

وهو معنى جميل نال في هذا البيت حظه من البيان . وقد تبعه الشريف  
الرضي فأبدع واجاد في قوله :

ولقد مررت على ديارهم وربوعها بيد البلى نهب

فوقفت حتى ضجّ من لُغَبٍ    نضوى ولجّ بعذلي الركب  
وتلفّتت عيني فندّ خَفِيتْ    عني الربوع تلفت القلب

ويمتاز بيت الصّمة بتمثيله ما يعرف الناس في مثل هذه المواقف من ظاهري  
التعب . فأما بيت الشريف فلا يعرف حسنه غير من كابد الشوق وعانى الصبابة .  
ثم قال الصمة في تنمة الحديث عن جوابه :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني    على كبدي من خشيةٍ ان تصدعا  
ولم أر هذا المعنى لأحد قبل الصمة . وقد أكمله ابن نباتة السعدي بقوله :  
أضمّ على قلبي يديّ مخافةً    إذا لاح لي برقٌ من الشرق لامعٌ  
وهل ينفع القلب الذي بان إلفه    إذا طار شوقاً ان تضم الأضالع  
ومن الحنين قول ابن عبد ربه :

ودّعني بزفرة واعتناقٍ    ثم نادت متى يكون التلاقي  
وبدت لي فأشرق الصبح منها    بين تلك الجيوب والاطواق  
يا سقيم الجفون من غير سقم    بين عينيك مصرع العشاق  
ان يوم الفراق افطع يوم    ليتني مت قبل يوم الفراق

لأن الشاعر قد يرحل فيأخذ في ذكر المعاهد والعهود ، وقد يظعن حبيبه  
ويقيم ، فيأخذ في الإعوال عليه ، والحنين اليه ، وهناك من غرائب الهوى  
وعجائب الصبابة حالة ثالثة ليست أقل من سابقتها جوّى وحزناً ، بل ربما  
كانت أكثر حيرة : وهي ان يلتقي الركبان وفيها محب ومحبوب ، ثم يفترقان  
قبل ان يتلاقى الصبان : ويجتمع الخلائق ، فلا يدري العاشق اي عهد يبكي ،  
واي حظ يندب ، كما لا يعرف ايلوم نفسه لأنه ظعن وترك حبيبه مقبياً ، ام يشكو  
دهره لان حبيبه سار وخلفه ، ام يُعول إعوالاً مُبهاً لا يعرف مصدره ، ولا

يفهم مبعثه ، والشعر في هذا المعنى اقرب الى الذكرى منه الى الحنين ، ومن  
الجيد فيه قول الارجاني :

استودع الله قوماً كيف ابعدنا      تقلب الدهر منهم حين ادنا  
زموا القداة مطاياهم لفرقتنا      لما أنخنا للقيام مطايانا  
لم تشتبك بعد أطناب الخيام لنا      ولا المنازل ضمتهم وإيانا  
لكنهم عاجلون بالنوى ومضوا      وخلفوا الطرب المشتاق حيرانا  
لم يملأ العين من احبابه نظراً      إذ غادر الدمع منه الجفن ملائنا

ولإني موافيك ببديع الشعر وشجيه ، فيما يمثل حال المحب نأى عنه حبيبه ،  
أو خلف احبابه وسار ، فمن الاول قول سبط التعاويذي :

اتعود ايامي برامة بعد ما      سكنت يحرعاء الحمى آرامها  
وأحلها البين المشت محلة      بعدت مراميهما وعز مرأها  
سارقتها نظر الوداع فما ارتوت      نفس يزيد على الورود هيامها  
يا غادرين وغادروا بجوانحي      لبعادهم ناراً يشب ضرامها  
بنتم فلا عيني تجف غروها      أسفاً ولا كبدي يبل أوامها  
جودوا لعين المستهام بهجة      فعمسى تثلكم لها احلامها  
لا تتلفوا بالبين هجة عاشق      سيان بين حميمها وحامها  
اعداه من هيف الخصور نحوها      يوم النوى ومن العيون سقامها

ولم اجد في هذا المعنى اشجى واوجع من قول بعض المتيمين :

لبكاء هذا اليوم صنت مدامي      وكذا العزيز لكل خطب يذخر  
يا ساكني وادي العقيق فدتك      عين مدامها عقيق احمر  
بنتم فما استعذبت بعد حديثكم      لفظاً ولم يحسن لعيني منظر

والبيت الاخير مأخوذ من قول ابن ابي ربيعة :

لم يحبب القلب شيئاً مثل حبكم      ولم تر العين شيئاً بعدكم حسناً

فأما شعر من نأوا عن احبابهم ، وخلوا معاهد انهم ، فهو كثير ، ومن  
جيده قول الابيوردي يتشوق إلى احبابه وقد خلاهم ببغداد :

ألا ليت شعري هل اراني بغيضة	ابيت على ارجائها واقيل
هواء كأيام الهوى لا يقبه	نسيم كلحظ الغائيات عليل
وعصر رقيق الطيرتين تدرجت	على صفحته نضرة وقبول
وأرض حصاها لؤلؤ وترابها	تضوع مسكاً والمياه شمول
بها العيش غص والحياة شبيهة	وليلي قصير والهجير اصيل
فقل لأخلائني ببغداد هل بكم	سلو فمندي رنة وعويل
ترحنني ذكراكم فكأنما	تميل بي الصبباء حيث اميل
لئن قصرت أيام انسي بقرىكم	فليلي على نأي المزار طويل

وقال اعرابي من بني عقيل :

احن إلى ارض الحجاز وحاجقي	خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري نحو الحجاز بناقعي	بشيء ولكنني على ذاك انظر
افي كل يوم نظرة ثم عبدة	لعينيك يجري ماؤها يتعذر
متى يستريح القلب إما مجاور	حزين وإما نازح يتذكر

وقال آخر في الحنين إلى أيامه السوالف :

سقى الله أياماً لنا قد تتابع	وسقياً لعصر العامرية من عصر
ليالي اعطيت البطالة مقودي	تمر الليالي والشهور ولا ادري

ومن شائق الحنين قول ابن الدمينه :

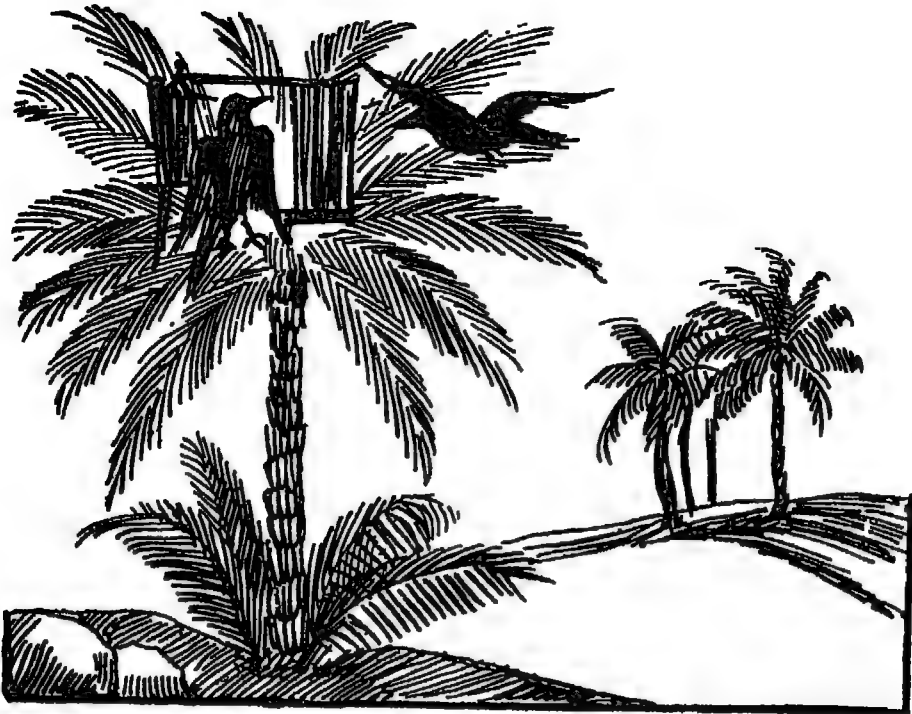
ألا لا أرى وادي المياه يشيب	ولا النفس عن وادي المياه تطيب
أحب هبوط الوادين وانتي	لمشتهر بالواديين غريب
احقاً عباد الله ان لست وارداً	ولا صادراً إلا علي رقيب
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة	من الناس إلا قيل انت مرئوب
وهل ريبة في ان تحن نجيبة	إلى ألفها او ان يحن نجيب
وان الكتيب الفرد من جانب الحمى إلى	وإن لم آت له الحبيب



لك الله اتي واصل ما وصلتني ومثني بما اوليتني ومثيب  
 واخذ ما اعطيت عفواواني لأزور عما تكرهين هبوب  
 فلا تتركي نفسي شماعا فانها من الوجد قد كادت عليك تذوب  
 واني لأستحييك حتى كأنما علي بظهر الغيب منك رقيب

وفي هذا المعنى يقول صاحب البدائع :

تجمل يا سماح ودع ملامي وكن عون الحب المستهام  
 ففي أسبوط لو تدري حبيب هجرت لبعده طيب المنام  
 أسيت له يحن إلى لقائي ودون مرامه كيد اللثام  
 إذا ما الليل جن ونام صحي مشت نار التذكر في عظامي  
 سلام أيها النائي سلام وهل يغني عن اللقا سلامي



## الرفق بالحبيب المريض

وهذا باب تتجلى فيه رقة القلوب ، فمن ذلك قول خالد الكاتب :

يحسني لا يحسبك يا عليلُ      ويكفيني من الألم القليلُ  
تمدّاك السقام إليّ إني      على ما بي لشدة حمولُ  
إذا ما كنت يا أملي صحيحاً      فحالفني وسالمك النحول

وهذه أبيات ضعيفة ، لا تتناسب مع شاعرية من يقول :

وحسبك حسرة لك من حبيب      رأيت زمامه بيديّ عدوّ

وقد يتعنى المحب لو أعفى المرض محبوبه ، ورّسح كيف شاء في الاجسام  
الدميمة ، كما قال سُحيم :

ماذا يريد السقام من قمر      كلُّ جمالٍ لوجهه تبّع  
ما يرجي ، خاب من عاصمها      أماله في القباح مُتسع  
لو كان ينبغي الفداء قلت له      ها أنا دون الحبيب يا وجع  
وما أرق ما يقول ابن الاحنف :

إن التي هامت بها النفس      عاودها من سُقمها تكس  
كانت إذا ما جاءها المبتلى      أبرأه من راحها اللبس  
وا بأبي الوجه المليح الذي      قد عشقته الجن والإنس  
إن تكن الخمتى أضرت به      فربما تنكسف الشمس

وانظر جمال الرفق في قوله :

أما والله لو تجدين وجدي      لقلل ما وجدت إذا حشاك  
وقاك الله كل أذى بنفسي      وعجل يا ظلوم لنا شفاك

وأنشد أبو الحسن بن البراء :

فديتك ليلي مُدَّ مَرَضَتَ طَوِيلٍ      ودعني لما لاقيت فيك مَهْمُولُ  
أأشرب كأساً أم أسْرُ بِالسَّذَةِ      ويعجبني ظيُّ أَغْنُ كَحِيلِ  
وتضعحك سِنِي أو تجف مدامعي      وأصبو إلى لَهْوٍ وانت عَليـلِ  
ثكلتُ إِذْأَ نفسِي وقامت قِيَامَتِي      وغالت حِيَاتِي عِنْدَ ذَلِكَ غُولِ  
وقال يوسف بن ابراهيم الغرناطي يخاطب الوزير ابن الحكم وقد اصابته حمى

تركك على شفته بثوراً :

حاشاك ان تمرض حاشاك      قد اشتكى قلبي لشكواك  
إن كنت محمواً ضعيف القوى      فانتني أحسد مُحْتَاك  
ما رَضِيَّتْ مُحْتَاكَ إِذْ بَاشَرْتُ      جسمك حق قبَلْتُ فَاك  
وهذا الشعر وإن كان خطاباً لوزير إلا أن فيه مِمَاتِ التشبيب !



## الذبول والنحول

وقد يأسى الشعراء لما عانوا في الحب من الضمور والشحوب ، فيرى بعضهم أنه لم يبق له لحم ولا دم ، كما قال المؤمل :

حُلْتُ بِكُمْ فِي نَوْمِي فَغَضِبْتُمْ	ولا ذنب لي إن كنت في النوم احلم
سَأُطْرِدُ عَنِّي النَّوْمَ كَيْلَا أُرَاكُمْ	إذا ما أتاني النوم والناس نَوْمُ
تُصَارِمُنِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي	أبرؤها من والديها وأرحم
وَقَدْ زَعَمُوا لِي أَنِّي نَذَرْتُ دَمِي	وما لي بحمد الله لحم ولا دم
بِرِي حَبِيْبَهَا لَمْ يَبْقَ لِي دَمًا	وإن زعموا لي صحيح مسألم
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحُبِّ صَحَّ سَقِيْمُهُ	ولا مثل من لم يعرف الحب يسقم
سَتَقْتُلُ جِلْدًا بَالِيًّا فَوْقَ اعْظَمِ	وليس يبالي القتل جلدًا واعظم

ومنهم من يبلى جسمه ، ولا يبلى شوقه ، كما قال أبو تمام :

يَا جَفَوْنَا سِوَاهُهَا أَعْدَمْتُهَا	لذة النوم والرقاد جفون
بَلَى الْجِسْمُ لَكِنِ الشَّوْقُ حَيٌّ	ليس يبلى وليس تبلى الشجون
إِنَّ اللَّهَ فِي الْعِبَادِ مَنَآيَا	سلطتها على القلوب العيون

ويقرب من هذا المعنى قول السري الرفاء :

فداؤك من أوردته منهل الردى وورد الردى للعاشقين يطيب  
وما مات حتى أنحل الحب جسمه فلم يبق فيه للتراب نصيب  
والأرجاني يذكر أن طيفه لو زار حبيبه لمل شخصه إليه لنحوه ويقول :

يُرَوِّي ضَاحِي الْوُجُنَاتِ دَمْعِي	ويعدل عن لهيب جوتي دخيل
وَمَا نَقَمِي وَإِنْ هَطَلَتْ غَيْوْثُ	إذا أخطأ أن أمكنة المحول

'هم' نقضوا عهودي يومَ بانوا  
 وفوا بالهجر لما أوعدوني  
 وفي الركب الهلائين خشف  
 أصاب بطرفه الفتان قلبي  
 بخلت وقد حظيت بصفو ودي  
 وبت لو استزرت اليوم طيفي  
 ولكن لا سبيل إلى شفاء  
 وأبدوا صفحة الطرف الملول  
 وكم وعدوا الوصال ولم يفوا لي  
 تعرض يوم تشيع النحول  
 وكيف يصاب ماضٍ من كليل  
 وإن من العناء هوى البخيل  
 لجرّ اليك شخصي من نحولي  
 إذا مال الطبيب على العليل

ومنهم من يذكر أنه ضنى حتى لو تعلق بعود ثمام ما تأوّد ، كما قال  
 الحسين بن مطير الاسدي :

خليلي هل ليلى مؤدية دمي  
 وكيف تقاد النفس بالنفس لم تقل  
 ولن يلبث الواشون أن يصدعوا العصا  
 نظرت إليها نظرة ما يسرني  
 ولي نظرة بعد الصدود من الجوى  
 فحتماً مقى هذا الصدود إلى متى  
 فلو أن ما أبقيت مني معلق  
 إذا قتلتنى أو أميرٌ يقيدها  
 قتلت ولم يشهد عليها شهودها  
 إذا لم يكن صلباً على البرني عودها  
 بها نجر انعام البلاد وسودها  
 كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها  
 لقد شفت نفسي هجرها وصدودها  
 بعود ثمام ما تأوّد عودها

وقال الحارثي في وصف آصار النحول :

سلبت عظامي لحمها فتركتهما  
 وأخليتهما من مخها فكأنها  
 إذا سمعت باسم الفراق تفعمت  
 خذي بيدي ثم ارفعي الثوب تنظري  
 فما حيلتي إن لم تكن لك رحمة  
 مجردة تضحى ليدك وتخصر  
 أنابيب في أجوافها الريح تصفر  
 مفاصلها من هول ما تنتظر  
 بي الضر إلا أنني أتستر  
 علي ولا لي عنك صبر فأصبر

ويقول ابن الأحنف :

انظر إلى جسدٍ أضر به الهوى  
 لولا تقلب طرفه دفنوه

وتابعه المتنبي فقال :

كفى بجسمي نحولاً انتي رجل لولا غطاطي لياك لم ترني  
وفي مثل هذا المعنى يقول صاحب البدائع وقد ارسل صورته إلى بعض  
احبابه :

سكنت إلى النوى ونسيت صباً      نجيلاً كاد يقتله الحنين  
فلما لم يجد في الحب صبراً      ولم ترحم جوانحه الشجون  
تفاني في النحول فلو تبدى      لما فطنت لخطرته العيون  
وما هو كالخيال أذاك يسري      مخافة أن تُظنَّ به الظنون  
فأكرم نزلهُ وارحم ضناه      فان فؤادك الحرم الامين

وقال بعض الشعراء :

إن الذي أبقيت من جسمه      يا متلف الصبِّ ولم يشعر  
صبايةً لو أنها دمة      تجول في عينيك لم تقطر<sup>(١)</sup>



(١) الصباية بالضم هي البقية الطفيفة من الشيء .

## أماي الهبين

والهبين اماي كثيرة ، لو تنفع الاماي ، فمنهم من يتمنى الكأس من يد  
جميل ، بين ندمان يعاطونه اطايب الحديث ، كما قال العطوي :  
وكم قالوا تمنى فقلت كأس يطوف بها قضيب من كتيب  
وندمان تساقطني حديثا كلحظ الحب او غص الرقيب  
ولها لأمنية عزيزة المنال !

ومنهم من يسامر الاماي حتى ليحسب محبوبه بين يديه ، كما قال ابن الزيات :  
يا داني الدار في الاماي ونازح الدار في العيان  
ذكرك داني وانت ناء فأنت ناء وانت داني  
نفسك موصولة بنفسي وانت كالنجم من مكاني  
لي فكرت فيك معجبات في اللفظ صفر من المعاني  
تجري ضروب من التمني في كل يوم على لساني  
اقول حتى كأن عيني تراك من حيث لا تراني  
ويتمنى ابن الاحنف لو ينام ليرى طيف محبوبته ، ويقول :

مجلس ينسب السرور اليه بمحب ريحانه ذكراك  
كلما دارت الزجاجة زادة اشتياقا وحرقة فبكاك  
لم ينلك الرجاء ان تحضريني وتجاقت أمنيتي عن سواك  
فتمنيت ان يغشيني الا ناعسا لعل عيني تراك  
وربما تمنى المحب لو أعير سلوة من قلب حبيبته ، كما قال البحتري :  
وددت وهل نفس امرى معلومة إذا هي لم تعط الهوى من ودادها  
لو ان سليمى اسجحت او لو انه أعير فؤادي سلوة من فؤادها  
وما اظرف النشوة التي تمنهاها البحتري حين قال :

هل لي سبيلٌ الى الظهران من حلب      ونشوة بين ذاك الورد والاسر  
امدٌ كفي لأخذ الكأس من رشاً      وحاجتي كلها في حامل الكأس  
بقرب انفاسه اشفي الغليل إذا      دنا فقرتها من حرّ انفاسي

ومن غريب التمني ما جاء في رائية أبي صخر الهذلي ، فقد تمنى ان يجتمع  
بحبيته فوق امواج البحر ، ومن دونها اللجج الخضر والاهوال ، واليك أروع  
هذه القصيدة البديعة :

للي بذات الجيش دارٌ عرفتها      واخرى بذات البين آياتها سطرُ  
كأنما مثلاً لم يتغيرا      وقد مرّ للدارين من بعدنا عصر  
وقفت برسمها فميّ جواها      فقلت وعيني دمعها سربٌ مر  
ألا أيها الركب الخبون هل لكم      بساكن اجزاع الحمى بعدنا خبرُ  
فقالوا طويئذاك ليلافان يكن      به بعض من تهوى فما شعر السفرُ



أما والذي أبكى واضحك والذي      أمات واحيا والذي امره الأمرُ  
لقد كنت آتيا وفي النفس هجرها      بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر  
فما هو إلا أن أراها فجاءة      فأبتهت لا 'عرف' لدي ولا 'نكر'  
وانسى الذي قد كنت فيه هجرتها      كما قد 'تنسى' لبّ شاربها الخمرُ  
وما تركت لي من شذاً اهتدي به      ولا ضلّج إلا وفي عظمها وقر  
وقد تركتني احسد الوحش أن أرى      اليقين منها لا يروعها الذئعرُ  
ويعنني من بعض إنكار ظلمها      إذا ظلمت يوماً وان كان لي عذر  
مخافةً اني قد علمت لئن بدا      لي الهجر منها ما على هجرها صبر  
واني لا ادري إذا النفس اشرفت      على هجرها ما يبلغنّ بي الهجر  
تكاد يدي كندی إذا ما لمستها      وينبت في اطرافها الورق النضر  
واني لتعروني لذكراك هيزةً      كما انتفض العصفور بلله القطرُ  
تمنيت من حيي 'عليّة' اننا      على رَمثٍ في البحر ليس لنا وفر  
على دائمي لا يعبر الفلك موجهُ      ومن دوننا الاهوال واللجج الخضرُ



فنقضى هم النفس في غير رقية  
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها  
فيا حبسها زدني جوً كل ليلة  
هجرتك حتى قلت لا يعرف القلي  
صدقت انا الصب المصاب الذي به  
فيا حبذا الاحياء ما دمت فيهم  
واليك شتى الاماني في قول جميل :

جزتك الجوازي يا بئين ملامه  
ألا ليت شعري هل أبين ليلة  
فقد تلقي الاهواء من بعد ياسة  
ويحسب نسوان من الجهل انني  
فأقسم طرفي بينهن سوية  
فليت وشاة الناس بيني وبينها  
وليتهم في كل نمسى وشارق  
إذا جثتها يوماً من الدهر زائراً  
يصد ويغضى عن هواي ويحتني  
فأصرمها خوفاً كأنني 'مجانب'  
يقولون جاهداً يا جميل بقزوة  
لكل حديث بينهن بشاشة

وغاية الغايات في هذا الباب قول أبي بكر بن عبد الرحمن الزهري :

ولما نزلنا منزلاً طله الندى  
أجد لنا طيب المكان وحسنه  
أنيقاً ويستأن من النور حالياً  
مني فتمنينا فكنت الامانيا

## المهية والخضوع

والشعراء يهابون الحسن ، ويضلون سبيل الرشدين يراجعون أرباب  
وانظر قول أبي فراس :

أراميتي كل السهام مُصيبةٌ      وانت لي الرامي فكلي مقاتلُ  
وإنني لمقدامٌ وعندك هائبٌ      وفي الحيّ سحبانٌ وعندك باقل  
يضلُّ عليّ القول أن زرت دارها      ويعزب عني وجه ما أنا فاعل  
وحجتها العليا على كل حالةٍ      فباطلها حقٌ وحقيّ باطل

وما ارق قوله في عكس هذا المعنى :

وَمُغْضٍ لِلْمَهَابَةِ عَنْ جَوَابِي      وَإِنْ لِسَانَهُ الْمَغْضِبُ الصَّقِيلُ  
أُطْلَتِ عَتَابُهُ عَتْنَا وَظَلْمًا      فَدَمَعَتْ ثُمَّ قَالَ : كَمَا تَقُولُ أ

ومن جيد الشعر في هيبة الحسن ، قول الحسن بن وهب :

أقول وقد حاولت تقويل كفها      وبني رعدةً أهنئ منها وأسكنُ  
لِيَهْنِكَ أَنِّي أَشْجِعُ النَّاسَ كُلَّهُم      لَدَى الْحَرْبِ إِلَّا أَنِّي عَنْكَ أَجِبُ  
وقول بعض الأعراب :

أهابك إجلالاً وما بك قدرةٌ      عليّ ولكن ملء عينٍ -  
وما هجرتك النفس أنك عندها      قليلٌ ولكن قلّ منك نه  
وفي الخضوع للحبيب يقول الشريف :

كَمْ ذَمِيلٍ إِلَيْكُمْ وَوَجِيفٍ      وَصُدُودٍ عَنَّا لَمْ وَصُدُوفٍ (١)

---

(١) الذميل والوجيف من ضروب السير

وغرامكم لو ان غراماً جرّ نفعاً للواجد المشغوف  
 صبوة ثم عفة ما أضر الخ بّ في كل خلوة بالعفيف  
 هجرونا ولم يلاموا وواصلنا على مؤلم من التعنيف  
 وطلبنا الوفاء حتى إذا عزّ رضينا بالمطل والتسويق  
 كيف يرجوا الكثير من راضه الشوق إلى ان رضي ببذل الطفيف

وانظر قول ابن الرومي :

أضعتني فرعيتي وخفتني فوفيت  
 أطعتني في الأعداء وكلهم قد عصيت  
 فكيف أصبحت غضبي لما رضاك أتيت



## الرضى بالقليل

وقد يقنع المحب وهو راغم ، فيرضى بالوعد ، ويفرح بالأمان ، وهي كواذب  
لأن الوصل عزيز المنال ، فمن ذلك قول العباس بن الأحنف :

كفى حَزَنًا أي وفوزاً ببلدة      مقيان في غير اجتماع من الشمل  
أما والذي ناجى من الطُّور عبده      وأنزل فرقاناً وأوحى إلى النحل  
لقد ولدت حواء منكِ بليةً      عليّ أقاسيها وخبلًا من الخبل  
أرى الناس لا يرضى ذوو العشق منهم      بشيء سوى حُسن الموااة والبذل  
واني ليرضيني الذي ليس بالرضى      وتقنع نفسي بالمواعيد والمطل

وفي هذا المعنى يقول الشريف :

لك الله هل بعد الصدود تعطفُ      وهل بعد ريمان البعاد تدانِ  
وما غرضي أني أسومك خُطةً      كفاني قليلٌ من رضاك كفاني

وقال بعض الظرفاء :

أنا راضٍ منكم بأيسر شيء      يرتضيه من عاشقٍ معشوق  
بسلام على الطريق إذا ما      جمعنا بالاتفاق الطريق

وقال توبة الحميري في ليلي الاخيلية :

وهل تبكين ليلى إذا مت قبلها      وقام على قبري النساء النوائحُ  
كما لو اصاب الموت ليلى بكيتها      وجاد لها دمعٌ من العين سافح  
وأغبطُ من ليلى بما لا أناله      بلى كلُّ ما قرّت به العين صالح

وقد كثر القليل في قول ابن الطائية :

أليس قليلاً نظرةً إن نظرتها      اليك ؟ وكلا ليس منك قليلٌ

وجاراه في هذا المعنى من قال :

إن ما قلّ منك يكثر عندي وكثيرٌ ممن تحبُّ القليلُ

وأبرع الشعر في هذا المعنى قول جميل :

واني لأرضى من بشنة بالذي لو أبصره الواشي لقرّت بلائله  
بلا ، وبأن لا أستطيع ، وبالمنى ، وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضي أواخره لا نلتقي وأوائله

وفي مقابل هذا يقول ابن الفارض :

وإذا اكتفى غيري بطيف خياله فأنا الذي يوصاله لا أكتفي  
وأبدع منه قول ابن الرومي :

أعانقه والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد العناق تدان  
وألثم فاه كي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهيمان  
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى ليرويه ما قلّم الشفتان  
كأن فؤادى ليس يشفي غليله سوى أن يرى الروحين يتزجان



## شفاء الحب

وقد يمرض الحب ، فيفتن<sup>١</sup> الناس في وصف دوائه ، على انه لا يبرأ الا بقرب  
من يحب . وانظر قول عروة بن خزام وقد رأى عفراء :

وما هي إلا ان أراها فجاءة فأبتهت حتى ما أكاد أجيب  
وأصدف عن رأيي الذي كنت أرثي  
وأنسى الذي أزمعت حين تغيب<sup>٢</sup>  
ويظهر قلبي عذرها ويعينها علي<sup>٣</sup> فمالي في الفؤاد نصيب  
وقد علمت نفسي مكان شفاءها

قريباً وهل ما لا يُنال قريب  
فواكبدي أمست رفاتاً كأنما يُلذعها بالموقدات طيب  
عشية لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب  
لئن كان برد الماء حرّاً ناصدياً إليّ حبيباً إنها لحبيب

وفي هذا المعنى يقول بعض الأعراب :

أيا زينة الدنيا التي لا ينالها<sup>٤</sup> مناي ولا يبدو لقلبي صريعها  
بمعني قذاة من هواك لو أنها  
تداوى<sup>٥</sup> بن أهوى لصح<sup>٦</sup> سقيمها  
وُبرء قذاة العين ان لم يكن لها  
طبيب يداوي نظرة تستديمها  
فما صبرت عن ذكرك النفس ساعة.

وإن كنت أحياناً كثيراً ألومها.

ومن بديع الشعر في هذا الباب قول ابي العتاهية :

قل لمن لست أُسمِّي      بأبي أنت وامي  
بأبي انت لقد اصبحت      من أكبر همي  
ولقد قلت لأهلي      إذ اذاب الحب لمي  
وارادوا لي طيباً      فاكتفوا مني بعلمي  
من يكن يحبل ما أأ      قى فان الحب سقمي  
ان روحي لبغدا      دوفي الكوفة جسمي



## القلب الخافق

نذكر هنا ألواناً من تصور الشعراء لحفوق القلب ، فمنهم من يشبهه بتنزي.  
الكرة ، كما قال بشار :

بروَّعه السَّرار بكل شيء      مخافة ان يكون به السرارُ  
كَانَ فؤاده 'كرة' تنزّي      حذار البين لو نفع الحذارُ

ومنهم من يشبهه بالوشاح القليق ، فوق الحصر الدقيق ، كقول مسلم بن الوليد :

أزكى من المسك أنفاساً وبهجتها      أرق ديباجة من رقة النفس  
كَأَن قَلبي وشاحها إذا خطرت      وقلبيها قلبها في الصمت والحرس<sup>(١)</sup>  
تجري محبتها في قلب عاشقها      تجري السلامة في أعضاء منتكس

وابن الاحنف يشبه القلب الخافق بيد القينة الهوجاء تضرب بالدف ، ويقول :

يبين لساني عن فؤادي وربما      أسرّ لساني ما يبوح به طرفي  
أعينك أن تشقى بقتلي فأنني      أخاف عليك الله أن سميتني حتفي  
إذا القلب، أو ما ان يطير صباة      ضربت له صدري وألزمته كفي.  
كَأَن جِناحيه إذا هاج شوقه      يد اقيئة هوجاء تضرب بالدف<sup>٢</sup>

ومنهم من يشبهه بجناح الطير حين ينتفض ، كقول احد الاعراب :

ألا بآي من ليس والله ناعمي      بنيل ومن قلبي على النأي ذاكره  
ومن كبدي تهفو اذا ذكر اسمه      كهفو جناح ينفض الطل<sup>٣</sup> طائرهم

وقد وضع هذا المعنى في قول نصيب :

---

(١) القلب بضم القاف هو السوار



كأن القلب ليلة قيل يُغدى  
 قطاة عزها شرك فباتت  
 لها فرخان قد تركا بوكر  
 إذا سمعا هبوب الريح نصّا  
 فلا في الليل نالت ما ترجي  
 بلبلى العامرية أو يراح  
 تجاذبه وقد علق الجناح  
 فعشها تُصفقه الرياح  
 وقد أودى به القدر الممتاح<sup>(١)</sup>  
 ولا في الصبح كان لها يراح

وابن ميادة يذكر أن قلبه أمسى وكان يدأ خبثت به ، أي قبضت عليه  
 وسامته العذاب ، ويقول :

كأن فؤادي في يدٍ ضبثت به  
 وأشفق من وشك الفراق وانني  
 فوالله ما أدري أيغلبني الهوى  
 فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى  
 محاذرة أن يقضب الحبل قاضيه  
 أظن لعمول عليه قراكبه  
 إذا جدّ جدّ البين أم أنا غالبه  
 فمثل الذي لا قيت يغلب صاحبه



(١) نص الطائر م بالتهوض

## مثال الحبيب

ومن العشاق من يرى مثال حبيبته كلما هبّ من نومه ، أو أوى إلى فراشه كالذي يقول :

آخر شيء أنت في كل جمعة      وأول شيء أنت عند هبوبي  
مزيدك عندي ان أفيك من الردى      وودّك كما المزن غير مشوب

والمنى تمثل الحبيب في قول راشد بن أرشد :

تجبرت في أمري واني لواقف      أجبل وجوه الرأي فيك وما ادري  
أأعزم عزم اليأس فالموت راحة      أو أقنع بالإعراض والنظر الشزور  
ولاني وان اعرضت عنك لمنطوي      على حرق بين الجوانب والصدر  
اذا هاج شوقي مثلتك لي المنى      فالقائك ما بيني وبينك في السر  
فمن ذلك لم أصبر ولي فيك حيلة      ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر  
تصبرت مغلوباً واني لموجع      كما يصبر الظمآن في البلد القفر

وراشد بن أرشد هذا هو الذي يقول :

ضحكت ولوتدري ما بي من الهوى      بكيت لحزون الفؤاد كئيب  
لمن لم ترح عيناه من فيض عبدة      ولا قلبه من زفرة ونحيب  
لمستأنس بالهم في دار وحشة      غريب الهوى باك لكل غريب  
ألا بأبي العيش الذي بان وانقضى      وما كان من حسن هناك وطيب  
وترداد مستور الأحاديث بيننا      على غفلة من كاشح ورقيب  
ليالي يدعونا الصبا فتجيبه      ونأخذ من لذاته بنصيب

الى ان جرى صرف الحوادث في الهوى فبدل منا مشهد بمغيب

وقد ضاع شعر هذا الشاعر المجيد ، وحرّ منامنه صاحب زهر الآداب حين قال  
« وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصنت الكتاب عن ذكره » وهذه  
الصيانة فقدت الآداب شعر هذا الشاعر ، وكم تمنى ان لا يخلط المؤلفون بين  
الادب والاخلاق !

وأجود ما قيل في مثال الحبيب قول كثير :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما 'تمثل' لي ليلى بكل سبيل



## أهوال الصدود

ولقد أطال الشعراء في شكوى الصد ، وما يقاسون فيه من أهوال ، فمن ذلك قول الشريف :

وبين ذوائب العقيدات ظيُّ قصير الخطو في المرط المذالِ  
ربيبٌ إن أريغ إلى حديث نوار إن أريد إلى وصال  
فهل لي والمطامع مُرديات دنوٌ من لمى ذاك الغزال  
لقد سلبت ظباء الدار لبّي ألا ما للظباء بها ومالي  
تنقصني بأيام التلاقي معاجلي بأيام الزيال  
تحيفني الصدود وكنت دهرأ أروّع بالصدود فلا أبالي  
وكيف أفتق لا جسدي بناءً عن البلوى ولا قلبي بسالي  
يرغمني اليك الشوق حتى اميلَ من اليمين إلى الشمال  
كما مال المعافر عاودته حيا الكأس حالا بعد حال  
ويأخذني لذكركم ارتياحٌ كما نشط الأسير من العقال

وعبد الله بن مصعب يأسى على أن لم يعدّه احبابه في مرضه ، مع أنه يعود  
كلبهم اذا مرض ! ولهذا لقتب ( عائد الكلب ) حين قال :

مالي مرضت فلم يعدني عائدٌ منكم ويمرض كلبكم فأعودُ  
وأشد من مرضي عليّ صدودكم وصدود عبدكم عليّ شديد

ويرى أبو النواس ان قرب الدار لا ينفع مع الصدود ، ويقول :

لقد عاجلت قلبي جنانٌ بهجرها وقد كان يكفيني بذاك وعيدُ  
رأيت تداني الدار ليس ينافع اذا كان ما بين القلوب بعيد

وابن الاخنف يترك العتب على الصدا ، لئلا يبرز بصدر جديد ، ويقول :

تركت صدودها وصبرت نفسي بطول تجرع الغيظ الشديد  
مخافة ان تجدد لي صدوداً وكنت حديث عهد بالصدود  
وقد وضع هذا المعنى من قبل في قول ابي صخر الهذلي :

وينبغي من بعض إنكاري ظلمها إذا ظلمت يوماً وان كان لي عذر  
مخافة أنني قد علمت لئن بدا لي الهجر منها ما على هجرها صبر  
والبحتري يمزج الشكوى بالعتاب في قوله :

ظلمتني تجنباً وصدوداً	غير مرتاعة الجنان لظلمي
ويسير عند القتول اذا ما	أثمت في ان تبوء بإثمي
أجد النار تستعار من التنا	رويشو <sup>(١)</sup> من سقم عينيك سقمي
لعب ما أتيت من ذلك الصدا	فترضاه أم حقيقة عزم
وبحق ان السيوف لتنبو	تارة والعيون بالحفظ تدمي

ويروقني الندم على الصدود في قول صاحب البدائع :

لقد صددتكم كما صددتكم فهل ندمتم كما ندمنا

---

(١) يقال : نشأ ينشأ ونشأ ينشأ : أي قوي وزاد .

## التلفت الى معالم الوجد

ومن أوجع ما تحدث به المتيمون ، تلفتهم الى معاهد الحب : عند الوداع ، وبعد الفراق .

قال بعض الرواة : مررت بحمي الربذة فاذا صبيان يتقاسمون <sup>(١)</sup> في الماء ، وشاب جميل الوجه ملوَّح الجسم قاعد ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام . وقال : من أين وضع الراكب ؟ قلت من الحمى ا قال ومتى عهدك به ؟ قلت راحاً . قال وأين كان مبيتك ؟ قلت : أدنى هذه المشار <sup>(٢)</sup> . فألقى نفسه على ظهره ، وتنفس الصعداء . فقلت نفساً <sup>(٣)</sup> حجاب قلبه ، وأنشأ يقول :

سقى يلدأ أمست سليمى تحله	من المزن ما تُروى به وتسم
وان لم اكن من قاطنيه فانه	يحلّ به شخص عليّ كريم
ألا حبذا من ليس يعدل قربه	لديّ وان شط المزار نعيم
ومن لامني فيه حبيب وصاحب	فرد بغيظ صاحب وحميم
تم سكت سكتة كالغنى عليه ، فصحت بالأصيبة ، فأتوا بقاء فصبته على وجهه فأفاق وأنشأ يقول :	

اذالصب الغريب رأى خشوعي	وانقامي تزين بالخشوع
ولي عينٌ أضرت بها التفاني	الى الاجزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات تأنس فيك نفسي	كا أنس الوحيد الى الجميع

والشاهد في الايات الاخيرة

---

(١) يتقاسمون : يتغطون . يقال قمسته في الماء غططه فيه (٢) المشار منابت العرفج  
(٣) نفساً : تشقق وانصدع

وما أوجع تلفت القلب بعد المين في قول الشريف :

تلفت حتى لم يبين من بلادكم	دخان ولا من نارهن وقسود <sup>١</sup>
وان التفات القلب من بعد طرفه	طوال الليالي نحوكم ليزيد
ولما تدانى البين قال لي الهوى	رويداً وقال القلب اين تريد
أقطع ان تساو على البعد والنوى	وانت على قرب المزار عميد
ولو قال لي الغادون ما انت مشتة	غداة جزعنا الرمل قلت أعود <sup>(١)</sup>
أصبر والعساء بيني وبينكم	وأعلام خبت ، انني لجليد !

وانظر قوله من كلمة ثانية :

ترحلت عنكم لي امامي نظرة	وعشر <sup>٢</sup> وعشر نحوكم من روائيا
ومن حذر لا أسأل الركب عنكم	واعلاق وجدي باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب	فلا بد ان يلقي بشيراً وناعيا

---

(١) جزع من باب منع : تقال جزع الارض قطعها

## الصد والنوى

يأسى العشاق للصد ، حتى إذا راعتهم مرارة النوى ، علموا ان الصد كان  
حلو المذاق . وفي هذا المعنى يقول ابن الخطيب :

كفى حزناً أنى أبيت معذباً	بنار هموم ليس يخبو سعيها
وان عدوي لا يُراع وانني	أبيت سخين العين وهو قريرها
والى لرهن الشوق والشمل جامع	فكيف إذا حثّ الحداة اميرها
وما زلت من اسر القطيعة باكياً	فمن لي غداة البين أنى اسيرها
وكنت ارى ان الصدود منية	يكون مع الليل التام حضورها
فلما قضى التفريق بالبعد بيننا	وجدت الليالي كان حلواً مريرها
هوى ونوى يستقبح الصبر فيها	وحسبك من حال يُذمّ صبورها

وقد اصاب في تشبيه النوى بعد الهجر ، بالجرح بعد الجرح حين قال :

أحنّ الى سقمي لملك عائدي	ومن كلفٍ أنى أحن الى السقم
وحتام استشفي من الداء ما به	سقامي وأستروي من الدمع ما يُظمي
فراق اتى في إثر هجر وما أذى	بأوجع من كلمٍ اصاب على كلم

وحنين الحب الى سقمه ، املا في ان يعودّه حبيبته ، يذكرنا بقول كثير :

يود بأن يُسمي سقياً لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تراسله



## القريب والبعيد

هو الحبيب الذي يجاورك ، او يساكنك ، ثم لا تملك وصله ، ولا حديثه .  
وقد تزوره بلمح العين . كما قال ابن الدمينه :

ألا 'حُب' بالبيت الذي أنت هاجرُهُ      وانت بتلحاح من الطرف زائرُهُ  
فيا لك من بيتٍ لعيني 'مُعجبٍ      واحسنُ في عيني من البيت عامرُهُ  
أصدُّ حياءً أن يلجَّ بي الهوى      وفيك المنى لولا عدوُّ أحاذرُهُ

وفي هذا المعنى يقول ابراهيم بن العباس :

تدانت بقومٍ عن ثناء زيارةٍ      وشطَّ بليلى عن دُتُو مزارها  
وإن مقياتٍ بمنعرج اللوى      لأقرب من ليلى وهاتيك دارها  
والشعراء يشبهون الحبيب المتنوع في قربه ، بالماء يُمنع من وروده الظمان ،  
فنجده منهم من يقول :

إني وإياك كالصادي رأى نهلاً      ودونه هوةٌ يخشى بها التلغا  
رأى بعيني ماءً عزٍّ موردهُ      وليس يملك دون الماء مُنصرفا  
ومن يقول :

وإني على هيجران بيتك كالذي      رأى نهلاً ريًا وليس بناهلٍ  
يرى برْد ماءٍ ذيد عنه وروضةٍ      برود الضعى فينانةٍ بالأصائل  
وقد صور جميل هذا المعنى حين قال :

وما صادياتٌ 'حُمنَ يوماً' وليلةٍ      على الماء يخشين العِصي حواني  
حوائم لم يصدرن عنه لوجهٍ      ولا هنَّ من برد الحياض دواني  
يَرَيْنَ حباب الماء والموت دونهُ      فهنَّ لأصوات السُّقاة! رواني  
بأكثر مني غلةً وصبابةً      اليك ولكنَّ العدوَّ عراني

وقال ابو حية النميري او العباس بن الاحنف :

كفى حزنًا أني أرى الماء باديًا      لعيني ولكن لا سبيل إلى الورْدِ  
وما كنت أخشى ان تكون منيقي      بكفٍّ أعز الناس كلهم عندي

## حلاوة الملام

ومن المحبين من يستعذب اللوم ، لذكر الحبيب ، كما قال أبو نواس :  
أحب اللوم فيها ليس إلا لترداد اسمها فيما ألام  
ويدخل حبها في كل قلب مداخل لا تغفلها المدام

وفي هذا المعنى يقول محمد بن أبي أمية :  
وحدثني عن مجلس كنت زينه رسول أمين والنساء شهود  
فقلت له رد الحديث الذي مضى وذكرك من بين الحديث أريد  
وقد ظرف البها زهير حين قدم رضى الحبيب على رضا العذول ، وقال :

يا من يهدد بالصدو	د نعم تقول وتفعل
قد صبح عذرك في الهوى	لكنني أتعلل
قل للعذول لقد أطلا	ت لمن تلوم وتعتدل
عائبت من لا يرعوي	وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من	غضب الحبيب وأسهل

وما أبدع قول أبي فراس :  
أساء فزادته الأساءة حظوة حبيب على ما كان منه حبيب  
يعد علي العاذلون ذنوبه ومن أين للوجه المليح ذنوب ؟  
والرقيب أخو اللائم في تنغيص حياة العشاق ، ومن طريف الشعر في الالم  
لقرب الرقيب قول ابن المعتز :

وآبلاني في محضر ومغيب  
لم تحرد ماء وجه العين إلا  
من حبيب مني بعيد قريب  
شرقت قبل ربها برقيب  
وقوله :

قد دنت الشمس للغيبِ      وحن شوقي الى الحبيبِ  
طوبى لمن عاش عشر يومٍ      له حبيبٌ بلا رقيبِ

وما اظرف من يقول :

لسهم الحب جرحٌ في فؤادي      وذاك الجرح من عين الرقيبِ  
يوحسُّ ناظره بنا ويحكي      مكان الكاتبين من الذنوبِ  
فلو سقط الرقيب من الثريا      لصبَّ على حبٍّ او حبيبِ

وانظر كيف ضرب المثل بغفلة الرقيب في قول احد الظرفاء :  
يسقيك من كفه مداماً      الذن من غفلة الرقيبِ  
كانها إذ صفت ورتت      شكوى حبٍّ الى حبيبِ

وقد كلف سعيد الوراق بغلام من الرهبان فأصبحوا وكلمهم رقباء ، وفيهم  
يقول :

بريك يا حمامة دير زكتي      وبالنجيل عندك والصليبِ  
قيني وتحملي مني سلاماً      إلى قمرٍ على عُصنٍ رطيبِ  
حماه جماعة الرهبان عني      فقلبي ما يقرُّ من الوجيبِ  
وقالوا رابنا إلام سعدٍ      ولا والله ما أنا بالمريبِ  
وقولي سعدك المسكين يشكو      لهيب جوىٍ آخرٍ من اللهبِ  
فصليه بنظرة لك من بعيدٍ      إذا ما كنت تمنع من قريبِ  
وإن أأمت فأكتب حول قبوري      حبّ مات من هجر الحبيبِ  
رقيبٌ واحدٌ تنفيس عيشٍ      فكيف بمن له ألفا رقيب ؟

انه لا بد مقتول ، كما قتل صاحب هذه الابيات !!

## رؤية الضمير

ومن المحبين من يرى محبوبه في ضميره ، كلما اشتاق إليه ، كما قال الحكم بن قنبرة :

ان كنت لست معي فالذكر منك معي      يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري  
العين تبصر من تهوى وتفقدته      وناظر القلب لا يخلو من النظر  
وقال آخر :

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى      لئن غبت عن عيني ما غبت عن قلبي  
تزينيك عين الوهم حتى كأنني      أناجيك من قرب وان لم تكن قربي  
وقال أبو عثمان الناجم :

لئن كان من عيني أحمد غائباً      فما هو عن عين الضمير بغائب  
له صورة في القلب لم يقصها النوى      ولم تتخطفها أكف النوائب  
إذا ساءني يوماً شحوط مزاره      وضافت بقلبي في نواه مذاهي  
عطف على شخص له غير تازج      محله بين الحشا والثرائب  
ويقرب من هذا المعنى قول الآخر في الاستعانة باسم الحبيب :

وليل وصلنا بين قطريه بالشمرى      وقد جد شوق مطمع في وصالك  
أطلت علينا من دجاء حنادس      أعدن الطريق النهج وعر المسالك  
فناديت يا أسماء باسمك فأنجلت      واسفر منها كل أسود حالك  
بنا أنت من هادي نجونا بذكره      وقد نشبت فينا أكف المهالك  
منحتك اخلاصي واصفيتك الهوى      وإن كنت لما تخطريني ببالك  
وفي مثل هذا المعنى يقول الموصلي :

صب يحث مطاياه بذكركم      وليس ينساكم إن حل أو سارا  
لو يستطيع طوى الأيام فحوكم      حتى يبيع بعمر القرب أعمارا  
يرجو النجاة من البلوى بقربكم      والقرب يلهب في احشائه النارا

## القلب والكبد

موطن الحب هو القلب ، في حديث الشعراء ، وقد اثبت اخيراً احد الاطباء  
الالمان ان موطن الحب هو الكبد ، وتريد ان نذكر هنا طرفاً من حديث العرب  
عن الكبد ، وقرار الحب فيه ، بما يماثل هذا الرأي الجديد .. قال بعض  
الاعراب :

فيا كبداً يحمي عليها وانها      مخافة هيضات النوى لحفوق  
أقام فريق من أناس يودهم      بذات الغضا قلبي وبان فريق  
بحاجة محزون يظل قلبه      رهين بيضات الحجال صديق

وسجى ذكر القلب والكبد في كلمة صردر حين قال :

لا الهوى بعدكم مناخ ولا ما      في اللوى إذ هجرتموه يورد  
والفؤاد الذي عهدتم جوحاً      راضه طول جوركم والتعدي  
ما تريدون من دلائل شوقي      غير هذا الذي أجن وأبدي  
كبد كلما وضعت عليه      راحتي قال انت قادح زندي  
وجفون جرين مدأ وماء الب      بحر يرتاح بين جزر ومد

وكذلك جمع بينهما البعاري حين قال :

وما كبدي بالمستطيمة للأذى      فأسلو ولا قلبي كثير التقلب

وابن الأحنف حين قال :

ما للكوم التي بالقلب من امي      فاصبر على اليأس يا مستقبل اليأس  
ما اسمع الناس في عيني واقبحهم      إذا نظرت فلم ابصر في الناس  
حتى متى كبدي حرى معطشة      ولا يلين لشيء قلبك القاسي  
ياموري الزند قد اعيت قوادحه      اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس

## بكاء الملاح

نذكر للقارىء شذرات من الشعر في بكاء الملاح ، وما أغزر الدمع في بكاء الملاح ، حين يظفر بحسنه التراب :

قال ابن عبد ربه : كان لمعلّى الطائي جارية يقال لها ( وصف ) وكانت أديبة شاعرة ، فأخبر محمد بن وضّاح قال : أدركت معلّى الطائي بمصر وأعطيت بجاريته وصف أربعة آلاف دينار قباعها . فلما دخل عليها قالت له : بعثني يا معلّى ؟ قال نعم . فقالت : والله لو ملكت منك مثل ما تملك مني ما يبتك بالدنيا وما فيها !! فرد الدنانير واستقال صاحبه ثم أصيب بها إلى ثمانية أيام . فقال يرثيها :

ياموتُ كيف سلبتني وصفا	قدّمتها وتركتني خلفا
هلاّ ذهب بنا معاً فلقد	ظفرت يدك فسُمتني خسفا
وأخذت شقّ النفس من بدني	فقبرته وتركت لي النصفا
فعليك بالباقي بلا أجل	فالموت بعد وفاتها أعفى
ياموت ما أبقيت لي أحداً	لما رفعت إلى البيلى وصفا
هلاّ رحمت شباب غانية	رياً العظام وشعرها الوحفا <sup>(١)</sup>
ورحمت عينيّ ظبية جعلت	بين الرياض تناظرُ الحشفا
تقضي إذا انتصفت مرابضه	وتظلّ ترعاه إذا أغفى
فاذا مشى اختلفت قوائمه	وقت الرضاع فينطوي ضعفا
متعيراً في المشي مُرتعشاً	يخطو فيضرب ظلفه الظلفا
فكأنها ( وصف ) إذا جعلت	نحوي تحيرٌ محاجراً وطفا <sup>(٢)</sup>

(١) الوحف : الاسود

(٢) وطف جمع اوطف ووظفاه وهو الماء الكثير أو الدمع : توصف به السحب والميرون .

يا موت انت كذا لكل اخي      إلف يصون ببره الإلغا  
خلفتني فرداً وبنيت بها      ما كنت قبلك حاملاً وكفا<sup>(١)</sup>  
أسكنتها في قمر مظلمة      بيتاً يضافح ثربه السقفا  
بيتاً اذا ما زاره أحد      عصفت به أيدي البلى عصفا  
لا نلتقي أبداً معاينة      حتى نقوم لربنا صفا  
لبست ثياب الخنف جارية      قد كنت ألبس دونها الخنفا  
فكانها والنفس زاهقة      غصن من الريحان قد جفا  
يا قبر أبقِ على محاسنها      فلقد حوت البر والظرفا

وكتب أبو نواس على قبر جارية هذه الأبيات :

أقول لقبر زرقه مثلما      سقى الله برّد العفو صاحبة القبر  
لقد غيبوا تحت الثرى قمر الدجى      وشمس الضحى بين الصفائح والفقير  
عجبت لعين بعدها ملت البكا      وقلب عليها يرنجي راحة الصبر  
وقال أبو تمام وقد ماتت جارية له :

جفوف البلى اسرعت في الغصن الرطب      وخطب الردى والموت ابرحت من خطب  
لقد شرقت في الشرق بالموت غادة      تبدلت منها غربة الدار بالقرب  
أقول ، وقد قالوا استراحت لموتها      من الكرب روح الموت شر من الكرب  
لها منزل تحت الثرى وعهدتها      لها منزل بين الجوانح والقلب  
وما اجل قوله من كلمة ثانية :

يقولون هل يبكي الفقى لخريفة      اذا ما أراد اعتاض عسراً مكانها  
وهل يستعويض المرء من خمس كفه      ولو صاغ من حمر اللجين بنانها

وقال ابن الرومي في بستان وكانت من المجيدات في الغناء :

ما أروع الدهر في تصرفه      بكل زين له ومفتخر  
أطار قمرية الغناء عن الأر      ض فأي القلوب لم تطير

(١) الوكف : الظلم

بستان يا حسرتا على زهره  
بستان اضحى الفؤاد في وله  
بستان ما منك لا مريء عوض  
ان لم اكن متفانقرضت فكم  
فيك من اللهو بل على ثمر  
يا نزهة السمع منه والبصر  
من البساتين لا ولا البشر  
من مودة الفؤاد في الذكر

وما ارق قوله في هذه القصيدة :

يا غضة السن يا صغيرته  
أني اختصرت الطريق يا سكني  
أبعد ما كنت باب مبتهج  
كل ذنوب الزمان مغتفر  
لله ما ضمننت حفيرتها  
اضحت من الساكني حفاثرهم  
لو علم القبر من أتيح له  
لا تحقر القبر غير محتقر  
امسيت احدى المصائب الكبرى  
الى لقاء الاكفان والخفر  
لنفس اصبحت باب معتبر  
وذنبه فيك غير مغتفر  
من حسن مرأى وطيب نخلة  
سكنى الغوالي مدهن السرر  
لا تحقر القبر غير محتقر

واحب لو تأمل القارئ ما في هذا الشعر من سمو الخيال .

وكان مرة بن عبد الله مغرمًا بفتاة من قومه يقال لها ليلى بنت زهير ،  
وتزوجت من غيره بالرغم منه ، ثم نقلت مع زوجها الى راذان وماتت هناك ،  
فقال مرة فيها كثيرًا من الشعر الموجه . كقوله :

أيا ناعمي ليلى أما كان واحد  
ويا ناعمي ليلى لجلت مصيبة  
ولا عشما الا حليفي بليّة  
فأشيت والايام فيها بوائق  
من الناس ينماها الي سواكا  
بنا فقد ليلى لا أميرت قواكا  
ولا متحق يشتري كفنا كما  
بوتكما اني احب زدا كما

وقوله .

كانك لم تفجع بشيء تعدّه  
ولم تربؤسا بعد طول غضارة  
سقى جانبي راذان والساحة التي  
ولا زال خصب حيث حلت عظامها  
ولم تصطبّر للنائبات من الدهر  
ولم ترمك الأيام من حيث لا تدري  
بها دفنوا ليلى ملث من القطر  
براذان يسقي الفيث من هطل غمر



وان لم تكلفنا عظامٌ وهامةٌ هناك واصداً بقينَ مع الصخر  
 وكان لاسحق الموصلي غلام جميل يقال له زياد ، وهو الذي يقول فيه :  
 اذا ما زيادٌ علّني ثم علني ثلاث زجاجات لمن هديرُ  
 خرجت أجراً الذيل زهواً كأنني عليك أمير المؤمنين أمير  
 ثم مات زياد هذا ، فقال اسحق يبكيه :

فقدنا زياداً بعد طول صحابةٍ فلا زال يسقي الغيثُ قبرَ زياد  
 ستبكيك كأسٌ لم تجد من يديرها وظمآن يستبطي الزجاجة صادي  
 وكان محمد بن مناذر يعشق عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي ، وكان عبد  
 المجيد هذا من اجل الفتيان وآديهم واطرفهم ، وله مع ابن مناذر حديث طويل  
 ذكره صاحب الاغانى ، ثم مات عبد المجيد بعد مرض قصير وهو في سن العشرين  
 فقال فيه ابن مناذر قصيدة طويلة تختار منها هذه القطعة الباكية :

كلُّ حيٍّ لا قى الحمام فمودي	ما لحيٍّ مؤمل من خلودٍ
لا تهاب المنون شيئاً ولا تب	قي على والدٍ ولا مولود
ولقد تترك الحوادث والايا	م وهيا في الصخرة الصيخود <sup>(١)</sup>
ولو ان الايام اخلدن حياً	لعلاء اخلدن عبد المجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه	ما على النعش من عفافٍ وجودٍ
ويجّ أيدٍ جشت عليه وايدٍ	دفنته ! ما غيبت في الصعيد !
وأرانا كالزرع يحصده الدهر	رُ فمن بين قائمٍ وحصيد
وكأنا للموت ركبٌ مخبؤ	ن. سراعاً لمنهلٍ مورود
ان عبد المجيد يوم لقولٍ	هدّ ركناً ما كان بالمهدود
هدّ ركني عبد المجيد وقد كد	تُ بركنٍ أنوء منه شديد

---

(١) الصيخود : الشديدة

وبعبد المجيد تامور نفسي  
 وبعبد المجيد ثلاث يدي اليه  
 حين تمت آدابه وتردتي  
 فسقاه ماء الشبية فاهتز  
 وكأنني ادعوه وهو قريب  
 فلئن صار لا يحيب لقد كا  
 يا فتى كان للمقامات زيناً  
 لهف نفسي ! أما أراك وما عذ  
 كان عبد المجيد سم الاعادي  
 عاد عبد المجيد رزاً وقد كا  
 'خنتك الود' لم أمت كدأ به  
 لو فدى الحي ميتاً لقدت نة  
 ولئن كنت لم أمت من جوى الحز  
 لأقيمن' ماتماً كنتجوم اللي  
 موجعات يبيكين للكبد الحر  
 ولعين مطروقة ابدأ قا  
 كلما عزك البكاء فأنفد  
 لفتى يحسن البكاء عليه  
 فبرغمي كنت المقدم قبلي  
 كنت لي عصمة وكنت سباء  
 عثرت بي بعد اتعاش جدودي<sup>(١)</sup>  
 نى وثلاث به بين الجود  
 برداء من الشباب جديد  
 اهتزاز الغصن الندي الأملود<sup>(٢)</sup>  
 حين ادعوه من مكان بعيد  
 ن سميعاً هساً اذا هو نودي  
 لا أراه في المحفل المشهود  
 لك لي ان دعوت من مردود  
 ملء عين الصديق رغم الحسود  
 ن رجاء لرب دهر كنود  
 ذلك اني عليك حق جليل  
 سلك نفسي بطارفي وتليدي  
 ن عليه لأبلفن مجهودي  
 لـ زهراً يلطمن حر الحودود  
 ي عليه وللغواد العميد<sup>(٣)</sup>  
 لـ لها الدهر لا تقرني وجودي  
 ت لعبد المجيد سجلاً فعودي  
 وفتى كان لامتداح القصيد  
 ويكرهي دليت في الملحود  
 بك تحيا ارضي ويخضر عودي

(١) تامور النفس حياتها

(٢) الاملود : الناعم الرقيق

(٣) العميد الذي صرعه الحزن

وأغرم يعقوب بن الربيع بجارية تسمى ( ملك ) ومكث في طلبها سبع سنين ، حتى رق ماله ، وجأه ، ثم ملكها ، فأقامت عنده ستة اشهر وماتت فقال يبكيها :

لله آنيةٌ فُجعتُ بها      ما كان ابعدا من الدنسر  
أتت البشارة والنعيُ معاً      يا قُربَ مأتمها من العُرسِ  
يا ملكُ ! نال الدهر فرصتهُ      فرمى فؤاداً غير محترسِ  
أبكيك ما ناحت مطوّقةٌ      تحت الظلام تنوح في الفلّسِ  
وقال فيها :

ليت شعري بأيّ ذنبٍ لملكٍ      كان هجري لقبرها واجتنائي  
الذنبِ حقدته كان منها      أم لعلني بشغلها عن عتاي  
أم لأمني لسخطها ورضاها      حين وارت وجهها في التراب  
إنما حسرتي إذا ما تذكر      ت عنائي بها وطول طيلاني  
لم أزل في الطلاب سبع سنين      أتأتّي لذلك من كل باب  
فاجتمعنا على اتفاقٍ وقدرٍ      وغنينا عن فرقةٍ باصطحاب  
اشهراً ستةً صحبتك فيها      كنّ كاللحم أو كلع السراب  
وأفاني منك النعيُ مع البش      رى فيا قرب اوبى من ذهاب  
وما أروع قوله في وصف احتضار هذه الجارية :

حقّ إذا فتر اللسانُ وأصبحت      للموت قد ذبلت ذبول النرجسِ  
وتسهلت منها محاسنُ وجهها      وعلا الأنين تحشّهُ بتنفسِ  
رجع اليقين مطامعي يأساً كما      رجع اليقين مطامع المتلّس<sup>(١)</sup>  
وقد وصف غريته من بعدها فقال :

'فُجعتُ بملكٍ وقد أينعتُ      وتمّت فأعظمُ بهامن مصيبه'

---

(١) المتلّس هو صاحب الصحيفة التي يضرب بها المثل في الحثية

فأصبحت مقرباً بعدها واضحت بجحوانٍ مُلكٍ غريبه  
أراني غريباً وإن أصبحت منازل أهلي مني قريبه  
عطفت على اختها بعدها فصادفتها ذات عقلٍ أديبه  
فأقبلتُ أبكي وتبكي معي بكاءً كئيبٍ بحزنٍ كئيبه  
وقلتُ لها مرحباً مرحباً بوجه الحبيبة أخت الحبيبه  
سأصفيك ودي حفاظاً لها فذاك الوفاء بظهر المغيبه  
أراكِ كملكٍ وإن لم تكن لملكٍ من الناس عندي ضريبه<sup>(١)</sup>

والشعر في بكاء الملاح كثير ، ولكن حب الإيجاز يحملنا على الاكتفاء بهذه  
المقدار ، وما هو بالقليل .



(١) ضريبة : شيبه

## بكاء الحلائل

واوجع ما يكون بكاء الملاح إذا كن حلائل ، والحليلة المعشوقة متاع  
عزيز ! فمن ذلك قول احد الفتيان في بكاء امرأته ، وكان بها من المفرمين :

أطأ التراب وانتِ رهن حفيرة هالت يداي على صدكِ تراهي  
اني لأغدرُ من مشي ان لم أطأ بجفون عيني ما حبيتُ جنايها

قال ابن رشيقي : ومن جيد ما رُئيَ به النساء واشجاء ، واشده تأثيراً في  
القلب ، وإثارة للحزن ، قول محمد بن عبد الملك الزيات في ام ولده :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بعيد الكرى عيناهُ تبتران  
رأى كل أمٍّ وابنها غير أمه يبيتان تحت الليل ينتحيان  
وبات وحيداً في القراش تحشه بلابل قلبٍ دائم الحفنان

يقول فيها بعد أبيات :

ألا ان سَجَلًا واحدًا قد أرقته من الدمع اوسَجَلين قد شفياني  
فلا تلحني ان بكيت فانما أداوي بهذا الدمع ما تريان  
وان مكاناً في الثرى خطُّ لحدّه لمن كان في قلبي بكل مكان  
أحق مكان بالزيارة والهوى فهل انتا إن عَجبتُ منتظران

ومن اشجى الشعر رثاء قوله في هذه القصيدة :

فهبتي عزمت الصبر عنها لانني جليدٌ فمن بالصبر لابن ثمان  
ضعيف القوى لا يعرف الاجر حسبة ولا يأتسي بالناس في الحدان  
ألا من أمتيه المنى وأعدّه لعثرة أيامي وصرف زماني  
ألا من اذا ما جئت اكرم مجلسي وان غبت عنه حاطني ورعاني

ولم أر كالأقدار كيف يصبني ولا مثل هذا الدهر كيف رماني  
ومن موجد الشعر قول امرأة شريفة ترى زوجها ولم يكن دخل بها :  
أبكىك لا للنسيم والانس بل للعمالي والرمح والفرس  
أبكى على فارس فجعت به أرملني قبل ليلة العرس  
يا فارساً بالعراء مطرحاً خاتنه قواديه مع الحرس  
ما لليتامى إذا هم سغبوا وكل عان وكل محتبس  
واني لأسف على قلة هذا النوع من الشعر في الآداب العربية ، مع انه من  
دلائل الوفاء ، لو يعلم الشعراء !



## لوعة الشوق

نمتع القارىء في هذا الباب بألوان من سحر الحديث ! عن تغفل الشوق في  
طيّبات الفؤاد . فمن ذلك قول احد الشعراء وقد اشتاق الى ارض جلق ، وتنى  
لو كحل اجفانه بترابها :

وان اصطباري عن معاهد جلق  
سقى الله ارضاً لو ظفرت بترابها  
غريب فما اجفى الفراق واجفاني  
كحلت بهامن شدة الشوق اجفاني

وقال ابو بكر بن سعادة يتشوق الى قرطبة :

اقرطبة الغراء هل لي اوبة  
سقى الجانب الغربي منك غمامة  
اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد  
لياليك اسحار وارضك روضة  
وقعق في ساحات دوحاتك الرعد  
وتريك في استنشاقه عذير ورد

واني لبيكيني قول الشريف :

ذكرت الحمى ذكر الطريد تحته  
واين الحمى لا الدار بالدار بعدهم  
سلام على الاطلال لا عن جنابة  
نشدتكم هل زال من بعد اهله  
نعم عادنني عيد الغرام ونبتت  
وطارت بقلبي نفحة غضوية  
نظرت الكتيب الايمن اليوم نظرة  
وايقظت للبرق الياني صاحباً  
أأنت معيني للقليل بنظرة  
معاذ الهوى لو كنت مثلي في الهوى  
يُزادُ ذيادةً العاشات ويُرجعُ  
ولا مَرَّعٌ بعد الاحبة مَرَّعٌ  
ولكنَّ يأساً حين لم يبق مطمعُ  
زروءٌ وهل زالت طولول واربعُ  
عليّ الجوى دارٌ بميشاء بلقعُ  
تنفسها حال من الروض ممرعُ  
تردُّ اليّ الطرف يدعى ويدمعُ  
بذات النقا يخفى مِراراً ويلمعُ  
فنبكي على تلك الليالي ونجزعُ  
إذا لدعاك الشوق من حيث تسمعُ

هناك الكرى، إني من الوجد ساهر  
 خلا لب لي إلا تماسك ساعة  
 ألا ليت شعري كل دارٍ مُشتة  
 وبرء الحشا، إني من البين موجع  
 ولا نوم لي إلا النعاس المروع  
 ألا موطنٌ يدنو بشملٍ ويمسح  
 وانظر كيف يقول :

وما حائثات يلتفتن من الصدى  
 إذا قيل هذا الماء لم يلكوا لها  
 بأظلم إلى الأحباب مني وفيهم  
 فيا صاحبي رحلي اقلا فأنني  
 ويا مُزجي التّضو الطليح عشيّة  
 وهل أنا غادٍ أنشد النبلة التي  
 إلى الماء قد موطن بالرشقان  
 معاجاً بأقرانٍ ولا بئانٍ  
 غريمٌ إذا رمت الديون لواني  
 رأيت بليلي غير ما تريانٍ  
 تراك ببطن المأزمين تراني  
 بها عرّضاً ذاك الغزال رماني  
 وانظر كيف يستمطر الدمع حين يقول :

خذوا نظرة مني فلاقوا بها الحمى  
 ومروا على أبيات حيّة برامة  
 وقولوا لجيرانٍ على الخيف من منى  
 ومن حل ذلك الشعب بعدي وأرشت  
 ومن ورد الماء الذي كنت وارداً  
 فوالهفي لكم لي على الخيف شهقة  
 صفا العيش من بعدي لحي على النقا  
 فياً جبل الريان إن تمرّ منهم  
 ويا قرب ما أنكرتم العهد بيننا  
 أنكرتم تسليمنا ليلة النقا  
 عشيّة جارانٍ بعينيه شادن  
 رمى مقتلي من بين سجفي غبيطه  
 فيا ليتني لم أعلّ نشراً اليكم  
 ولم أدر ما جمع وما جمرنا منى  
 ويا ويح نفسي كيف زايدت في مها  
 ونجداً وكثبات اللوى والمطاليا  
 فقولوا لديغٍ يبتغي اليوم راقيا  
 تراكم من استبدلتم بجواريا  
 لواظظه تلك الظباء الجوازيا  
 به ورعى الروض الذي كنت راعيا  
 تدوب عليها قطعة من فؤاديا  
 حلفت لهم لا أقرب الماء صافيا  
 فاني سأكسوك الدموع الجواريا  
 نسيتم وما استودعتم الود ناسيا  
 وموقفنا نرمي الجمار لياليا  
 حديث النوى حق رمى بي المراميا  
 فيا رامياً لا مسك السوء راميا  
 حراماً ولم أهبط من الأرض واديا  
 ولم ألق في اللاقين حياً يمانيا  
 بذى البان لا يُشرّين إلا غواليا



ويقول الابيوردي يصف شوقه الى حبيبته :

وأقسمُ بالبيت الرحيب فساؤه      وبالبحر المثلث والحجر والركن  
لأنتِ إلى نفسي احب من الغنى      وذكرك أحلى في فؤادي من الأمن

ويصور الحارث بن خالد شوقه الى عائشة بنت طلحة بشوق الغريق إلى  
النجاة ، ويقول :

يا أمَّ همران ما زالت وما برحتُ      بنا الصباة حتى مسنا الشفقُ  
القلب ناق اليكم كي يلاقكم      كما يتوق إلى منجاة الغرقُ

وانك لتلمس حرارة الشوق في قول العذري :

لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودتكم      لم يهوي سريعا نحوكم رأسي  
ولو بيلي تحت أطباق الثرى جسدي      لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي  
أو يقبض الله روعي صار ذكركم      روحا أعيش به ما عشت في الناس  
لولا نسيمٌ لذكراكم يُروِّحني      لعدت محترقا من حرِّ أنفاسي

والشوق يحمل ابن الدمينه على ان يمدح حبيبته ذكرها له بالمساءة ويقول :

أرى الناس يرجون الربيع وانما      ربيعي الذي ارجو نوالُ وصالك  
أرى الناس يخشون السنين وانما      سنِّي التي اخشى صروفُ احتمالك  
لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ      لقد سرَّني أني خطرت ببالك  
ليهنك إمساكي بكفي على الحشا      ورقراق عيني رهبة من زياالك

وانظر لوعة الشوق في قول احد المتيمين :

اقول لاصحابي وهم يعدلونني      ودمع جفوني دائم المعبرات  
بذكر ميني نفسي قبلوا إذادنا      خروجي من الدنيا جفوف لماقي

## راحة السلوان

ومن العشاق من يستريح إلى السلو ، ولكن أين إلى السلو السبيل ؟ فمن ذلك قول العديل بن الفرخ .

صحا عن طلاب البيض قبل مشييه	وراجع غض الطرف فهو خفيض
كأنني لم أرع الصبا ويروني	من الحيّ احوى المقلتين غضيض
دعاني له يوماً هوّى فأجابه	فؤاد إذا يلقي المراض مريض
لمستأنسات بالحديث كأنه	تهلل عُمر برقهن وميض

وقال الشريف :

هي سلوة ذهبت بكل غرام	والحب نهب تطاول الايام
ولقد نضحت من السلو وبرده	حرّ الجوى فبردت أيّ ضرام
من بعد ما أظلم الغليل جواني	وأطال من ملل الزلال أوامي
لا يدع العذال نزع صباقي	بيدي حسرت عن الغرام لثامي
قد كانت الصبوات تعصف مقودي	فالآن سوف أطيل من إجمامي
هيات يخفضني الزمان وانما	بيني وبين الذل حدّ حسامي

وظاهر هذا الشعر ان اصحابه نزعوا عن الحب طائعين . وفي مقابل هذا المعنى يقول ابراهيم بن العباس :

وعلمتني كيف الهوى وجهسلته	وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
واعلم مالي عندكم فيردني	هواي الى جهلي فأرجع عن علمي

ويقول ابن الاحنف في اليأس من السلوان :

تجنب يرتاد السلو فلم يجد	له عنك في الارض المريضة مذهباً
فعاد الى ان راجع الوصل صاغراً	وعاد إلى ما تشتهين وأعتباً

ويقول من كلمة ثانية :

كم قد تجرعت من غيظٍ ومن حرقٍ      إذا تجددَ حزنٌ هوّنَ الماضي  
وكم سخطت وما باليتُم سخطي      حتى رجعت بقلبٍ ساخطٍ راضي

ويقول أيضاً إبراهيم بن العباس :

لمن لا أرى اعرضت عن كل من أرى      وصرت على قلبي رقيقاً لقائله  
أدافعه عن سلوةٍ وأردّه      حنيناً الى اوصابه وبلايه

ويقول ابن أذينة :

ان التي زعمت فؤادك ملأها      خلقت هواك كما خلقت هوى لها  
بيضاء باكرها النعم فصاغها      بلباقة فادقها واجلها  
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي      ما كان أكثرها لنا واقلها  
واذا وجدت لها وساوس سلوةٍ      شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

ويقرب من هذا المعنى قول صاحب البدائع :

ولا نسيم ودنا وغرامنا      ولم تحفظوا بعد الفراق لنا عهدا  
جعلنا نغض الطرف عنكم وعندنا      من الشوق نارٌ لا تطيق لها وفدا



## غدر الغواني

ولا بد من ذكر شيء مما تألم له الشعراء في حياة الحب ، التي طالما يغدر فيها النساء . وانا لنجد من بينهم من يحسب الغواني جميعاً غادرات ، ويقول :  
فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها سجيّة نفس ، كلُّ غانيةٍ هندٌ  
ويقول كثير في السُّخر من عهود النساء :

ألا انما ليلي عصا خيزرانةٍ اذا غمزوها بالاكفّ تلين  
تتمتع بها ما ساعفتك ولا تكن عليك شجاً في الحلق حين تبين  
وان هي اعطتك اللبان فانها لآخرَ مَنْ خلانها ستلين  
وان حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس لمخضوب البنان يمين

وقال الشريف يشكو المطل والتسويق :

يا ظبية البان ترعى في خثائله ليهنك اليوم ان القلب مرعاك  
الماء عندك مبدولٌ لشاربه وليس يرويك الامدمع الباكي  
وعدت لعيذك عندي ما وفيت به يا قرب ما كذبت عيني عيناك  
انت التعم لقلبي والمذاب له فما امرّك في قلبي وأحلاك  
عندي رسائل شوقٍ لست أذكرها لولا الرقيب لقد بلغتها فاك  
هامت بك العين لم تتبع سواك هوى من علم العين ان القلب يهواك

واني ليشجيني قوله من كلمة ثانية :

تهفو الى البان من قلبي نوازعة وما بي البان من داره البان  
اسدٌ سمعي اذا غنى الحمام به كيلا يُبين سر الوجد اعلان  
ورب دارٍ اولتها مجانبه وبني الى الدار اطراب واشجان  
اذا تلفت في اطلالها ابتدرت للقلب والعين امواه ونيران

كَلَمْ بَقَلِي أَدَاوِيهِ وَيَقْرِفُهُ      طُولِ ادْكَارِي لِمَنْ لِي مِنْهُ نَسِيَانٌ<sup>(١)</sup>  
لَا لِلْوَائِمِ اقْصَارٌ بِلَاغَةٌ      عَنْ الْعَمِيدِ وَلَا لِلْقَلْبِ سُلْوَانٌ  
عَلَى مَوَاعِيدِهِمْ خَلْفٌ إِذَا وَعَدُوا      وَفِي دِيُونِهِمْ مَطْلٌ وَلِيَّاتٌ  
هُمْ هَرَّضُوا بِوَفَاءِ الْعَهْدِ آوَنَةٌ      حَتَّى إِذَا عَذَّبُونِي بِالْمُنَى خَانُوا

وابن الرومي يجعل الغدر من طبائع الحسان ، اذ يشبههنّ بالحديقة ، تحمل  
الثمر حيناً وتعزى من الورق حيناً ، واليك قوله من قصيدة طويلة :

يُولَيْنَ مَا فِيهِ اغْرَامٌ وَآوَنَةٌ      يُولِينَ مَا فِيهِ لِمَعشُوقٍ سُلْوَانٌ  
وَلَا يَدُومَنَّ عَلَى عَهْدٍ لِمُعْتَقِدٍ      اِنِّى ؟ وَهَنْ كَمَا تُشْبِهْنَ بَسْتَانٌ  
يَمِيلُ طَوْرًا بِجَمَلٍ ثُمَّ يُعَدُّهُ      وَيَكْتَسِي ثُمَّ يُقْلَى وَهُوَ عَرِيَانٌ  
تَعْدُو الْفَتَاةَ لَهَا خَلٌّ فَإِنْ غَدَرَتْ      رَاحَتْ يَنَاقِسُ فِيهَا الْخَلُّ خُلَّانٌ  
مَا لِلْحَسَنِاتِ مَسِيئَاتٍ بَنَّا وَلَنَا      إِلَى الْمَسِيئَاتِ طُولُ الدَّهْرِ تَحْنَانٌ  
وَأَنْ تُبْعِنَ بَعْدَ قَلْبٍ مَعْدُورَةٍ      أَنَا نَسِينَا وَفِي النَّسْوَانِ نَسِيَانٌ  
يَكْفِي مُطَالَبَنَا بِالذِّكْرِ نَاهِيَةٌ      إِنْ أَسْمَنَا الْغَالِبُ الْمَشْهُورُ نَسْوَانٌ  
لَا نَلْزِمُ الذِّكْرَ أَنَا لَمْ نَسْمَ بِهِ      وَلَا مُنْعِنَاهُ بَلْ لِلذِّكْرِ ذِكْرَانٌ  
فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنْ شَبِيتَهُمْ      جُودٌ وَبَأْسٌ وَاحْلَامٌ وَأَذْهَانٌ  
وَأَنْ فِيهِمْ وَفَاءٌ لَا تَقُومُ بِهِ      وَلَنْ يَكُونَ مَعَ النِّقْصَانِ رَجْحَانٌ  
صَدَقْنَا مَا شُئْنَا لَكِنَّا تَقْنَصُنَا      مِنْهُنَّ عَيْنٌ تَلَاقِينَا وَأُدْمَانٌ<sup>(٢)</sup>  
أَنْكِي وَأَزْكِي حَرِيقًا فِي جِوَاهِرِنَا      خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ وَالْأَلْوَانِ فَيَرَانٌ  
إِذَا تَرَقَّرْنَ وَالْأَشْرَاقُ مَضْطَرِمٌ      فِيهِنَّ لَمْ يَمْلِكِ الْأَمْرَارُ كَيْتَانٌ  
مَاءٌ وَتَارٌ فَقَدْ غَادَرْنَ كُلُّ فَتَى      لَا بَسْنَ وَهُوَ غَزِيرُ الدَّمْعِ حَرَّانٌ

(١) الكلم : الجرح . وقرف الجرح اصابته من جديد

(٢) عين جمع عيناء وهي جية العين ، والامادن الأطباء

تحضلُ منهنَّ عينُ فهي باكيةٌ ويستحرقُ فؤاد وهو هياتـ

وقال فتى في ابنة عمه ، وقد تجنت عليه وغدرت به :

أحبابنا لو تعلمون بحالنا لما كانت اللذات تشغلكم عنا

تشاغلتمُ عنا بصحبة غيرنا وإبديتمُ الهجران ما هكذا كنا

وآليتُمُ ان لا تخونوا عهدنا فقد وحياة الحب خنتم وما خنا

غدرتم ولم تغدروا خنتم ولم تخنوا وحلتم عن العهد القديم وما حلنا

وقلتم ولم توقفوا بصدق حديثكم ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

وكان صخر بن عمرو ، اخو الخنساء ، يحب سلمى بنت عوف ثم تزوجها ؟

وقما هذا علي ان لا يتزوج واحد منهما بعد صاحبه ، ثم طعن في احد الايام .

فمرض سنة كاملة . فقصرت زوجه في السهر عليه ، والرفق به . ولا كذلك

امه الروم . قالوا : وسمع يوماً امرأة تقول لامة : كيف حال صخر ؟ فقالت :

نحن بخير ما دمنا نرى وجهه . وسمع اخرى تقول لامرأته كيف حال صخر ؟

فقالت : لا حي\* فيرجى . ولا ميت فينمى !! وحكي انه جلس يوماً ليستريح

وقد رفع له سَجَف البيت ، فرأى سلمى واقفة تحدث رجلاً من بني عمها وقد

وضع يده على عجزيتها ، فسمعه يقول لها : ابيع هذا الكفَل ؟ فقالت عن

قريب ا فقال صخر لامة : علي بسيفي ، لأنظر هل صدىء ام لا . فأنته به

فجرتده ، وهم بقتل سلمى . فلما دخلت رفع السيف فلم يستطع حمله .

فبكى وقال :

ارى أم صخر لا تملُ عيادتي وملتُ سُلمي مضجعي ومكاني

فأي امرئ ساوى بأمر حليمة فلا عاش الا في شقاً وهوانٍ

اممُ بأمر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

وما كنت اخشى ان اكون جنازة لديك ومن يغترُ بالحدائق

ويذكرون ان غسان بن جهم كان مفتوناً بابنة عمه ، ثم تزوجها ، فلما

حضره الموت حلفت لا تتزوج من بعده ، ثم حنثت في عينها ، فأنشدها في نومها

ليلة الزفاف :

غدرتِ ولم ترعيْ لبعلكِ حرمةً      ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي عهداً  
ولم تصبري حولاً حِفْظاً لصاحب      حلفتِ له يوماً ولم تتعجزي وعدا  
غدرتِ به لما ثوى في ضريحه      كذلك يُنسى كل من سكن اللحد

ويذكرني هذا الشعر بقول أبي العتاهية :

إذا ما انقضت عني من العيش مدتي      فإن غناء الباقيات قليل  
سيُعرض عن ذكرى وتُنتسى مودتي      ويحدث من بعد الخليل خليل  
وهذه طبيعة العالم يا صاح ، فاقض من أوطارك ما أنت قاض ، واترك  
الوم للمجانين !!



## ميزان الحب (١)

ميزان الحب فيما يرى جميل ان يهب الحب لمحبويه دمه وماله ، وانظر كيف يقول :

لما الله من لا ينفع الود عنده	ومن حبّله إن مدّ غير متين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم	على ثقة خوان كل أمين
فلو ارسلت يوماً بثينة تبتغي	يميني ولو عزت عليّ يميني
لأعطيتها ما جاء يميني رسولها	وقلت لها بعد اليمين سلمي
سليمي مالي يا بشين فانما	يبيّن عند المال كل ضنين
فمالك لما خبّر الناس أنني	أسأت بظهر الغيب لم تسلمي
فأبلى عذراً أو أجيء بشاهد	من الناس عدل انهم ظلموني
فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي	ومثوا بقتلي يا بشين لقوني
إذا ما رأوني طالماً من ثنية	يقولون من هذا؟ وقد عرفوني !

---

(١) في كتاب « الاخلاق عند الفزائي » بحث مفصل عن الحب من الوجهة الفلسفية ، فليرجع اليه القارئ إن شاء



## الليالي الخوالي

وما أكثر حنين الشعراء إلى الأيام السوالف ، والليالي الخوالي !!

ويذكرون ان المتوكل احب ان ينادمه الحسين بن الضحاك ، ليرى ما بقي من ظفره ، وشهوته لما كان عليه . فأحضره وقد كبر وضعف ، فسقاه حتى سكروقال لحادمه شفيح : اسقه افسقاه وحيثاه بوردة . وكانت على شفيح أثواب ماردة . فد الحسين يده إلى درع شفيح . فقال المتوكل : التجسّ غلامي بحضرتي؟ فكيف لو خلوت به ! ما احوجك يا حنين الى ادب ! وكان المتوكل غمز شفيحاً على العبت به ، فقال الحسين : يا سيدي اريد دواة وقرطاساً . فأمر له بها فكتب :

وكالوردة البيضاء حيتاً باحمر	من الورد يسقى في قرايط كالورد
له عبتات عند كل تحية	بكفيه يستدعي الخلي إلى الوجد
تمنيت ان أسقى بكفيه شربة	تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله عيشاً لم ابت فيه ليله	من الدهر إلا من حبيب على وعد

فطرب المتوكل لهذا الشعر ، وهم بتقديم الغلام اليه ، لو كان مما تسمح بمثله النفس !!

وانظر ما يقول ابن هانئ في ذكرى أيامه السوالف :

فمن في مائهم على العشاق	ولبس السواد في الاحداق
ويكفين الفراق بالغم الرط	ب المقتنا وبالحدود الرقاق
ومنحن الفراق رقة شكوا	من حتى عشقت يوم الفراق
ومع الجيرة الذين غدوا دم	ح طليق ومهجة في وثاق
حاربتهم نوائب الدهر حتى	آذنوا بالفراق قبل التلاقي

ودنوا للوداع حتى ترى الأج  
يوم راهنت في البكاء عيوناً  
أمنع القلب ان يذوب ومن ينة  
رب يوم لنا رفيق حواشي الم  
قد لبسناه وهو من نفحات الـ

ياد فوق الاجياد كالأطواق  
فتقدمت في عنان السباق  
ع جمر الغضى عن الاحراق  
و حسناً جوال عقد النطاق  
مسك درع الجيوب درع التراقي

وما أوجع قول ابن الرومي في البكاء على لياليه الخوالي :

أأيام لهوي هل مواضيك عود  
رُزئت شبابي عودة بعد بدأة  
سُلبت سواد العارضين وقبله  
وبُذلت من ذاك البياض وحسنه  
لشتان ما بين البياضين : معجب  
و كنت جلالة للعيون من القذى  
هي العين النجمل التي كنت تشكي  
فمالك تأمى الآن لما رأيتها  
تشكى اذا ما اقصدتك سهامها  
كذلك تلك النبل من وقعت به  
اذا عدلت عنا وجدنا عدولها  
وبيضاء يخبود رؤها من بياضها  
اذا ما التقى السكران : سكر شبابها  
لهوت بها ليلاً قصيراً طويلاً  
وكم مثلها من ظبية قد تقيأت

وهل لشبابٍ ضلّ بالأمس مُنشد  
وهن الرزايا بادئات وعود  
بياضها المحمود اذا انا أمرد  
بياضاً ذمياً لا يزال يُسود  
أنيق ومنشوة إلى العين انكد  
فقد جعلت تقذي بشيبي وترمد  
مواقمها في القلب والرأس أسود  
وقد جعلت مرمى سواك تعمّد  
وتأسى اذا تكب عنك وتكد  
ومن صرفت عنه من القوم مقصد  
كموقعها في القلب بل هو اجهد  
ويذكو له ياقوتها والزبرجد  
واكواها ، كادت من اللين تعقد  
وما لي الا كفها متوسد  
ظلالى واغصان الشبية ميّد

## ليالي سنتريس (١)

وقد اكثرت صاحب البدائع من الحنين الى سنتريس ، وهي مهوى قلبه ،  
و'منية' روحه ، اذ كانت مكلب صباه ، وميدان لهوه ، في أيامه السوالف ،  
ولياليه الخوالي ا  
وانظر كيف يقول :

ليالي النسيل واللذات ذاهبةٌ      وجدي عليكن اشجاني فأضناني  
لو يرجع الدهر لي متكن واحدةً      في سنتريس ويُدني بعض خلاني  
إذا تبين دهرى كيف يرحنى      من ظلم مي ومن عدوان احزاني  
كم ليلة لي بذاك النهر سالفةً      قضيتها بين غاداتٍ وولدانٍ

...

وفي دلالٍ هو الدنيا وزينتها      يُودي الأسود بظرفٍ منه نعلانٍ  
كأنما فعل عينيه بعاشقه      فعل المدامة في اعطاف نشوانٍ  
شربت من ريقه راحاً مشعشةً      بخالص الوُدِّ لم تُمزج بسُلوانٍ  
وكم حبيبٍ براح الريق أسكرني      وكم جميلٍ بورد الخلد حيانٍ

...

يا مُوقد النار في قلبي مؤججةً      وقاطناً بين أنهارٍ وريحانٍ  
عَرَّجَ عليَّ فما نفسي بصابرةٍ      على نواكٍ وما طرفي بوسنانٍ  
واليك قوله من كلمة ثانية :  
إيه يا فتنة الوجود سلامٌ      من مشوقٍ متيم القلب عانٍ

---

(١) في مقدمة كتاب (حب ابن ربيعة وشعره) وصف شائق لهذا البلد الطيب الجميل

لو يشاء الهوى حوتك ضلوح<sup>١</sup> حائثات<sup>٢</sup> على صباك<sup>٣</sup> حواني  
فارحمي فانياً من الوجد يشقى بغرام<sup>٤</sup> مؤجج<sup>٥</sup> غير فان  
رنتقت<sup>٦</sup> وردة<sup>٧</sup> الليالي فأمسى يرقب الصفو<sup>٨</sup> من خلال الأماني

...

آه لو يسمع الزمان ونلقى من طوى قريهم<sup>٩</sup> عناد الزمان  
وترى سنديس<sup>١٠</sup> والدهر غاف<sup>١١</sup> ما قضينا من الليالي الحسان  
حين كنا من السرور نشاوى في نجاة<sup>١٢</sup> من النوى وأمان  
نتساقى الحديث عذبا<sup>١٣</sup> شها<sup>١٤</sup> وقطوف المنى رطاب<sup>١٥</sup> دواني

...

يا خليلي<sup>١٦</sup> والرفيق معين<sup>١٧</sup> أسعفاني ببعض ما تملكان<sup>١٨</sup>  
أبتغي آسياً فقد عيل<sup>١٩</sup> صبري من ترالي<sup>٢٠</sup> الوجيب<sup>٢١</sup> والخفقان  
أبتغي صاحباً<sup>٢٢</sup> توله<sup>٢٣</sup> قبلي وشجاه<sup>٢٤</sup> من الجوى ما شجاني  
فلقد يسعف<sup>٢٥</sup> الجريح أخاه<sup>٢٦</sup> ويواسي<sup>٢٧</sup> الزميل في الاحزان

...

وقد تلحن هذه القصيدة البلبل الغريد الشيخ عبد السميع عيسى الباجوري  
وما أروع شعر الوجدان إذا غني<sup>٢٨</sup> بثل<sup>٢٩</sup> صوته العذب الجميل !!

## صبا نجد

وما أشوق القلب الى شميم صبا نجد ا فقد حبيبه الينا الشعراء حتى لنجد  
( صردُر ) يرى المرور بنجد شركا من أشراك الهوى ، حين يقول :

النجاء النجاء من أرض نجد	قبل ان يعلق الغؤاد بوجد
إن ذاك الثرى لينبت شوقاً	في حشاميت اللبابات صلد
كم خليّ غدا اليه وأمسى	وهو عذي بعكوة أو يهند
وظباء فيه تلاقى الموالى	والمعادي من الجمال يجند
بشتيت من الميامم يغري	وسقام من المهاجر يعدي (١)
وبنان لولا اللطافة ظننت	لجنائياتها برائن أسد
وحديث إذا سمعناه لم ند	رب نجمر نضحنا أم يشد
أنفقت من براغم الخز والقز	خدود قد برقعوها بورد

ويقول الطغرائي :

يا حبذا نجد وأعراق الثرى	لدن وأنفاس النسيم رفاق
فهواؤه خصر النسيم وتربه	حالي الأديم وماؤه رفاق
وبساكنيه ان استقر بنا النوى	تشفي النفوس وتمسك الأرقام

ويقول ابن الحنيط :

خذنا من صبا بنجد أماناً لقلبه	فقد كان رياه يطير بلبه
وإيا كما ذاك النسيم فانه	إذا هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلي لو احببتا لعلمتا	مكان الهوى من مغرم القلب صبه

(١) المراد بالميم الشتيت الثغر المفلج

تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى يتوق ومن يعلق به الحب يصبه  
غراماً على يأس الهوى ورجائه وشوق على بعد المزار وقربه  
وقال ابن التعاويذي :

يا رفيقي هل لذهاب أيا مـ تقضت حميدةً من مرّة  
أنجداني بوقفة في مغاني الـ حيّ إن جزمتما بأعلام نجد  
وابكيها بمقلتي واسألاها من سقاها ماء المدامع بعدي  
جنباً عندها مصارع من ما ت بدء الغرام فالشوق بعدي  
فباكتافها جاذرُ رملـ بين أثوابها برائن أسد



## جناية العين والقلب

من الشعراء من يرى ان عينه سبب بلائه ، كقول خالد الكاتب :  
أعان طرفي على جسمي واحشائي بنظرة وقفت جسمي على دائي  
وكنت غيراً بما يحيني على بدني لاعلم لي ان بعضي بعض ادواني  
ومثله قول الارجاني :

تمتعا يا مقلتي بنظرة وأوردتما قلبي اثر الموارِد  
أعيني كفا عن فؤادي فانه من البغي سعى اثنين بي قتل واحد

ويرى الشريف الرضي ان قلبه سبب شجاءه ، ويقول :  
قلب كيف علقت في اثراكم ولقد عهدتك ثقلت الاشراكا  
أكثبت حتى اقصدتك سهامهم قد كنت عن امثالها انها كا  
إن ذبت من كد فقد جر الهوى هذا الذي جرت علي من جرّا كا  
لا تشكون إلي وجدأ بعدها هذا الذي جرت علي يدا كا  
لا عاقبتك بالليل فانتني لولاك لم اذق الهوى لولا كا

ويأمر صرّدر على ان كانت اجفانه حجاب قلبه ، ويقول :  
لوا حظنا تجني ولا علم عندها وانفسنا مأخوذة بالجرائر  
ولم أر أغبي من نقوس عقائف تصدق اخبار الميون الفواجر  
ومن كانت الاجفان حجاب قلبه أذن على احشائه للفواقر

وقال ابن الاحنف يشكو ظلم قلبه وحبيبه :  
يهم بجيران الجزيرة قلبه وفيها غزال فاتر الطرف ساحره  
يؤازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي علي يؤازره

## قضاء الله

ونختم هذا الكتاب بقول صاحب البدائع :  
قالوا عشقتَ فقلتَ كم من فتنة لم تقن فيها حكمة الحكماء  
إن الذي خلق الملاحنة لم يشأ إلا شقائي في الهوي وبلائي  
ولله الأمر من قبلُ ومن بعد ا



## الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢١	مداراة الرقباء	٣	الاهداء
١٢٤	بخل الحسان	٥	مقدمة
١٢٨	الامر للحب	١٣	مذاهب النسيب
١٣٠	حمل السلام	١٤	موجبات الدموع
١٣٤	دموع الغائيات	٢٠	عذر ارباب الدموع
١٣٩	ندم المفارق	٢٢	الاكتفاء بالدموع
١٤٤	غربة المحب	٢٤	الفزع إلى الدموع
١٤٦	الامل الضائع	٢٧	الدمع عند الوداع
١٥٠	الكتمان	٣٠	الدمع بعد الفراق
١٥٦	قسوة التجني	٣٣	شكوى الصبابة
١٥٩	ظلم الحبيب	٤٠	عند منازل الاحباب
١٦٢	قساة القلوب	٥٥	وشاية الدموع
١٦٥	سيف الفراق	٥٧	سلطان الحب
١٦٨	الهرب من الفراق	٦٢	غرام النساء بالنساء
١٦٩	غراب البين	٦٥	طيف الخيال
١٧٠	فقد العزاء	٦٨	خيال البحاري
١٧٣	بكاء الشباب	٧٦	اليأس والرجاء
١٧٦	بلايا الغيرة	٧٩	العتاب
١٨٠	الاستعطاف	٩٣	نوح الحمام
١٨٦	الحنين	٩٩	التقرب بالدموع
١٩٢	الرفق بالحبيب المريض	١٠٢	ثورة الوجد
١٩٤	الذبول والنحول	١٠٨	الارق والسهاد
		١١٦	الطبيعة في انفس الشعراء

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٩	القلب والكبد	١٩٧	اماني المحبين
٢٢٠	بكاء الملاح	٢٠٠	الهيبة والخضوع
٢٢٧	بكاء الحلائل	٢٠٢	الرضى بالقليل
٢٢٩	لوعة الشوق	٢٠٤	شفاء المحب
٢٣٢	راحة السلوان	٢٠٦	القلب الخافق
٢٣٤	غدر الغواني	٢٠٨	مثال الحبيب
٢٣٨	ميزان الحب	٢١٠	اهوال الصدود
٢٣٩	الليالي الخوالي	٢١٢	التلفت الى معالم الوجد
٢٤١	ليالي سنتريس	٢١٤	الصد والنوى
٢٤٣	صبا نجد	٢١٥	القريب والبعيد
٢٤٥	جناية العين والقلب	٢١٦	حلاوة الملام
٢٤٦	قضاء الله	٢١٨	رؤية الضمير



